



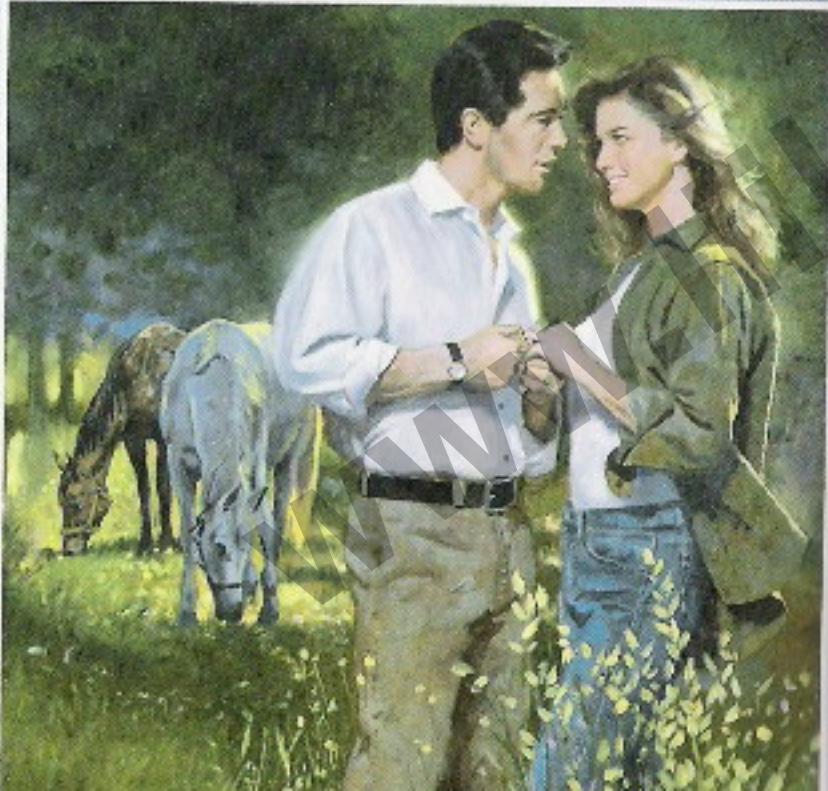
HARLEQUIN

روايات احلام



قلب في امرأتين

مارغريت واي و باربرا هاناني



قلب في امرأتين

ووجدت جنثيف نفسها تعشى كالمسحورة في الكيمية القديمة، متأبطة ذراع بلين الشخص الذي أحبته منذ الطفولة ولكنها لن تكون زوجة بلين بل هو من سيوصلها إلى عريسها.

بدا كل شيء كالكايوس.. تقفت وتتفحصت ولكنها لم تستطع أن تستشق ما يكفي من الهواء.. وكان آخر ما سمعته صوت بلين وهو ينطق باسمها.

لو لم يفم على جنثيف في تلك اللحظة لخطفها بلين بعيداً، مواجهًا غضب الدنيا بأسرها.

... إذن فلما أقدمت جنثيف على الزواج بمن لا تحب؟ ولماذا بلين هو من دفع نفقات هذا العرس كله؟

* * *

عندما بدأت اللايدي شارلوت العمل في مزرعة «مات لوكمهارت» لم تتوقع أن تقع أسيرة هذا الرجل وأن قتيبة بسببه خفقات قلبها.

ولكن والدها سبق أن رتب لها زواجاً مناسباً للايدي.. فأصبحت هي حائرة بين الواجب والحب.

شركة دار الفراشة



ISBN 9953-15-107-5



البحرين: ١ دينار	لبنان: ٤٥٠٠ ل.ل.
السعودية: ١٠ ريال	سوريا: ٧٥ ل.س.
مصر: ٦ جنيه	الأردن: ١,٥ دينار
المغرب: ١٥ درهم	الكويت: ٧٥٠ فلس
تونس: ٢ دينار	الإمارات: ١٠ دراهم
عمان: ١ ريال	قطر: ١٠ ريال

مارغريت واي

إنها أسطورة في عالم الروايات العاطفية وقرأتها. تنشر لها روايات منذ ٣٠ سنة. عرفت بشخصيتها الشغوفة القوية ووصفها الوجданى المعبر لطبيعة أستراليا.

ولدت مارغريت وتربعت في مدينة بريسبن القائمة على ضفاف نهر، وهي تقيم الآن على مقربة من مدينة أموريتون بي^١ في مقاطعة كويزيلند. تعيش هذه الكاتبة وصف بلادها وصفاً جيداً للقراء.

قبل أن تصرف للكتابة كانت مارغريت تحترف العزف على آلة البيانو وتعطي دروساً في العزف والغناء وترافق كبار المؤلفين والمغنيين. وهي تعرف حتى الآن بشكل جدي. إلى ذلك فهي تهوى جمع التحف والأعمال الفنية والفنية بحديقتها.

باربرا هاناي

وافت جنثيف خارج غرفة أمها تستجمع شجاعتها لهذه المواجهة، والقمة من أنAngel ستدرك دموعاً غريبة، إذ لا أحد يضاهي براعتها في إزعاج الآخرين، فهي تبكي متى يحلو لها وتسكت متى شاءت.

ولم تعرف جنثيف ما إذا ستتمكن من احتمال ذلك، لا سيما الآن وهي مرهقة بسبب تحضيرات حفلة زفافها التي تقترب. كانت قد أصبحت هزيلة جداً ومرهقة لكتها مضطرة إلى الابتسام مما يشعرها بالضيق.

وإذا أشئت أن تقع الباب، تذكرت فجأة أنAngel ستخرج الليلة مع آنوبى سلوكومب^٢ لتناول العشاء فشعرت بارتياح بالغ. كان آنوبى^٣ من المعروفيين في «سيدني تاون»، وقد طلق حديثاً زوجته البالغة من العمر ثلاثين عاماً. وللمرة الأولى لم يكن لآنجل علاقة بذلك حيث أنها خرجت لنوها من تجربة مقلقة مع فتى عاشر. لهذا لن تفسد الدموع الليلة كحمل عينيها أو تلطخ وجهها البهيج الصغير إلا أن الأمسية لن تمر بدون صيحة خفيفة وبعض المحاولات المعتادة للاستخفاف بما تقوله جنثيف. ولكن لا بأس، فلا أحد في البيت سوى إيمى^٤ المريرة التي بقيت مدة طويلة مدبرة منزلهم الأمينة والتي كانت، بالنسبة إلى جنثيف، أمّا أكثر منAngel المشغولة دوماً بعماليها وباللقاءات الاجتماعية.

راحت جنثيف تفكّر في أنه يفترض بهذا اليوم أن يكون أسعد أيام حياتها، وقد حاولت نجنب الشعور بالأسى على نفسها. أحسّت في الواقع

ولدت في سيدني ونشأت في بريسبن^٥. أمضت معظم أيام شبابها في شمال كويزيلند، حيث ربّت مع زوجها أولادهما الأربع. كانت تستمتع بأوقات تمارس فيها رياضة التجديف وإقامة المخيمات في الغابات وتعشق أيضاً الحياة العصرية في المدينة والموسيقى العالمية والرقصات الرائجة والأفلام السينمائية وتناول العشاء في المطاعم.

عملت باربرا كمدرسة وأجبت الكتابة وهي الآن تحقق حلمها بتأليف الروايات العاطفية ونشرها.

جنتيف شعرها طريراً مسلاً على كتفها.
كانت الاثنين متشابهتين جداً، على الرغم من أن جنتيف فارعة
الطول بالنسبة إلى أمها. وكان معظم الناس يرون أن جنتيف أجمل من
أمها. وبما أنها من أسرة «كورنلاند»، يفترض بها أن تتحلى بالذكاء، الذي
تفقر إليه أمها. لكن هذا لا يعني أنه يؤثر على نجاح أنجيل مع الرجال، بل
على العكس، لعل هذا ما يساعدها على ذلك.

- أتعلمين ما تفعلينه يا جنتيف؟

طرحت الأم سؤالها هذا بحدة على ابتها المستفرقة في تأملاتها،
فسألتها هذه: «لا، ما الذي أفعله؟».

- أنت تعشين بتلك القطعة الخرفية الثمينة وتكتادين توقعينها. ضعيها
من يدك، أرجوك؟
- آسفه، يا ماما.

- يا عزيزتي، ألم أطلب منك لأناديني هكذا؟
ضحك جنتيف، محاولة تنطية الإحباط الذي تشعر به دوماً: «أنت
سيدة قاسية، يا أنجيل. أتعرفين هذا؟ طلبت مني لأناديك (ماما) قبل أن
أتم العاشرة من عمري، وقبل أن يمر وقت طويل على موت أبي».

ولطالما اعتبرت جنتيف ذلك قسوة فعدم تمكّناها من مناداة أمها بـ(ماما) أو (مامي) لم يكن مؤلماً وحسب، بل أثراً، بشكل ما، على
علاقتهما. راحت أمها تتأوه، وهي تفعل ذلك دوماً عند ذكر زوجها الأول
الراحل، والد جنتيف (ستيفن كورنلاند)، الذي طلقه عندما كانت
جنتيف في السابعة من عمرها، والذي قتل بعد ذلك بشمانية عشر شهراً في
حادث مأساوي أثناء الصيد في «جويبل». بني آل «كويزنلاند» قلعة
الصحراء ومنزل الأسلاف وهم يسيطرؤن على مملكة مواشي تحتل قسماً
ضخماً من ولاية «كويزنلاند» الشاسعة. وكان بين كورنلاند، ابن عم
جنتيف الوسيم، الوصي على هذه الأملاك.
إنه رجل محترم للغاية في الواحد والثلاثين من العمر، يتضح وسامه

بالعزلة والذنب لتفكيرها في الهرب، إلى حد جعلها تصلٍ، داعية الله أن
يساعدوها في اختيار هذه المختلة.
طرقت باب أمها، والماسة الكبيرة تتألق في إصبع يدها اليسرى
فجاءها صوت أمها: «دخل».

ولم تعرف جنتيف إن كان عليها أن تبكي أم تضحك وهي تفتح الباب
لترى أمها بشوب سهرة طويلة لا بد أنه كلفها ثروة.
قالت حازمة أمام مظهر أمها الفتى وتألقها: «رباه، يا أمي الحلوة».
فتحت أنجيل ذراعيها وهي تستدير نحو ابنته تسألاها: «هل أعجبك
الثوب؟».

فأجبت هذه ببطء: «آه، نعم. إنه رائع، بل غير عادي».
- كنت لأغيرك إيه لو لا أنك طويلة جداً.
- أنا لست طويلة جداً. على أي حال، لم يسبق لك أن أغرتني شيئاً
على الإطلاق.

تعطرت أنجيل وقالت: «يا حبيبتي جنتيف، لم يسبق لك أن احتجت
شيئاً. أنا أغرس أنك رائعة الجمال، لكنني، في سنك، كنت أفوقك
جمالاً. أنت طويلة وسمراء كأبيك المسكين».

وأخذت أنجيل تتأمل بشرتها البيضاء الوردية.
فأجابها جنتيف ببساطة: «معظم الناس يقولون إن بشرتي رائعة».
ولم يجد في لهجتها أي استياء، فقد اعتادت على استخفاف أمها بها
ونابت تقول: «بشرتي، بخلاف بشرتك، تقبل سمرة الشمس وهذا
يتلاءم جيداً مع شعري».
- بل شعرنا.

صحيح أنجيل كلامها وهي تمس خصلات شعرها الكثيفة ذات
اللون الأشقر الطبيعي الباهت إلى حد البياض. كانت أنجيل في منتصف
الأربعينيات من عمرها وهو سر لم تكن لتكتشفه حتى لطبيتها. وكانت تقصر
شعرها وتسرحه بعيداً عن وجهها الفتى الرائع الجمال، بينما نرك

نائحة: «ما أسمعه غير معقول... هذا غير ممكن. ثم ما دخل بلين في هذا؟ لا أظنك تعتقدين أن هذا سيسره، فقد دفع النفقات كلها». - دفع ماذا؟

هتفت تسألها واليأس والإذلال يكادان يقتلانها لشعورها بأنها خدعت. وأجابت انجليل ساخرة: «آه، لا تظاهري بالغباء فهذا لا ينبع مني. لم تعتقدني طبعاً أثني سأتفق مبلغًا ضخماً كهذا؟ أسرة كورتلاند تملك جيلاً من المال، وربما كان بلين أن يقيم عرساً لثلاثة شخص، وهذا لا يتجاوز قطرة في بحره. لكنه يترك تأثيراً عميقاً على حسابي المصرفي». فكادت الفتاة تصرخ الماء: «يا إلهي تركتني أعتقد أنك تتولين كل هذه الأمور يا أمي. نعم، أمي. أنت أمي أليس كذلك؟ أمي، رحمة الله، تركك غنية. كان يحبك، ذلك المسكين، يحببني. لا بد من أن لديك مالاً كثيراً يا أمي. أنظري في أنحاء غرفة النوم هذه، هذا المنزل الشبيه بالقصر. أنظري إلى ذلك الثوب الذي ترتدينه، والباس في ذذنوك وحول عنقك». - هل لك أن تكفي عن إحداث هذه الغوضى والانفعالات؟ عليّ أن أتحدث إليك؟

أهتم بنفسي، يا جنثيف، ما زال أمامي سنين كثيرة أعيشها. فصرخت جنثيف: «فلتنتك تسعين إلى الزواج من «توبى سلوكوم؟» أجايتها أمها ثائرة بعنف: «إياك أن تجرؤي على الصراخ في وجهي أيتها العاجدة. كيف يمكنك أن تخذلني أمام الناس؟ وتخذلني كوليـن؟ لا أجرؤ على التفكير في ما قد يحدث». فهزت جنثيف رأسها بعنف وألم: «لا، بل لأنك تتوقعين مني أن أمدك بالمال عندما أضع يدي على مال『اغاريت』. أنت تعلمين أن الكل يكره والد كوليـن».

فقالت انجليل غاضبة: «أنا أعلم أنه راضٌ عنك. لقد ابتهج عندما علم أن كوليـن وجد أخيراً من تستطيع التأثير عليه». - لقد كنا جميعاً دمى بين يديك، ربما جعلت بعض الناس يظنون أنك

وحبيبة، ولطالما اعتبرته جنثيف بطلأً في طفولتها وبداية مراهقتها. تفصل بينهما ثمانية أعوام كاملة، لكنهما مختلفان جداً من حيث النضج والصلابة.

كان بلين يلاطفها دوماً ويطلق عليها ألقاب التدليل كالزهرة، والبنفسجة نظراً لللون عينيها، والطفلة البريئة، والصديقة الصغيرة حتى (قططينة) أيضاً... وهي اسماء تتذكرها جنثيف دوماً، ولكن بين ليلة وضحاها، تحولت إلى تلك المعنوـة الحمقاء المستعدة لافساد ذكائـها بالتشبه بأمها الحمقاء ومنافستها. ولم يكن بلين يطبق انجليل، ويسمـيها (النفسـ) في وجهـها. ذلك أن أسرة سـيفـن كورـلـانـد تعتقد أن (الحادثـ) الذي قـتـله لم يكن حادـثـاً على الإطلاقـ، فالكلـ يـعلـمـ أنـ انهـارـ عـندـماـ تـرـكـهـ انـجلـيلـ، مـصـطـطـحةـ معـهاـ اـبـتهـ الـوحـيدـةـ الـتيـ يـحـبـهاـ حـباـ جـماـ. سـأـلـتهاـ جـنـثـيفـ وـهـيـ تـلـمـلـمـ شـجـاعـتهاـ: «انـجلـيلـ، هـلـ يـمـكـنـيـ أـتـحدـثـ إـلـيـكـ؟»

- ليس لدى وقت للحديث الآن، يا حبيبيـ. ردت انـجلـيلـ وهيـ تـتـنـاـولـ حـقـيـقـيـةـ السـهـرـةـ الـبـدـيـعـةـ الشـكـلـ لـتـضـعـ فـيـهاـ مـدـيـلاـ مـطـرـزاـ، رـفـقاـ.

- أـلـيـسـ مـنـ الأـفـضلـ أـنـ تـنـاميـ الآـنـ؟ـ لـأـنـ غـداـ سـيـكـونـ يـوـمـاـ رـائـعاـ.ـ أناـ لـخـوـرـةـ جـداـ بـزـواـجـكـ مـنـ كـوليـنـ.ـ تـرـاءـتـ صـورـةـ بلـيـنـ فـيـ مـخـيـلـةـ جـنـثـيفـ بـقـوـةـ مـحـرـقـةـ بـحـيـثـ لـسـعـتـ رـأـسـهاـ، فـقـالتـ فـجـاءـ:ـ (أـظـنـيـ سـأـتـرـكـ كـوليـنـ).ـ ماـذاـ؟ـ

وـاتـسـعـتـ عـيـنـاـ انـجلـيلـ الـبـنـفـسـجـيـانـ.ـ لاـ يـمـكـنـيـ إـتـامـ هـذـاـ الزـوـاجـ يـاـ ماـ...ـ انـجلـيلـ.ـ أـشـعـرـ أـنـهـ فـظـيعـ لـلـغاـيـةـ.ـ أـعـلـمـ أـنـكـ تـرـيـدـيـنـ هـذـاـ،ـ وـأـنـكـ بـذـلـكـ كـلـ مـاـ فـيـ وـسـعـكـ لـإـتـامـهـ.ـ لـكـتـيـ لـأـحـبـ كـوليـنـ،ـ وـلـمـ أـحـبـ يـوـمـاـ،ـ وـكـتـ سـأـتـزـوـجـهـ فـقـطـ لـأـغـيـظـ بلـيـنـ.ـ تـهـالـكـتـ انـجلـيلـ عـلـىـ كـرـسـيـ كـبـيرـ وـقـدـ شـحـبـ وـجـهـاـ الصـغـيرـ،ـ وـقـالـتـ

امحال أن تهرب من هذا الزواج، فبلين سيجرك على أرض الكنيسة إذا اقتضى الأمر. لا تنسى أن شرف أسرة كورتلاند على المحك». فالتهب عيناً جنثيف: «أنا مجرد نسيبة بعيدة يا إنجيل، ولا اعتبار لي في العائلة».

- لا تكوني واثقة من ذلك إلى هذا الحد يا فتاتي، فهذا خرق شنيع لتقاليد المجتمع.

- لكن خصوصي لهذا الزواج سيكون أبغض غلطة في حياتي. إسمعني، أرجوك يا إنجيل، أناأشعر بالوحدة والتعاسة تناكلاني.

قالت هذا يأس بالغ، لكن غضب أنها ازداد فصرخت بها: «المالا الآن؟ لماذا لم تدعى الأمر حتى صباح الغد لتهرب من نافذة العمام. أنت خائفة، كل العرائس تخاف. لمدي مفاجأة صغيرة لك، يا عزيزتي وهي أنه لا يمكنك أن تخذلي أياماً، لأنك عاطفية ضعيفة مثل أبيك».

عند ذلك التهبت عيناً الفتاة: «تألم لك يا ماما، تألك لأنك تركت أبي منذ البداية، ألا يكفي أنه ميت حتى تأتي الآن وتفترى عليه؟».

- مهلك لحظة، أنا لا أفترى على أحد، أنا أقول الحقيقة. أنت ابتدأت بشيء وعليك أن تنهيه. عليك أن تمضي في هذا الزواج. جميع الفتيات يتهاون على كولين غاريت، فهو جذاب وغني، أو سيكون كذلك. إنه من أكثر الرجال أناقة. وهو مثالى، ودوماً يقول: «إنجيلينا... يا جميلتي...».

قالت جنثيف غاضبة: «المالا لا تقولين له أن يخros، ولن تكون أمه نعية لذلك. أنا أعلم في أعمق أ أنها لا نظتنا متلائمين، ولعلها تخاف أن أهجر ابنتها في المستقبل كما هجرت أنت أبي».

وارتجف صوتها، فألفت إنجيل برأسها إلى الخلف تحدق في السقف: «أنا لم أهجر أباك يا جنثيف، بل رحلت عن البيت ليس إلا. فأنا لم أقابل في حياتي رجلاً منطلباً إلى هذا الحد. وجدت حبه وإلحاحه على الحياة الأسرية خانقاً... يا إلهي، كم هذا كثيف وموحش!».

فارغة الرأس، لكنك دوماً تحصلين على ما تريدين، أليس كذلك يا أمي؟ فاحمر وجه المرأة: «لا أدرى ماذا حدث لك، يا جنثيف، لقد تغيرت منذ عودتك من «جوبيلي». إنه بلين طبعاً. إنه مهذب على الدوام، لكنني أعرف أنه يكرهني. كلهم يكرهونني، يلومونني من أجل ستيفن. يا لها من أسرة مقررة، ومقررة! المزرعة ممتازة، ومع ذلك هربت والدة بلين، مسكينة أكريستيل! لا تدعه يستغلك، إن بلين يكره النساء».

أزاحت جنثيف شعرها عن وجهها: «لكنه في منتهى الرقة واللطف معى».

قالت الأم هازئة، شاعرة بالغيرة لتأثير بلين على ابنتها:

- تعنين عندما كنت طفلة صفيرة.

- عندما كنت طفلة من دون أب، أحبيبتي بلين من كل قلبي.

اعترفت جنثيف بهذا، خائفة، من عمق مشاعرها هذه. فتضحكانت علاقتكما فيها صعبة للغاية. يا لفطرة هذا الرجل! كان يتدخل على الدوام، وكأنه الوصي عليك، وليس أنا. تذكرت عندما أردتك مرة أن تكون عارضة أزياء، وكان بإمكانك أن تبلغني القمة في ذلك. كان كل شيء ملائماً لك، ولكن بلين أصر على أن تذهب إلى الجامعة».

- كنت لا أزال تلميذة، يا إنجيل. ولم أشا أن أصبح عارضة أزياء.

- إنها أحسن مهنة يمكن لفتاة جميلة أن تحصل عليها، فتعيش مثل تلك الحياة المثيرة المتألقة.

- هذا ما نظريته أنت، لكنها لم تكن تناسبني.

- وهل العمل في معرض الفنون أفضل؟

- لدى شهادة ممتازة في الفنون. وأنا فنانة جيدة أتعلم طوال الوقت، كما أنهم يقدرونني تماماً. ولكن لم يعد لذلك أي أهمية الآن، يا إنجيل. لا أستطيع إتمام هذا الزواج؟

صعقت إنجيل، وانفجرت تضحك بهستيرية ثم صرخت عالياً:

المحيط، واعية إلى شيء لم تلحظه في حياتها من قبل، وهو حقد غريب في نفس أنها. وقالت متسللة:
- لا تقولي المزيد، يا أنجيل.
ثم وقفت بدورها متتبعة القامة، قبل أن تضيف: «بعد غد قد لا ترى بعضنا البعض مرة أخرى».

سمعت أنجيل نذير النهاية في صوت ابنتها، فاندفعت تقول: «آه، يا عزيزتي، ما هذا الكلام الغبي الذي تقولينه؟ أنا أحبك يا جنثيف، وأنا فخورة بك جداً».

واندفعت إلى الأمام تربت على خدي ابنتها، متسائلة في قراره نفسها، عما يجعلها، وهي الجميلة للغاية، تشعر بالغيرة من شعر ابنتها وفمهما وعيتها وأستانها الجميلة وابتسامتها المشرقة التي لم تعد تراها كثيراً هذه الأيام. وتابعت تقول: «آخر ما أريده في هذا العالم هو أن أراك تعيسة، يا جنثيف».

وأضافت وهي ترتجف، مستعدة للدُّرُّف الدَّمْوع: «شي بي، يا عزيزتي، فأنت تعانين من نوتِر في الأعصاب وهذا الأمر طبيعي وليس كارثة. كولين رجل دمت حسن العشر، ومرح، وسيكون لديك مال كثير. لقد بقيت مسؤولة عنك مدة طويلة، وهذا يجعلك تشعرين ببعض المسؤولية نحوهِي بالمقابل. أنا أعلم أنك ستعملينا جميعاً فخورين للغاية جداً. إنه حلمي، يا حبيبتي».

بعد أن غادرت أنجيل المنزل، متتبعة بذراع توبى سلوكوب ضاحكة، بحث جنثيف عن إيمى، فوجدتها جالسة أمام التلفزيون في الغرفة الصغيرة بجانب المكتبة تشاهد فيلماً قديماً.

- مرحباً، يا عزيزتي.
ورفعت إيمى بصرها فتلاذت ابتسامتها وهي ترى العذاب البادي على وجه جنثيف.

وقفت أنجيل مشمثة ثم تابعت تقول: «لقد كدرتني يا جنثيف. أنا أفهم أنك متواترة، وهذا أمر طبيعي. لكتي أنصحك بشرب كوب من الحليب الساخن والخلود إلى النوم، وعندما تستيقظين في الصباح ستشعرين بتحسن كبير». واستدارت تواجه ابنتها التي بدت الآن، بشكل ما، وكأنها في الرابعة عشرة من عمرها.
- والآن، لا بد أن توبى على وشك الوصول. لا أريد أن أسمع المزيد عن هذا، فأنا لا أستطيع معالجة الأمر. لا أدرى لماذا لا تطبقين فكرة أن بدفع بلين كل النفقات.

فرفعت الفتاة رأسها: «هذا لأنك طفينة، يا ماما، وأنت ماهرة في ذلك. لكتي سأ Vick هذا عليك إلى الأبد».
- أحقاً؟

وانفجرت أنجيل تقول بصوت متحسّر:
- كيف تجروين على مخاطبتي بهذا الشكل، أيتها المنافقة المتظاهرة بالصلاح؟ لقد عملت مع بلين سنوات. وبطلك ذاك، معقد الشخصية جداً. فمع أنه لم يكن راضياً عن أي من الأعمال التي قمت بها أثناء السنوات الأخيرة، إلا أنه كان أكثر من سعيد عندما دفع فواتيرك. آه، نعم يا عزيزتي، لا تذهلي بهذا الشكل. رغم أن هذا أعمق سرِّي، لكن الواقع أن بلين ساعدنا كثيراً. ولماذا لا؟ كان يراك طفلة كبيرة، والمعرفة عنه أنه صعب الإرضاء، ثم أنت قرينته، وهذا شيء هام في صالحك.

شعرت جنثيف بيد تعتصر قلبها.

- هل طلبت أنت منه ذلك؟

وبدا المرح على الأم بشكل لا يصدق: «أبداً. لقد فعل ذلك من تلقاء نفسه. كنت طفلة بريئة حلوة خلابة، حسب قوله. لكتي أنواع أن يسرّ عندما يحمل شخص آخر العباءة».

- أحررت بشرة جنثيف الذهبية ورفعت نظرها. كانت عيناها بظلمة

تنفس جنثيف بعمق، وقالت: «إنه طاغية متسلط لا يرحم. أخبرتني أنجيل نوها أنه دفع نفقات العرس كلها، بدءاً بثوب العرس وملابس وصيغات العروس، والأزهار، وصولاً إلى أجرا المصورين والكنيسة والأطعمة والشراب وكل شيء». وأدارت عينيها البتسجيتين إلى إيمى التي كانت تعلم أكثر منها بكثير.

- وهل كدرك هذا؟

وكادت جنثيف تصرخ وهي تقول: «كدرني؟ لقد حطمته. أسأله عما يمكن أن تفعله أمي أسوأ من هذا. أضنه دفع نفقات كل شيء» سنوات.

وعضت على شفتها بقوة، مدركة أنها على وشك البكاء. فقالت إيمى برفق: «بلين يهتم لأمرك حقاً، يا جنثيف. ربما يقصر معك، من وقت لآخر، لكنه يحفظ دوماً كل ما يهمك، عن ظهر قلب».

فقالت بصوت يرتجف: «هذا ما يخيفني».

- لماذا يا حبيبي؟

ومالت إيمى إلى الأمام والاهتمام بادي على وجهها، فأمسكت جنثيف برأسها وأجابت:

- إنه يسبب لي الجنون، إنه رجل يثير الغضب والجنون، كما أن لديه ميلاً إلى القسوة.

فقالت إيمى وهي تهز رأسها:

- لا، لا أوقفك الرأي.

- أنت تدافعين عنه دوماً، يا إيمى.

- لأنه رجل رائع. لقد عشت معكم مدة طويلة يا جنثيف. وأنا أعرفكم تصرف معك بلين بطيبة.

تأنهت جنثيف بتعاسة. كانت تريد بلين إلى حد يجعلها تنهار من التوتر.

- هل ستترجّحين معي على هذا الفيلم؟ فابتسمت رغمها: «يا الهي، يا إيمى، لا بد أنك شاهدت هذا الفيلم مئة مرة».

- إنه أفضل من الأفلام الحديثة. ألم يكن البطل أو اسم الرجال؟

- هذا مؤكد، لكني سمعت أنه كان أحدب.

- إنها مجرد أقاويل، فقد كان رجلاً حقيقياً. على أي حال، ماذا حدث لك؟ يبدو كأنك بحاجة إلى شراب مهدئ، بينما يفترض بك أن تكوني سعيدة للغاية.

جلست جنثيف، وشبكت يديها.

- هذا هو الأمر يا إيمى. أنا لست سعيدة.

ساد صمت قالت إيمى بعده: «كنت أسأله متى ستدركين ذلك».

وأطفأت التلفزيون ثم سألتها: «أتريددين أن تتحدى عن ذلك؟»

- حاولت أن أتحدث عن ذلك مع أنجيل لتوى.

- أظن أن هذا لم يأت بنتائج. كان من العار أن تصفعه أمك عليك بهذا الشكل لتتزوجي من كولين.

هزت جنثيف رأسها: «لا تلومي أنجيل. الذنب ذنبي. ما هو رأيك بصرامة في كولين؟».

- أنا مع بلين.

ودت لو تضيف أنها ترى أن كولين غاريت لا يستحق عزيزتها جنثيف بأي شكل. فمثل هذه الفتاة الطيبة، الجميلة، لم تسب إزعاجاً لأحد يوماً. ولو لا حبها لها لانتقلت إلى وظيفة أخرى منذ زمن طويل. وهمست جنثيف والدموع في عينيها:

- إنسي بلين. فقد كان فظيعاً معي.

- لكننا لا نستطيع أن ننسى بلين يا دميتي. هيا اعترفي بذلك. سواء أحببته، أم كرهته، فهو دوماً موجود لأجلك. ومع ذلك أشعر وكأنكم ما زلتمنا تحاولان أن تعرفا ما الذي يعنيه أحدكم للآخر.

- ولماذا تحول صدي إذن، يا إيمي؟

- لماذا لا تسأله؟

- يا لها من مزحة، إنه يخيفني، كما تعلمين جيداً.

- حدث خطأ جسم أثناء لعبه البولو في تلك العطلة الأسبوعية.

أجابت إيمي بذلك وهي تومي «برأسها بينما ارتجفت جثثيف للذكرى: «بالضبط... آه، يا إلهي يا إيمي».

وأغرقتها المشاعر: «كان بلين مرأً لاذعاً حين أخبرته أنني سأنزوج كولين، ظنتي غير جادة، ثم تملّكه الغضب... والتهبت عيناه، قال لي إننا لن تكون سعيدين أبداً. جذبني إليه بقصوة بالغة فطشتني سيسريني، لكنه بدلاً من ذلك، أخذ يعانقني، وكان هذا أسوأ».

نظرت إيمي إلى جثثيف وهي تمك بخدتها: «عائقك».

- أما كنت تصفيين إلى، يا إيمي؟ أقصد أنه ضمتي بين ذراعيه، فهر هذا العناق كياني، وظننت أنني سأموت.

- يا إلهي!

- لقد فعل ذلك بطريقة دمرت حياتي وبدون أي مبرر.

- وكيف ذلك، يا عزيزتي؟

طرحت إيمي سؤالها بعنان بالغ، فبادلتها جثثيف النظر مجفلة: «كوني واقعة، يا إيمي، كيف يمكن أن أنزوج كولين بينما عانقني بلين؟ أنا خائفة من بلين».

- هل وصل الأمر إلى هذا الحد؟

نظرت إليها إيمي بشفف وتفهم، فردت: «القد قلب حياتي رأساً على عقب، يا إيمي. ربما لم يقصد ذلك، لكنه فعل. كنت راضية بالأمر الواقع تماماً. إنما الآن! لقد أصابني بما يشبه السهم، وهذا غريب فهو أيضاً يستعد للزواج».

سألتها إيمي وهي تغلق علبة الشوكولا: «أظنك تعنين «سالي فينيك»».

- طبعاً أعني سالي. إنها جميلة ورفقة، وهما صديقان حميمان منذ زمن بعيد. ستحضر سالي العرس، وقد نزلت في الفندق نفسه الذي نزل هو فيه. حتى أن «هيلاري» أخيه تحبها وراضية عنها وهي تقول إن الزواج لم بعد بعيداً الآن.

- أحقاً؟ كنت أظنهما علاقة من جانب واحد.

- هذا لأن بلين لا يكشف عما في نفسه.

- وقد عائقك عناقاً غير عادي كما يبدو.

فاحمر وجه الفتاة: «ولكن كل ما يفعله بلين هو بهذا الشكل، أليس كذلك؟ إنه لا يدرك أنه...».

فأكملت إيمي لها الكلمة المناسبة: «أنه قوي التأثير».

فقالت جثثيف بصوت منخفض: «رباه، كم أكرهه!».

- لماذا لا تخبريه؟

فهمست جثثيف: «القد فعلت. قلت له إنني أريده أن يخرج من حياتي، أخبرته أنني سمت من طرقه الاستبدادية، فأنا لم أقم طوال سنوات بعمل يرضيه».

- لماذا لا تخبريه مجدداً؟ فقد تنجحين هذه المرة.

ذكرت جثثيف قليلاً ثم هزت رأسها: «لن أراه قبل يوم الزفاف».

- أخبريه الليلة إذن. ما الخطأ في هذا؟

- أتعنين أن أذهب إلى فندقه؟

فأومات إيمي: «لو كنت مكانك، لما انتظرت لحظة».

- لماذا تقولين يا إيمي، يا حبيبي؟

- ما كان ينبغي أن أقوله من قبل. أخبري بلين ما حاولت أن تخبرني به أمك، وهو أنك لا تستطيعين المضي في هذا الزواج. انتصب جثثيف ونظرت إلى صديقتها بحذر: «استفده الصدمة صوابه».

- أتخيل ذلك.

- لا أحد في أسرة كورتلاند يقوم بعمل كهذا.
- هذا أفضل من أن يقدم على غلطة فظيعة.

ومالت إيمى لتمسك بذراع جنثيف، ثم تابعت نقول:
- بلين رجل استثنائي. أنسجمت له عمماً في قلبه، ودعني الباقى له.
فقالت بذعر: «لا أدرى إن كنت سأجرؤ. هذا فظيع. المنزل جاهز،
والكنيسة جاهزة. ملابستنا معلقة في الخزانة، وقد كلفت ثروة. ثلاثة
مدعوون. الهدايا كلها هنا. ولا أدرى إن كان لدى الشجاعة الكافية.
ولا أظن أن بإمكانى أن أذل كولين وأسرته. قد يعيديني أبوه بشاحنة من
عنه، فهو ملك الشحن على كل حال».

- اسمعى. أرغمك على هذا الزواج والده من ناجة، وأمك، رغم
انكارها، من ناحية أخرى. خطبة لشهرين فقط هي خطة جهنمية، فأنت لم
تحصلى على وقت كافٍ للتتأكد من مشاعرك. واضح أن بلين غير كل
ذلك.

فيما الأضطراب البالغ على جنثيف.

- شعرت بشيء لم أشعر به قط من قبل، وهو أن بلين قد تملكتني روحًا
وجسداً وأنه كان يتظارني لأكبر. لقد أنهى عناق واحد علاقتنا القديمة.
ربما، كنت أعتبر أنا مجرد أقرباء، ولكن الأمر لم يكن كذلك في أعمقى.
أنا لا انكر أنني لطالما اعتبرته أروع رجل في العالم. لكنني كنت أظله
يراني (البنفسجة الصغيرة) ويدللني كطفلة، أتدكرين؟

- آه، أنا أذكر كل شيء. كان بلين ماهراً جداً في اختيار الكلمات.
ورغم شخصيته القيادية، والمرهبة أحياناً، كانت فيه ناحية رقيقة. يمكنه
أن يكون حنوناً جداً معك، فاذهبي إليه وانصحني له عمماً يعتمل في قلبك.
بتملكتني شعور بأنه سينزل السماء على الأرض لأجلك إذا طلبت منه ذلك.
لا، لا تنظرى إلى بهذا الشكل، فهذا صحيح.

فقالت جنثيف بحزن: «هذا ليس سهلاً يا إيمى. أظن أن بلين يريد أن
يكون انفصالتنا أبداً».

وقد نظر هيلاري كورتلاند على جنثيف لحظة دخلت الفندق،
ومجدد رؤيتها بعث الارتباط في نفس هيلاري التي كانت تستمع بوقتها.
كانت جنثيف تسير بسرعة ورشاقة لكن هيلاري رأت خلف تلك الحيوية
الظاهرة تعasse عميقه في نفس جنثيف أو لعله انزعاج؟ بدا لها أن جنثيف
تبعد عن شخص ما. ومن عساه يكون سوى بلين؟
سألها صديقتها الشاب باهتمام بالغ:
- أنظري. أليست تلك نسيتك؟
- نعم، إنها جنثيف.

أجابه هيلاري لاوية الشفتين، وأفصحت لهجتها عن مشاعرها أكثر
 مما أرادت، فلطالما شعرت بالمرارة والحرارة من جنثيف. كانت هي
اخت بلين، ومع ذلك بقيت جنثيف محظ اهتمام بلين. كانت جنثيف
 ذات العينين البنفسجيتين الكبيرتين والشعر الذهبي الكث الرائع،
مرئية معطفاً كحلياً بسيطاً وتميضاً أزرق، وبينطلون جينز أزرق، وحذاء
خفيفاً في قدميها، ومع ذلك بدت كعارضه أزياء في آخر مجموعة «راف
لوران». فتاة متألقة مثل أمها ذات الأنوثة الأخاذة، وقال مرفقاها بدون
لباقة:

- رباه، كم هي جميلة، أليس كذلك؟ إنها رائعة، كيف استطاع شاب
مثل كولين غاريت، حتى وإن ورث أموال غاريت، أن يكسب قلبه؟
- حسناً، لقد تمكّن من ذلك.

أجابه هيلاري بعنف وقد تملكتها الغيرة، ثم وضعت جانباً كأس
العصير الذي كان في يدها، ونهضت. بدت جنثيف متوجهة نحو المصاعد
وعليها أن تمنعها قبل أن تصعد إلى بلين. عليها أن تعترض طريقها.
قالت لصديقتها بابتسامة زانفة:

- لا تذهب. سأقول لها كلمتين ثم أعود على الفور.
فأشار صديقتها إليها بأن تذهب. ما الذي تفعله هنا وحدها في الليل؟
وفي مثل هذا الوقت؟ مهما كان السبب فهو لم يعجب هيلاري، إذ بدا

الوقت ستكونين امرأة متزوجة».

ولم تستطع هيلاري أن تمنع نفسها من الإبتسام بانتصار، وهي تضيف:

- ستدخلين حياة جديدة. سيكون اسمك جنثيف غاريت وليس كورنلاند، أليس هذا بهيجاً؟

أزاحت جنثيف بهدوء يد الفتاة عن ذراعها. لم تشعر يوماً في حياتها بالانزعاج كما تشعر الآن، ثم قالت، وقد وضعت جانباً كل سنوات التظاهر والإدعاء: «أنت لم تحبني فقط، أليس كذلك يا هيلاري؟ أرجو منك في هذه الليلة الفاصلة أن تخبريني ما الذي فعلته لك لكي تكرهيني؟» وانفجرت هيلاري بضحكة رنانة متداقة: «آه، يا جنثيف. أنت تعلمين تماماً أن وجودك دمر حياتي بأسرها».

- كيف؟ ولمَ هذا الخوف مني؟ لم أشاً أن أؤذيك، وكان يمكن أن تكون صديقتين... صديقتين حميمتين. نحن نسيتان وهذه علاقة لا تنفص لكنك لم تسمحي لي يوماً بأن أقرب منك.

- ولماذا أسمح لك بذلك في حين تمكنت من الوقوف بيدي وبين أخي؟

وبذا وجده هيلاري الجميل بشعاً الآن.

- هذا هراء، يا هيلاري، فبلين يحبك كثيراً.

- لا، إنه لا يحبني. ليس تماماً، فقلبه لك وحدك، أنت البتيمة الألب. لقد أغرتته عندما كنت طفلاً، حتى ألك سلبي حب أبي أيضاً. وصدرت عنها شهقة صغيرة، قبل أن تردد قائلة: «عندما كان أبي حياً، كان كالخاتم في إصبعك ولم يكدر يلحظني».

شعرت جنثيف بأنها على وشك الانفجار بالبكاء: «كيف جعلت كل هذه المرأة تنمو في قلبك؟ مسكنة هيلاري. أنت تحطمرين قلبي».

- لا أظن ذلك.

فأجابت جنثيف وقد جرحت في الصميم: «بل هو صحيح تماماً».

عليها الإستياء. ربما لأنها تحاول أن تفهم سبب وجود قريبتها هنا.

كانت هيلاري جميلة، سوداء الشعر والعينين، ولكنها تفتقر إلى سحر آل كورتلاند المذهل وطول قماماتهم. ووصلت إلى جنثيف التي كانت على وشك دخول المصعد، ونادتها بالاحراج لفت انتباه الموجودين:

- مرحباً، يا جنثيف.

- هيلاري. يا لها من مفاجأة.

والافتتحت جنثيف باذلة جهدها لإخفاء ذعرها من هذه الإعارة. ورغم الجهود التي بذلتها لكتسب صدقة أخت بلين الصغيرة أدركت جنثيف منذ وقت طويل، أن هيلاري لا يمكن أن تحبها.

- إلى أين أنت ذاهبة؟

لم تشا جنثيف على الإطلاق أن تثق بهذه الفتاة المتنقلة المزاج، ولكن أي عذر آخر يمكنها أن تقدمه؟ لذا قالت ببساطة:

- أريد أن أرى بلين لحظة واحدة. قال موظف الاستقبال إنه موجود.

- في الواقع هو لم يخرج.

وأنسكت بذراع جنثيف تشدها بعيداً كمن يغضي بسر، ثم أردفت:

- إنه يمضي الليلة مع سالي. لقد تناولا العشاء معاً في الفندق، وهو معها الآن... هل تدركين ما أعني؟ لو كنت مكانك، لأرجأت كل سؤال حتى الصباح. لا أظنك تريدين أن تربكيهما.

وأدانت عينيها وهي تبتسم ابتسامة ماكراً.

شعرت جنثيف بمثل سهم يخترق صدرها، وتملكتها رغبة في الهرب.

- لا أظن ذلك، يا هيلاري.

فقداتها هذه إلى حيث يوجد كرسيان.

- أسمحي لي أن أنسحبك. عليك حقاً أن تحاولي التغلب على عادة اللجوء إلى بلين لاتمام المساعدة.

نهايتها بلطف، وحاولت جاهدة أن تخفي غيرتها: «غداً في مثل هذا

وقد تخلصنا منها أخيراً، كما فكرت في سرها.
- لا نقولي هذا.

قال بلين هذا محذراً بصوت غريب جعل هيلاري تنظر إليه بذعر، ثم سأله لتحول انتباهه: «أين سالي؟». قال وهو لا يزال عابساً: «رحلت منذ ساعة، وأنت تعلمين هذا حتماً، فقد مررتنا بقريكمـا أنت وصديفك». فقالت كاذبة: «لم أركـا... سالي فتاة رائعة، وأنا وأمي مسروقاتـان جداً لأنها المرأة التي اختـرتـها».

قال بنغاد صير: «لا تكوني غبية، أملـكـ لا تـفـكـرـ فيـ أـشـيـاءـ كـهـذـهـ.ـ أـمـاـ بالـنـسـبـةـ إـلـيـكـ،ـ فـهـذـاـ مـاـ تـمـنـيـتـهـ.ـ هـلـ أـنـتـ وـاثـقةـ مـنـ أـنـ كـلـ مـاـ أـرـادـهـ جـنـثـيـفـ هوـ إـلـقاءـ التـحـيـةـ».

- وماذا غير ذلك؟

تمـنـتـ هـيلـارـيـ لوـ تـهـربـ،ـ لـكـنـهاـ بـدـلـاـ مـنـ ذـلـكـ قـالـتـ:ـ «إـنـهاـ فـوقـ السـحـابـ،ـ هـيـ نـسـبـيـتـيـ وـأـنـاـ أـعـرـفـهـاـ».

- لماذا إذن لم تقبلـيـ أنـ تـكـوـنـيـ منـ بـيـنـ اـشـبـيـنـاتـهاـ.
تحـداـهاـ بـلـيـنـ بـهـذـاـ السـؤـالـ وـهـوـ يـرـمـقـهـاـ بـنـظـرـةـ ثـاقـبةـ جـعـلـتـهـ تـشـعـرـ بـأـنـ نـوـابـهاـ مـكـشـوفـةـ.ـ وـحاـولـتـ أـنـ تـمـزـحـ:ـ «أـنـتـ تـعـلـمـ أـنـ جـنـثـيـفـ طـوـيـلـةـ جـدـاـ وـكـذـلـكـ صـدـيقـاتـهـ.ـ فـلـمـ أـشـأـ أـنـ أـكـوـنـ أـضـحـوـكـةـ وـسـطـهـنـ،ـ وـجـنـثـيـفـ تـفـهـمـتـ ذـلـكـ،ـ تـعـالـ وـاجـلـ مـعـنـاـ دـقـيـقـةـ».

وـكـانـتـ بـهـذـاـ تـعـلـمـ أـنـهـاـ تـبـعـ أـخـاهـ الـذـيـ قـالـ:ـ «لاـ شـكـرـاـ،ـ أـرـيدـ أـنـ أـتـرـكـ خـبـرـاـ فـيـ المـكـتبـ،ـ تـصـبـحـيـ عـلـىـ خـيـرـ،ـ يـاـ هـيـلـارـيـ،ـ أـحـلـامـاـ سـعـيـدـةـ».
وـفـقـدتـ عـلـىـ رـؤـوسـ أـصـابـعـهـاـ تـقـلـ وـجـتـهـ قـاتـلـةـ:ـ «ولـكـ أـيـضاـ يـاـ أـخـيـ،ـ سـيـكـونـ غـدـاـ يـوـمـاـ رـائـعاـ.ـ وـأـنـاـ مـتـشـوـقـةـ بـقـدـرـ جـنـثـيـفـ لـهـذـاـ الـيـوـمـ السـعـيـدـ».

* * *

فـاـبـتـسـمـتـ هـيـلـارـيـ بـمـاـ يـشـبـهـ المـوـذـةـ:ـ «لـهـذـاـ أـنـاـ مـسـرـوـرـةـ بـزـواـجـكـ.ـ كـتـ أـعـلـمـ أـنـكـ،ـ يـوـمـاـ مـاـ،ـ مـسـخـرـجـيـنـ مـنـ حـيـاتـنـاـ».
فـوـقـتـ جـنـثـيـفـ بـاحـتـجاجـ:ـ «هـذـاـ مـسـتـحـيلـ.ـ كـيـفـ تـشـعـرـيـنـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ أـوـ تـقـولـيـنـ كـلـامـاـ كـهـذـاـ فـيـ وـجـهـيـ،ـ وـمـعـ ذـلـكـ تـحـضـرـيـنـ عـرـسـيـ؟ـ».
نـظـرـتـ هـيـلـارـيـ إـلـيـهـاـ وـالـحـقـدـ يـلـمعـ فـيـ عـيـنـيـهاـ،ـ ثـمـ قـالـتـ:
- فيـ هـذـاـ الـيـوـمـ،ـ يـاـ عـزـيزـتـيـ الـحـلـوـةـ الرـائـعـةـ جـنـثـيـفـ،ـ سـيـسـلـمـكـ أـخـيـ إلىـ رـجـلـ أـخـرـ إـلـيـ الأـبـدـ.

* * *

كـانـتـ هـيـلـارـيـ لـاـ تـزـالـ جـالـسـةـ فـيـ مـكـانـهـاـ وـقـدـ سـرـهـاـ أـنـهـاـ تـخـلـصـتـ جـنـثـيـفـ،ـ عـنـدـمـاـ ظـهـرـ بـلـيـنـ أـمـامـهـاـ فـجـأـةـ فـكـادـتـ تـقـزـ مـجـفـلـةـ.ـ سـأـلـهـاـ بـالـحـاجـ:
- أـلـيـسـ تـلـكـ جـنـثـيـفـ؟ـ

جـاهـدـتـ هـيـلـارـيـ لـكـيـ تـمـالـكـ نـفـسـهـاـ.ـ كـيـفـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـنـكـرـ ذـلـكـ الشـعـرـ الـذـهـبـيـ،ـ وـالـقـوـامـ الـمـشـوـقـ،ـ وـالـحـرـكـاتـ الـرـشـبـقـةـ؟ـ
- بـلـيـ،ـ مـرـتـ فـقـطـ إـلـقاءـ التـحـيـةـ.

وـحـاـولـتـ أـنـ تـبـسـمـ وـهـيـ تـفـكـرـ بـسـرـعـةـ.
- هـذـاـ غـرـبـ تمامـاـ.
وـبـلـيـنـ مـضـطـرـيـاـ،ـ فـنـهـضـتـ وـأـسـكـتـ بـذـرـاعـ أـخـيـهاـ:ـ «لـبـسـ غـرـبـيـاـ فـيـ الـوـاقـعـ.ـ فـهـيـ تـقـيمـ الـلـبـلـةـ حـفـلـاـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ الـفـتـيـاتـ.ـ وـتـلـكـ كـانـتـ سـيـارـةـ جـنـثـيـفـ الـمـرـكـونـةـ أـمـامـ الـفـنـدـقـ،ـ آـسـفـ إـذـ فـاتـكـ رـؤـيـهـاـ».

- وـكـيـفـ كـانـ حـالـهـاـ?
فـقـالـتـ لـهـ بـيـرـاءـ بـالـفـلـغـةـ:ـ «بـدـتـ سـعـيـدـةـ لـلـغـاـيـةـ،ـ لـمـ أـرـ مـنـ قـبـلـ فـتـاةـ عـاشـقـةـ إـلـىـ هـذـاـ الـحدـ».

فـتـوـتـرـتـ شـفـتـاهـ:ـ «يـاـ لـلـحـمـقـاءـ!ـ لـنـ يـسـعـدـهـاـ أـبـدـاـ».
فـقـالـتـ مـصـرـةـ عـلـىـ اـحـضـانـ ذـرـاعـ أـخـيـهاـ:ـ «بـلـ سـيـسـعـدـهـاـ،ـ يـاـ بـلـيـنـ،ـ فـهـيـ حـبـ حـيـاتـهـ».

٢ - يوم الزفاف

3

جلست اثبيتات جنثيف الأربع، في غرفة أنها الفسيحة ورحن
يشترن ويضحكن. وكانت الفتيات قد اتبعن حمية فاسية طوال الشهر
الماضي، ليتمكنن من ارتداء ثوباهن الجميلة والتزيين باللآلئ الوردية التي
أهداهن إياها العريس كولين غاريت، وربث جورج غارييت ملك الشحن.
ـ حان الوقت لتفكيري في ارتداء ثوبك يا جنثيف.

الاحت عليها أنها تستعجلها، شاعرة بالإستياء من نقص الحماسة لدى
ابتها: «القد تأخر الوقت».

والتفت انجل إلى نيفاني، ففهمت هذه وتوجهت إلى غرفة ملابس
انجل وأحضرت ثوب جنثيف وهي تقول: « جاء دور العروس».

حاولت نيفاني إظهار المرح، لكنها، هي أيضاً، تملكتها القلق للنظر
البادية في عيني صديقتها، التي تركت في نفسها الما بالغاً. لا يمكن أن
يكون هذا مجرد توتر في الأعصاب، إذ بدت جنثيف وكأنها لا ت يريد أن
تنزوج، أفله ليس بكونها عروس، رغم أن كثيرات، بمن فيهن نيفاني
نفسها، يجدن كولين بالغ الجاذبية.

و�향ت مونانا وهن يتجمعون حول الثوب: «يا إلهي! جماله يخطف
الأنفاس».

فقالت أستريد التي عقصت شعرها الداكن على رقبتها: «أتشوق
لرؤيتك فيه، يا جنثيف. هيا، توتر أعصابك جعلك شاحبة اللون».

استطاعت جنثيف أن تضحك لكلام صديقتها، وردت:
ـ أشعر وكأنني أتنازل عن حياتي.
وخطت داخل ثوبها ثم وقفت جامدة بينما راحت أنها تجر السحاب
من الخلف.

قالت انجل وهي تأوه بشكل مبالغ فيه: «يا إلهي، لقد أصبحت
جنثيف هزلة تماماً. يحتاج الشخص إلى ثانية أخرى».
فقالت جنثيف وهي تبتعد بهدوء: «لا بأس بالثوب ولا داعي لهذه
الضجة. لا أريد ضجة».

ـ كما تثنين يا عزيزني، كما تثنين.
تكلمت انجل بلهجة خالطتها نبرة حنان أمومي نادرة، محاولة بذلك
التحفيظ من نظرة اللوم التي رأتها في عيني نيفاني. يا لواقعة هذه الفتاة!
يجب أن يؤمنها أحد على سلوكها هذا. راحت انجل تحدق في وجه ابتها
وقد تملكتها موجة ذعر باردة.

حاولت جنثيف أن تفتح لها قلبها، لكنها لم تشا الإصقاء، وما زالت
ترفض ذلك حتى الآن. فلقد كانت متلهفة لكي تزوج ابتها من الرجل
المناسب، رجل يعرف كيف يحترم حمانه الجميلة ويغفرها بالهدايا.
حاولت انجل أن تركز اهتمامها على ابتها التي بدت شاحبة جداً على
الرغم من السمرة الذهبية التي تسبغها شمس الصيف دوماً على بشرة
جنثيف. وكانت عينيها البنفسجيتان من الاتساع بحيث ملأت وجهها.
ربما يجب أن تكون حمرة شفتيها داكنة أكثر.
ـ والآن، النقاب.

افتربت مونانا، وهي الوحيدة التي لم تشعر بالتوتر أو ربما فسرته
بخوف العروس المعتمد وتوتر أعصابها، وحملت معها النقاب الشفاف،
والتاج المصنوع من ثلاث وردات حريرية. وضعتهما على رأس صديقتها،
مبقية شعرها الطويل متسللاً على كتفها، ثم قالت: «انتهينا يا حلولي».
ونظرت مونانا البالغة الجمال إلى صديقتها متاملة، فرأت على وجه

يُفْعَلُ، لاستطاعت أن تختبئ من مشاعرها بسهولة. لكنها الآن فهمت الحقيقة... وأدركت أنها تورطت في هذا الزواج لأن العريس كان لطيفاً معها للغاية ومرد ذلك طبعاً إلى طفولتها المحرومة من المشاعر. فكيف نصوّرت أنها تحب كولي؟

وبدأت تسأّل عما إذا كانت تعرف حتى ما هو الحب. بين ليلة وضحاها تحولت إلى امرأة مختلفة، ولكن عليها أن تتحلى بالشجاعة للتصرف. عليها إما أن تمضي قدماً لكي تتجنب الفضيحة التي ستحدث، وإما أن تجسّس نفسها في غرفتها وترفض الخروج. ليتها استطاعت أن تتحدث إلى بلين الليلة الماضية!

غمـرـ الـحزـنـ قـلـبـهـ وأـدـرـكـتـ أـنـ عـلـيـهـ أـنـ نـسـجـمـعـ قـوـتـهـ لـكـيـ تـمـحـوـ بـلـينـ منـ ذـهـنـهاـ،ـ فـزـوـاجـهـ مـنـ سـالـيـ بـاتـ وـشـبـكـاـ،ـ كـمـ أـعـلـمـتـهـ هـيـلـارـيـ،ـ لـكـنـهاـ لـنـ تـقـوـىـ عـلـىـ الـحـضـورـ.

ضـاعـ مـنـهـ بـلـينـ إـلـىـ الأـبـدـ،ـ وـهـذـاـ بـالـذـاتـ مـاـ جـعـلـهـ تـمـضـيـ فـيـ هـذـاـ زـوـاجـ.

وصرخت أنجيل: «حان وقت الحفلة. أنا واثقة من أنك أجمل عروس رأيتها في حياتي». وتمثّلت استريلد ليفاني: «بعض الناس محظوظون على جميع الصدفة».

نزلن السالم الرخامية العملاقة، وتمت تيفاني لو أنها أذعنـت لرغبتـهاـ فـيـ إـقـاعـ صـدـيقـتـهـ جـنـثـيـفـ بـالـعـدـوـنـ عـنـ هـذـاـ زـوـاجـ.

- يـبـدوـ أـنـ حـمـاسـ أـنـجـيلـ لـمـ يـنـعـكـسـ عـلـىـ جـنـثـيـفـ.ـ يـبـدوـ وـكـانـهـ تـرـيدـ أـنـ تـهـربـ.

همست تيفاني بذلك لاستريلد التي أمسكت بكم صديقتها. قائلة: «هـذـاـ رـاعـيـ!ـ إـذـاـ لـمـ تـشـأـ جـنـثـيـفـ أـنـ تـزـوـجـهـ،ـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـتـزـوـجـنـيـ».

في الطابق السفلي، كان بلين كورنلاند واقفاً في مدخل الردهة المبلطة بالرخام والعزبة بمختلف أنواع الورود والرياحين. بدا متألقاً في

جنثيف تعابير مختلفة كافية لأن تشير قلقها. صحيح أن كولي غني جداً، ومرح جداً، لكن لا يمكن أن يقارن بشخص مثل... مثل ابن عم جنثيف، مثلاً، بلين كورنلاند تاجر المواشي. لكنه قريبها، وهو من يفترض به أن يسلمها إلى عريتها في الكنيسة.

- جـنـثـيـفـ مـتـوـرـةـ الأـعـصـابـ قـلـيلـاـ.

وـنـظـرـتـ أـنـجـيلـ إـلـىـ اـبـنـهـ مـشـجـعـةـ.

- الأـعـرـاسـ الـكـبـرىـ مـقـلـقـةـ دـوـمـاـ.

وـأـخـذـتـ،ـ هيـ وـمـوـنـتاـنـاـ نـسـوـيـانـ التـقـابـ الطـوـرـيـلـ.

- تـبـدـيـنـ رـائـعـةـ حـقـاـ،ـ يـاـ جـنـثـيـفـ،ـ أـنـتـ تـبـعـثـنـ الدـمـوعـ فـيـ عـيـنـيـ.ـ وـقـبـلـتـ مـوـنـتاـنـاـ وـجـنـةـ صـدـيقـتـهـ بـرـقـةـ فـائـقـةـ قـائـلـةـ:ـ «ـأـتـمـنـيـ لـكـ السـعادـةـ.ـ وـأـنـاـ مـنـأـكـدـةـ مـنـ أـنـ كـوـلـيـ لـنـ يـدـعـ الـبـسـمـةـ تـفـارـقـ ثـغـرـكـ أـبـداـ،ـ وـلـوـ لـأـنـ يـحـبـكـ أـنـتـ لـلـاحـقـنـهـ أـنـاـ نـفـسـيـ».

قالـتـ أـنـجـيلـ تـخـاطـبـ اـبـنـهـ:ـ «ـإـرـفـعـيـ رـأسـكـ يـاـ جـنـثـيـفـ وـحاـوـلـيـ أـنـ تـبـسـمـ،ـ أـرـجـوكـ».

بدـتـ أـنـجـيلـ رـائـعـةـ فـيـ ثـوـبـهاـ الـفـيـرـوـزـيـ الـمـوـشـعـ بـالـلـوـنـ الـذـهـبـيـ الـذـيـ يـتـلـامـعـ تـعـاماـ مـعـ الـقـبـعـةـ الـتـيـ اـعـتـمـرـتـهـاـ،ـ كـفـرـاشـةـ اـسـطـوـرـيـةـ هـبـطـتـ مـنـ النـجـومـ.

لمـ تـكـنـ جـنـثـيـفـ وـاثـقـةـ مـنـ أـنـ بـامـكـانـهـ أـنـ تـبـسـمـ،ـ فـالـمـشـاعـرـ الـمـتـضـارـيـةـ تـعـذـبـهـاـ،ـ كـمـ أـنـهـ اـبـتـدـأـتـ تـشـعـرـ بـتـقـلـصـ فـيـ مـعـدـتهاـ.ـ فـهـيـ،ـ مـنـ نـاحـيـةـ،ـ لـاـ تـرـيدـ أـنـ تـصـبـحـ مـحـطـ أـقـاـوـيلـ الصـحـفـ الـتـيـ سـتـبـارـىـ فـيـ وـضـعـ الـلـوـمـ عـلـيـهـاـ،ـ وـالـإـشـارـةـ إـلـىـ سـمـعـةـ أـمـهـاـ الـمـتـقـلـبـةـ وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ وـجـدـتـ نـفـسـهـاـ عـاجـزـةـ عـنـ إـيـذـاءـ كـوـلـيـ الـذـيـ يـرـيدـهـاـ وـذـيـ وـثـقـهاـ.ـ لـمـ تـكـنـ وـاثـقـةـ تـعـاماـ مـنـ أـنـ يـحـبـهاـ،ـ فـهـوـ لـمـ يـظـهـرـ لـهـ أـيـ مشـاعـرـ جـيـاشـةـ،ـ وـقـدـ أـدـرـكـتـ ذـلـكـ الـآنـ.

شعرت بأنـهاـ حـمـقـاءـ،ـ نـعـمـ،ـ حـمـقـاءـ هـيـ الـكـلـمـةـ الـمـنـاسـبـةـ الـتـيـ سـتـبـعـشـ عـلـىـ الدـوـامـ.ـ حـمـقـاءـ تـعـرـضـ حـيـاتـهـاـ لـلـحـيـرـةـ وـالـخـرـانـ.ـ كـانـ بـلـينـ مـحـقاـ كـالـعـادـةـ،ـ وـتـمـتـ فـقـطـ لـوـ أـنـهـ لـمـ يـعـانـقـهـاـ.ـ لـأـنـهـ لـوـ لـمـ

ستره وسرواله الرماديين وقمصه الأبيض وربطة العنق الزرقاء المثبتة بدبوبس ماسي. لكن وجهه الوسيم فارقه كل بسمة. هو أيضاً، لم يكن يشعر ببهجة العرس رغم أن الجميع يعرف أنه هو من دفع التفقات.

همست مونتانا لبيتلوب: «إلهي... أليس رائعاً، سيد المواشي هذا؟»

ثم أضافت والبهجة تملكتها لوجودها في هذا المحيط المترف البالغ الشراء والتألق: «أنا مولعة بالسمير ذوي الفمارة في الذقن».

- إنه على وشك الزواج بسالي فيتويك يا عزيزتي. وهي من أسرة معروفة.

فقالت مونتانا متأوهة: «ولكن ألا ينبغي أن يذكره أحدهم أننا في عرس ولبس في ماتم، فهو يبدو خائناً بعض الشيء. أظن يا تيفاني أن ثمة خطب ما».

هذا صحيح فجنثيف لا تبدو سعيدة، وكذلك قريبتها الذي يشبه تماماً صورة الرجل الذي حلمت جنثيف بأن تتزوجه. راودت هذه الأفكار تيفاني وهي تعلم أن ذلك يصعب حصوله. فتيفاني تعرف منذ أكثر من إحدى عشرة سنة أن جنثيف ترى في بلين مثلها الأعلى.

نزلت جنثيف بيظه وخوف إلى الردهة الرائعة ذات الأعمدة الرخامية الشبيهة بمعرض فيني.

لكنها اليوم، لم تلحظ الأعمال الفنية، ولا السقف المزخرف، ولا الثريات التي تخطف الأنفاس ولا المرأة المذهبة الرائعة، فعيناهما شاختستان إلى بلين وهي تفك في أن جبها له سيقى سرها المأساوي الدفين. بدارائعاً، لكن وجهه المرفوع إليها بروزانة بالغة، وهذا اللمعان في عينيه، جعلها تشعر وكأنها نفرق في بحيرة من الفضة.

ولكن عندما مدت أخيراً يدها إليه، وكانتما تجذبها إليه قوة مغناطيسية هائلة، أخذت رأسه يقبل وجنتها، متنمماً:

- مرحباً، يا طفلتي البريئة. تبدين رائعة. كنت أعلم أنك ستبدين

كذلك.

وازداد انخفاض صوته حتى لم يعد يسمعه سواها: «أريد أن أعلمك بما جنتيف أنني سأكون دائماً إلى جانبك، مهما حدث. لن أدع أحداً يؤذيك أو يسبب لك التهارة».

صدر عنها صوت خافت معذب، والتهت عينها البنفسجيتان.

- آه، يا بلين. لماذا لم استطع أن أتحدث إليك الليلة الماضية؟ قطب حاجبيه على الفور، وسألها بلهفة والحادي: «هل أردت التحدث إلى عندما جئت إلى الفندق؟».

سرى توتر تقليل بينهما، وبدا الضيق في وجهه، وفي عينيه. فخافت مما سيؤدي إليه هذا.

- لا يأس يا بلين، في مطلق الأحوال، كان الأولان قد فات.

- ماذ؟

وأنمسك بيديها الإثنتين، مضيفاً: «أريد أن أعرف ما تعنين، يا جنثيف؟ لا تخافي».

لكتها خائفة... وراحت تفكير بحرارة: أنا خائفة منك وما تعنيه لي، خائفة من مشاعري التي نمت وفتحت كأزهار بربة خفية.

- هيا يا بلين وجنتيف.

نادتها الجميل، التي كانت مشغولة بثبيت مشبك سوارها الماسي وراحت ترميهم بنظرات قلقة خلطالما أدركت أن بين بلين وابنتها رباطاً عميقاً خفياً لا ينفصّم.

تجاهلها بلين، مركزاً كل اهتمامه على جنثيف وهو يقول: «جنثيف، عليك أن تخبريني الحقيقة. أتحبين هذا الرجل؟».

سادت لحظة صمت... عليها أن تخبره الآن أو أن تصمت إلى الأبد. ثم تذكرت سالي وهي تبتسم مزهوة في احتفال البولو هذا العام لأنها ترتبط ذراعه.

وقالت جنثيف بهدوء: «أعجب أن أحبه يا بلين. فأنا سأتزوجه».

- هل هذا ما تريده حقاً؟
كان واضحاً أنه لم يصدقها.
- رباه، أنت عنيد يا بلين.

أرادت أن تعاقبها كما عاقبها، فتكلمت بغضب وبالمبالغة.
كان عليها أن تمنعه من طرح مزيد من الأسئلة، فقد فات الأوان.
- سامحيني، وأتمنى لك كل السعادة.
- أعلم أن هذا غير صحيح.

ووجدت جنثيف نفسها تقول له هذا بعطف بعد أن لم يعد لديها ما تخسره. فقال لها محذراً وقد ضاقت عيناه: «انتبهي إلى ما تقولين».
كان الجميع مسحوراً تماماً عند مدخل الردهة بما يحدث بين جنثيف وابن عمها. ورغم أن أحداً لم يسمع ما يدور بينهما، إلا أن نظراتهما فضحت الكثير. كان هناك حزن، وغضب وألم، وخصام. وبدا وجه جنثيف شاحباً للغاية، لكن الاحمرار أحرق وجنتيها.
لم يكن ذلك يبني بالخير، وشعرت انجليل بأنهما قد يرحلان معاً،
وإذاً أوشك اليأس أن يتملكها، تدخلت قائلة: «المصوروون!».
والتفت بسرعة تشير بإصبعها إلى مصور شهير بتنظيم الأعراس، لكنه لم يتحرك.

- علينا أن نتوجه إلى الكنيسة الآن.

- ما زال أمامنا متسع من الوقت، يا انجليل.

قال بلين هذا وهو يلقي نظرة على ساعته، شاعراً وكأنه أسد يريد أن يحمي صغاره. فلا أحد يمكنه أن يرغم جنثيف على هذا الزواج.
بلين رجل قادر على أي شيء. أخذت انجليل تفكير في ذلك وهي تدفعهما بعجلة إلى غرفة الاستقبال الرسمية الفخمة المطلة على ميناء سيدني. ثم قالت له بصوت خافت كهدية للحمام داعية الله أن يجعله يهدأ: «تعال».

بدت الصرامة على وجهه وهو يتقدم ليقف إلى جانب انجليل ثم يقول

لها: «تصرفات جنثيف لا تعجبني. إذا لم تكون سعيدة بهذا الزواج، فما زال هناك وقت للعدول عنه».

دب الذعر في نفس انجليل ف وقالت له: «بلين، عزيزي. يستحيل أن تكون جاداً. كانت جنثيف تخبرني كل يوم بمدى سعادتها وحبها لكولين، لقد خلقا لبعضهما البعض، روحأ وجسداً».
أثبتت انجليل حقاً أنها ممثلة متفوقة.

- كلام فارغ. عندما تكونين مغفرة، لا تبدين كما تبدو هي الآن. أنا أعرفها جيداً.

- يا إلهي، يا عزيزي، أنت لم تجرب الحب بجنون قط، فكيف تعرفه؟

- الأمر بسيط. كل ما عليك فعله هو أن تأخذني عطلة بعض الوقت ونحاولي أن تفهمي ابتك. على كل حال، جميع النساء اللواتي عرفتهن لا يزلن صديقاتي، وهذا لا ينطبق على زوجيك ومجموعة المشاق الذين يعتاشون من ورائك.

عبسَت انجليل، من دون أن تنزعج من الحقيقة القاسية.

- أنت تحب أن تقول مثل هذه الأمور، أليس كذلك يا عزيزي؟
يمكنك أحياناً أن تكون مخيفاً، يا بلين؟

- نعم ما دام ذلك في سبيل سعادة جنثيف وخيرها. أنظري إليها يا انجليل. إنسي نفسك وخططك وانظري إلى جنثيف وإلى شحوبها.

وكان نظره مصوبياً إلى وسط القاعة حيث تقف جنثيف للتصوير.

- يا إلهي، لا أصدق هذا.

تمتن بلين بذلك وهو يلوم نفسه لأنه لم يخطف العروس بكل بساطة. وتوانرت إلى ذهنه مئات الذكريات عن جنثيف الحلوة بعينيها البنيجيتين المشعدين وحصلات شعرها الثائرة.

كان في العاشرة من عمره عندما أحضر ستيفن، ابن عم أبيه المفضل، ابنته الصغيرة إلى «جوبيلي». وكان صبياً صعباً عنيداً قد عرف قبله اليأس

لطالما كان لديك دافع قوي للاحتفاظ بجثثيف نفسك^١.
وابتسمت انجليل عندما رأى برنارد المصور يسوى نفاب جثثيف الطويل.

- أليست باقة زهورها رائعة؟

أجاب بلين باختصار يمكن تفسيره بسهولة بعدم الموافقة: «إنها أجمل مخلوقةرأيتها في حياتي، ولكن لا أحد، حتى جثثيف نفسها، يمكن أن يقنعني بأنها تحب كولين. ولا أستطيع أن أراها تتزوج رجلاً لأنجليه». وعندما أكمل حديثه من دون مقاطعة، وضعت انجليل بدأ مرتجفة على صدرها مغالية دموعها لثلاثة الكحل في عينيها، وقالت: «بلين، ربما لديك مشكلة، ولكن جثثيف لا». ورفعت وجهها إليه، فوجدت عينيه الرائعتين تخترقان أعماقها رغمها عنها.

- لا يمكنك دوماً أن تسير حياتها. أنت هنا لتسلّمها إلى عريتها، يا عزيزي. بعد أقل من نصف ساعة ستصيران، أنت وجثثيف في مر الكنيسة بكل روعة، نحو المذبح. أنا أعرف أن حياتكما، ستتغير، ولكن أنظر إلى الأمور من الناحية الإيجابية. لن تضطر للقلق من أجلها بعد الآن، ولن يكون عليك أن تسدّد فواتيرها.

قالت هذا كله بدون أي حرج، لكن بلين أجابها بنبرة خفيفة من الإزدراء: «تحن لا تتحدث عن المال. ولو أنتي واثق من أن جثثيف ستتزوج الرجل الذي تحبه لاختلف الأمر».

- بلين، عزيزي.

جرّبت انجليل أكثر لهجاتها إقناعاً، مائدة برأسها إلى الخلف لتتمكن من النظر إلى عينيه مباشرة.

- أخبرتني ابنتي اللبلة الماضية أنها لم تكن يوماً سعيدة كما هي الآن ولن تحتاج شيئاً في حياتها. أليس هذا رائعاً؟
لم يتنهج بلين على الإطلاق لما سمعه، فأجابها بحدة: «ومن يهتم

لأن أمه الرائعة الجمال تركته وأباه وهربت من المنزل. وكان ذلك حدثاً غير متوقع على الإطلاق ومنافية للأخلاق إلى حد جعله يظن أحياناً أنه لا يزال تحت تأثير الصدمة.

دخلت جثثيف حياته في الوقت المناسب. وعلى مدى سنوات منحها كل ما استطاع قلبها أن يحوّي من حب، فقد كانت بريئة حلوة ذكية وكريمة في حنانها وعطافها.

وعندما ابتدأ ستيفن وانجليل يبتعدان، جاءت جثثيف لتمضي مزيداً من الوقت في جوبيلي حيث عادت إلى (عزيزها) بلين. كما كانوا قريبين من بعضهما البعض حينذاك. علمها كل شيء: السباحة، وركوب الخيل واستعمال البنادق، أما ما لم يستطع أن يعلمها إياها فهو اختيار الرجل المناسب. وفي الواقع، منذ بلغت جثثيف السابعة عشرة تملّكه القنوط من اختيارها، إذ لم يجد أيّاً من الذين اختارتهم مناسباً لها. وعلى الأخص غاريت، رغم ثراه، فقد كان ينقصه الجوهر. وكلما حاول أن يشد قبضته عليها، ثار غضبها، مدعية بأنه بعد كل الحب الذي أكّنه لها في الماضي، أصبح الآن يزدرّيها.

لكن ذلك لم يكن صحيحاً، فهو ينوق إلى تلك العلاقة القديمة التي ربطهما. وفي السنوات القليلة الماضية نشأ بينهما شعور غريب من التكفل والإرتباك والكبت لم يعرف أيٌ منهما كيف يزيله ولم تعد جثثيف ترکض إليه طلباً للنصيحة أو التعزية.. أم أن هذا غير صحيح؟ ما الذي كانت تفعله في الفندق الليلة الماضية؟ أخبرته هيلاري بأن جثثيف زارتتها هي. كان عليه أن يتبعه أكثر لخداع أخيه، فهي لسوء الحظ، تغار جداً من جثثيف. كل من في الأسرة يعلم هذا.

و بينما بلين شارد في تأملاته، وعيشه تتألقان كالunas، كانت انجليل تقول بمرح بالغ: «جثثيف تبدو لي سعيدة جداً، يا عزيزي. إنه توتر العرائس المعتمد، ليس أكثر».

ومدت يدها قربت على خد بلين قائلة: «أنت تقلّق من غير داع».

خارج النافذة بحزم. فلو نجرأت على القاء نظرة على بين يديه أمامها، لرأى يائسها. وراحت تغالب دموعها وتمتنعها من أن تنهمر على وجهها. بلين! أخذت تردد اسمه مرة بعد مرة في سرها محاولة أن تستمد القوة منه. أنا أحبك، وأصحابك دوماً.

كانت هذه الحقيقة أشبه بهبة ريح عصفت بقلبيها. شعرت بذهنها مشتبأً ورأسها يدور. لقد دسوها في تمثيلية من إخراج أمها. لا يمكن أن أفعل هذا ببنفسى، لا يمكن أن أفعل هذا بكلين. وشعرت بالعذاب... إنه لا يستحق أن أفعل هذا به.

أجلت بعف حين مد بين يديه فجأة وأمسك بيدها: «يا إلهي يا جنثيف، وكأنك تتزوجين في فصل الشتاء، يداك متجمدتان». وأخذ يدعهما حتى اشتعلت النار فيهما.

- لقد وبختني انجليل على سلوكى. أخبرتني الحقيقة التي كان علي أن أسمعها. لم أكن ريقاً للغاية معك مؤخراً، أليس كذلك؟ وكما قالت أمك، لم أظهر لك حناناً كثيراً.

كاد هذا الاعتراف منه يتحققها وترقرقت الدموع في عينيها، فهمست تقول: «أنا أيضاً لم أكن لطيفة معك، الغريب هو أن طبعي لا يسوء إلا معك. أنت تجعلني أنمُّق غضباً».

فقال بحفاء: «هذا واضح، يا طفلتي. أنا أعرف أنني مسلط، وأنني لا أحتمل ما يبدو لي تافهاً. عليك أن تراعيني في ذلك، الحقيقة هي أنني ملتزم بشيء هام حقاً، وهو سعادتك. لا. لا تبتعد عنِّي».

قال هذا ضارعاً عندما مالت إلى الخلف وأغمضت عينيها، شاعرة بأنه ينزوها، قليلاً وروحاً.

- أنا أعرفك يا جنثيف، أو أقله كنت أعرفك.

بدالمعان لا يقاوم في عينيه الجميلتين اللتين تحجبهما.

- فقط أخبريني مرة أخرى، لآخر مرة... أعدك بذلك. أخبريني بأنك تحبين بكلين، وأن جل ما تمني هو أن تتزوجيه.

بذلك بحق الله! لا أظن جنثيف من الغباء بحيث تتزوج لأجل المال». تغيرت انجليل لمثل هذا الرأي، فأجابت: «هذا صحيح بالنسبة لمن لديه الكثير. لأن المال أهم من أن لا يبالي المرء به».

فتنهى بكلين بضجر: «كل ما أرجوه هو ألا يكون رأيك رأي جنثيف أيضاً. كولين غاريت لا يستحقها، صحيح أنه راق لي عندما أحضرته جنثيف معها في العرفة الأولى إلى «جوبيلي»، لكنني لم أظن لحظة أنه الرجل الذي تفكير في الزواج منه جدياً».

كان من الصعب جداً عليه ألا يظهر حماساً في كلامه، فقالت تغافله: «تابع كلامك، يا عزيزي. أنا واثقة من أن جنثيف حاولت أن تخبرك. أنا أعلم أنك تهتم بها حقاً، ولكنك لم تظهر لها الكثير من الحنان. والحقيقة أنك ورثت سلوك أبيك وهكذا غرت جنثيف في حب بكلين والشخص الوحيد الذي لم يعلم بذلك هو أنت».

وأطلقت انجليل ضحكتها الرنانة التي بدا فيها التوفّر. لكن برنارد، المصور الاجتماعي، أوقف رد بكلين العاد: «حان دورك الآن، يا والدة العروس».

وانحنى برشاقة في اتجاه انجليل رغم أنه لم يكن يميل إليها إطلاقاً. كما أن ابن عم العروس هو تاجر الماشية المعروف، السيد بكلين كورنلاند. ولهذا، لا يمكن أن أدعك تهرب.

- يا إلهي.

تمتم بكلين بذلك بصوت خافت، شاعراً بيد انجليل الصغيرة تتسلل إلى يده وكأنه... وكأنه عزيز جداً عليها. بعد دقائق قليلة سينفرد بجنثيف في السيارة وسيعاملها بغاية الرقة والحنان، فتلمع انجليل إلى (نقص حنانه) لسعه حقاً. وهو متلهف الآن لجعل جنثيف تكشف عن مشاعرها.

* * *

جلست جنثيف داخل سيارة الليموزين الفارهة بملابس العرس الفاخرة وقد احتل الثوب المقعد، وتكون النقاب إلى جانبها. راحت تنظر

لم تسمح لها حالتها العاطفية بذكر وجه كولين.

- أرجوك، يا بلين. هلا كففت عن طرح الأسئلة؟

قال لها بذلك الرجولة المسيطرة الصلبة:

- لا. إذا كنت تخشين هذا الزواج، فأخبريني فقط. وأنا سأهتم بكل شيء.

ثم أضاف: «صحيح أن هذا الأمر يثير العجب والأقاويل لمدة قصيرة، ولكنك ستتجدين بعدها حياتك». أحقاً ستجدتها؟ وعادت بها الأنكار إلى سالي فينيك.

- أخبرتني هيلاري أنك وسالي على وشك تحديد موعد زواجهما.

ومرة أخرى أشاحت بوجهها لتنظر من النافذة بعيتين شاردتين. أعاد بلين رأسها نحوه، محباً وكارهاً مظهرها في ثوب العرس: «هل هذا ما قالته لك هيلاري الليلة الماضية؟».

سألها بغضب بالغ فأجبت وقد بلغ بها الكدر أشد: «ربما. أرجوك يا بلين لا تعذبني. احترم مشاعري».

- مشاعرك عندما تتسارع خفقات قلبك؟ عندما أستطيع قباس شعورك من خلال راحتي؟

وكانت ضحكته خافتة عنيفة. وتتابع يقول: «لو لم يكن تفكيراً جنونياً، لاعتقدت أنك تحاولين الانتقام مني لأنني عانقتك. وفي الواقع، عانقتك لا مثيل لها».

فارتحفت أنفاسها: «الماذا فعلت ذلك إذن؟ لقد صعمت حتى كاد يغمى عليّ».

فقال بذكرها بمرارة: «أذكر ذلك، فقد كنت هناك». فنظرت إليه، والفضول يتناكلها، وسألته مجدداً: «الماذا يا بلين؟ لقد غيرت كل شيء، في لحظات قليلة بالقوة».

- حقاً؟ عندما كنت بين ذراعي لم أشعر بأنك متزعجة. خفست ناظريها وقد تملكتها الضيق، ثم سأله: «ولكن ماذا عن

سالي؟».

فأصدر صوت سخط بالغ: «لا تكوني غبية بهذا الشكل. سالي مجرد صديقة، صديقة حميمة، لكنها ليست المرأة التي أحلم بها. لم أهتم يوماً لأمر امرأة كما اهتمت لأمرك».

- نعم، كحيوان مدلل، وليس كامرأة ناضجة.

- لن نعود إلى ذلك مرة أخرى، أليس كذلك؟

- أبداً، لا بد أنك تعلم أنت لا تستطيع العيش من دونك ولكن لدى خبراً لك.

وارتجفت كلماتها... كانت شاكراً لوجود الزجاج الذي يفصلهما عن السائق.

- سأتزوج كولين.

- وتدمررين حياتك؟

- أنت كريه... ولادة.

- يحزنني القول إنتي كذلك لكتك تستفزيني. أنت تعلمين ما في أعماقي المظلمة يا جنثيف، وأنت معنادة على انفعالاتي بقدر ما أنا معناد على انفعالاتك. لقد أساءت معاملتك لا سيما في المدة الأخيرة، وأنا اعتذر لهذا. ولكني خرجمت عن طوري لأنني لم أستطع أن أستمبلك أو أتفاهم معك. كنت دائمة التحدى والعصيان وأذنلتني المر في الواقع. كان في ذلك شيء من الحقيقة، وهي تراه بوضوح الان.

فقالت بحرارة بالغة: «لاتقل ذلك، فانا أحبك. أنا آسفة... آسفة. هل كلامي منطقى؟».

- لا، مع الأسف. أنت لست سعيدة وهذا واضح. أنت بحاجة إلى رجل يبعث فيك المرح والإشراق. النساء غريبات ولن أفهمهن أبداً.

لمست جنثيف تطيريز ثوبها وقد تملكتها التعاشرة: «الماذا لم تخبرني أنك دفعت ثمن كل هذا؟».

- يا ليت أملك أبقيت فمها مقفلأ.

-أشعر بالخزي البالغ.

فقال ثائراً: «يا للسخافة. أنت من الأسرة».

وبقي لحظة عاجزاً عن الكلام. وعندما نظر من النافذة صعق حين رأى أنهما وصلا إلى الكنيسة. كان مصورو الصحف هناك مع الجموع المحتشدة يتهافتون لرؤية عروس سبق وعرفوها جيداً من خلال الصفحات الاجتماعية في الصحف.

توترت ملامح بلين وهو يقول: «قد لا أكون بالغ الشهادة يا جنثيف، لكنني هنا من أجلك. إذا كنت لا تريدين هذا الزواج، فمن الأفضل أن توافقي هذا الآن».

لمع الأمل في نفسها لحظة، وإذا بها تسمع تأوهات المشاهدين لرؤيتها، فقالت له: «بحق الله، يا بلين. سينبذني المجتمع، ساعدني على إتمام الزواج».

-هل أنت مجونة؟

وشعر برغبة في ضمها إليه والهرب بها بعيداً.

-نعم.

كانت تعلم أنَّ امرها انتهى، وشعرت بالدوار عندما نزل السائق ليفتح لها الباب. لقد ولت أماليها إلى غير رجعة. ساعدني يا الله... ساعدني على التخلص من هذا الزواج قبل أن يفوت الأوان. أنا أعلم أنني أستحق هذا، لكنني لم أفهم مشاعري جيداً.

وتفجر قلبها وهي تجد نفسها واقفة في الممر الضيق والتصفيق يتضاعد. وكانت التعليقات تتضاعد من كل حدب وصوب: «أليست رائعة؟».

لكن جنثيف لم تتبه لهذا المدح. كانت تشعر وكأن ثقل الدنيا استقر على كتفيها بدلاً من نقاب ثوبها.

-حسناً؟

ومد لها بلين ذراعه، منحنياً بقامته الفارعة ووسامته المدمرة. يفترض

بها الرجل أن يسلّمها إلى عريتها، لكن التعبير البادي في عينيه اللامعنين يدل على كل شيء خلا الشعور بالقراءة العائلية وحسب.

صاحب على الدوام. أتراءها نطقت بهذا أم أنها مجرد فكرة خطرت لها.

كل ما في الأمر أنها لم تكن تعلم، ولا تفهم ذلك الحب على الإطلاق.

ووجدت جنثيف نفسها تسير كالمسحورة في الكنيسة القديمة الرائعة الجمال، متأبطة ذراع بلين التي كانت تحرق جسمها. بدا كل ما يجري كالحلم بالنسبة إليها، الموسيقى، والاشتباكات والمدعون بملابسهم الأنيقة... بعضهم اجتاز مسافات بالطائرة... آه، يا إلهي... من أجل ماذا؟ كانت المقاعد مزينة بشرائط الساتان الأبيض، والمذيع يتلقى بالورود البيضاء، ورأى كولين ينتظر هناك. تنفست وتنفست، لكنها لم تستطع أن تشق ما يكتفي من الهواء... كانت تبتعد عن كل هذا... يغمى عليها... ونراها أمام عينيها نجوم كثيرة، وكان آخر ما سمعته صوت بلين وهو ينطق باسمها...

لو أن جنثيف لم تحل ورطتها ب نفسها، لخطفها بلين بكل بساطة، مواجهًا غضب من حوله، فقد انتقلت تعاستها إليه من أصحابها الملتفة على ذراعه.

ما كان محكوماً عليه بالإخفاق انتهى. فكر في ذلك وهو يهب بسرعة ليحمل العروس المفعى عليها بين ذراعيه. راح النقاب الرائع يسبح كصحاب في النسيم الذي هب من باب الكنيسة. وارتاح بلين عندما رأى ابن عم الطبيب إمارك، يجري نحوه ليعرف جنثيف، وتعهد في قراره نفسه بآلا يتنتظر حتى تستفيق جنثيف من إغمائتها، بل سيأخذها إلى البيت إلى «جوبييلي». سيخطف جنثيف إذا اقتضى الأمر.

وبينما كان بلين يتضرر، وجنثيف بين ذراعيه خفيفة كالريشة. افترست الجيل التي بدت فجأة أكبر سنًا وتبعها كولين، العريس وأشبيهه. بدا

الجميع في غاية الارتباك وكأنهم لم يفهموا ما يجري. أما والدا العريس، جورج وفيكتوريا غاريت، فبديا مستائين للغاية وبدت الأم وكأنها تزيد استعادة خاتم الخطبة. تدافع المدعون وتعالت الهممات، بعضهم بدا مهتماً ومتعاطفناً، في حين راح البعض الآخر ينكمهن ساخراً ويتساءل عن سبب الإغماء. وابتدأت جنثيف تستفيق تدريجياً، مدركة أنها لن تقول اليوم للكاهن «نعم».

أرجى، الاختفال بعما لأوامر الطيب الذي هر رأسه بأسى إزاء نظرة ابن عمه بلين العنفة الآمرة قائلاً: «إرهاق في الأعصاب».

لم يستطع أحد أن يمنع فض التخمينات. وبعد أن أدخلت جنثيف غرفة خاصة في مستشفى معروف، دعت انجليل الجميع إلى منزلها، فبعض المدعين لا مكان لديه ليقصده. وهكذا انتهز عدد مذهل من القوم ضيافتها متلهفين للحديث عن الأمر... إذ قد يكون لدى البعض ما يفضيه من أمور مثيرة... كما أنهم سيرون منزل انجليل الشهير بترفة وفخامة.

وبعد أن عاد العريس من زيارة خاطفة إلى المستشفى حيث لم يسمح له سوى ببعض كلمات مع عروسه العبدة الشاحبة، راح يراقص إحدى إشبيليات العروس من دون أن يبدو عليه أي قلق لما حدث في هذا النهار الحافل، أو لما أخذ البعض يتهامس به حول حب العروس لابن عمتها بلين كورتلاند. لكن الغريب هو أن أحد لم يدنه، بل اعتبره الجميع، يمن فيهم العريس، الأفضل لجنثيف.

وإذا كان ذلك صحيحاً، لمَ حصل ذلك إذا؟ ما الذي جعل جنثيف وبلين يتظران حتى هذه اللحظة؟ ربما لنفهم ذلك، علينا العودة إلى الوراء... إلى البداية.

٣ - البداية

كان يوماً رائعاً... يوماً ارتفعت فيه الحرارة وومض السراب، واكتمل عند العصر بعاصفة هبت من الصحراء، وغطت كل شيء بسحب من الغبار الأحمر.

كان يوماً شاقاً حقاً، وتلهف للاستحمام وشرب كوب من العصير البارد، لكنه واصل العمل بدون كلل ولم يعد إلى بيته إلا بعد غياب الشمس المحرقة.

دخل من الباب الخلفي، لثلا ينسخ المنزل بالغبار الأحمر. كانت غرفة «الالي» مضاءة، فاتجه إليها ليلقى عليها التعبية. «ولالي» هي عمة العازية «بلين كورتلاند» التي جاءت إليهم بعد هرب أمه وبقيت حتى تزوج أباها ثانية بعد أقل من ستين. وبعد جنازة والده، دعا بلين عمتها للمعوده إلى بيتها السابق، فقبلت والدموع في عينها. وبخلاف زوجة أبيه وأخته هيلاري، كانت لالي تشاركه شفقة بالأرض ومزرعة المواشي البعيدة، موطن أسلافه. وكانت لالي فتاة برية، كما كان هو، وكما كانت... .

جنثيف.

رقت ملامحه لحظة بالرغم من مزاجه العنيد المضطرب حالياً نحوها. فقد عادت الذكريات القديمة. جنثيف... أظرف وأذكي طفلة ساحرة في العالم.
ما الذي جعلها تستحيل كتلة لهب وانفعال مستعدة لتجدداته في كل

لفتة؟ ما الذي حصل لكي تغدو علاقتها الرائعة التي تأسست على وفاء وعطف واهتمامات مشتركة، بين ليلة وضحها عنقاً وانفعالاً؟ كان من المفترض أن يكون خشناً، صلباً وليس رجلاً يغضب، ولكن هفوة واحدة من فتاة، تخرجه عن اتزانه.

تبأ لها ولعلاقتها الغرامية الحمقاء! من المحتمل جداً أن يكون آخر شاب أحضرته معها قد ضايقه، فهو لم يكن يعرف كيف يسرج فرساً. جنثيف وأصدقاؤها الشباب! جنثيف وأمها البغيضة الأنانية «أنجيليكا» المعروفة بانجيل، أي (الملاكا) وبالأمر من اسم على غير مسمى! الأسرة كلها لامت انجيل على موت زوجها الأول ستيفن كورتلاند، والد جنثيف وابن عم والد بلين المفضل.

كان اختيار العم ستيف، كما كان يسميه بلين من باب التهذيب، سبباً في ما يختص النساء، تماماً كما كان اختيار أبيه. فالمرأتان بعثتا الفوضى في حياة زوجيهما. لكن انجيل، على الأقل، احتفظت بحق حضانة جنثيف، وظلت قريبة منهم. أما أمه، «كريستيل» فهربت ولم تعد قط، فاضطر في العاشرة من عمره أن يتعلم، بين ليلة وضحها، كيف يعتمد على نفسه ويواجه قلباً كسيراً، وبصمت. ذلك أن أبياه لم يساعده إذ منذ تركت كريستيل المنزل، لم يأت على ذكر اسمها.

حتى «الالي» لم تكن تجرؤ على معارضه أوامر أبيه، رغم شخصيتها القوية. فراحت تهتم بالصبي حتى أصبح أقرب إليها من داليا زوجة أبيه التي حاولت عيناً كسب عطفه. وقد لام نفسه لاحقاً، إذ يبدو أنه بعد رحيل أمها، عجز عن حب أي امرأة غريبة. «الالي» هي عمه وتتكلم لغتها، أما داليا الجميلة التي تنكلم بنعومة ولطف ونبة طيبة فاعتبرها غريبة وعاملها على هذا الأساس لسنوات طويلة. لكنه ما لبث أن ندم على قسوته هذه، لأن داليا لا تستحق ذلك. أما حالياً فترتبطهما علاقة جيدة لا يشوبها أي خلاف أو احتكاك في الرأي تقريباً. وكانت جنثيف هي التي بدأت بكسر الجليد الذي يغلف قلبها، نافحة فيه حب الحياة الذي دمره رحيل أمها.

جنثيف التي لا تنسى... وثار غضبه. تلك الموهوبة في إشعال غضبه. قالت له عمه رافعة عينيها عن كتابها: «ابدو وكأنك من الهنود الحمر!».

ـ هذا ما كنت لتصبحين عليه لو خرجت في ذلك الغبار الأحمر. وابتسم ابتسامة كشفت عن أسنان ناصعة البياض وسط وجهه الأسر المغطى بالغبار.

ـ أوّمات لالي برأسها موافقة، ثم تناولت رسالة من على مكتبيها وأعطيته إياها.

ـ هذه رسالة لك جاءت بطائرة الشحن.

ـ لن أقرأها الآن فهي مجرد تحيات. منمن هي على أي حال. فرّمت فمهما: «من (جالية النهر). هل نصدق هذا؟».

ـ فضحك ساخراً: «علينا نطلب مالاً بكلمات حلوة». وتنهدت «لالي»: «اغرام انجيل بالمال لا يوصف. إنها قطبية، تستغل حبك لجنثيف».

ـ فهز كتفيه: «إسأليني أنا عن ذلك. المشكلة أن جنثيف أصبحت تذكرهني».

ـ فقالت لالي بسرعة: «دع عنك هذا، فأنت ما زلت فارس أحلامها». نظر بعيداً والأسف على وجهه: «لم أعد كذلك منذ سنوات لقد أصبحت وقحة جداً».

ـ ذكره عمه وهي تضع نظارتها في جيب قميصها: «الفتيات أيضاً يحببن استقلالهن، يا ولدي».

ـ يبدو أنني عاجز عن تقبل الأمر. نظرت عمه إليه متأملة: «حسناً، أظنك رائعًا. أنا طبعاً متحبزة لك، ولكنك لست كاملاً».

ـ أنت تخاف على جنثيف، يا عزيزي، وتحاول أن تحميها من كل شيء. دعها تتعلم».

ـ ليس من أنها فلانجيل تأثير سيء عليها، وقد سبق وقلت هذا

- أي امرأة شابة تطلبها، فأنت وسيم للغاية وأسمك محترم جداً كما أنك منعم بالحيوية كأبيك. ولكن لا بد من القول أنك لست دوماً حلو المعاشر رقيقة، خصوصاً مع جنثيف.

نهض بلين وهو يقول: «لن تفلتني متنى في المرة القادمة». ناداه من خلفه: «لا أقول إبني اعترض على قلة غرورك، اذهب واغتسل. أما رسالة انجليل فهي محفوظة».

* * *

قرأها أخيراً مع لالي قبل النزول لتناول العشاء، كانا وحيدين في المنزل لأن داليا وهيلاري في إجازة في إندونيسيا، وقد قالت له هيلاري إنها رحلة روحية للتنور. فتمنى أن يكون لذلك بعض التأثير على أخيه التي دللتها أنها أكثر مما يجب.

لطالما عرف بلين أن أخيه تumar من جنثيف فكلما جاءت هذه الأخبار لزيارتهم، كانت هيلاري تصاب بنبوات هستيرية من الصراخ والصياح. وكان ولعها المرضي به يزداد عنفاً، فبات من المستحيل أن تصبح الفنانان صديقين. وقد حاولت جنثيف ذلك بكل تأكيد حتى أن هيلاري اعترفت بذلك، لكنهما لم تشجعاً فقط. وكان السبب واضحاً للجميع إذ أرادت هيلاري أن تكون محطة الاهتمام الأول والأخير عند أبيها ثم عند أخيها. وكل من يعترض طريقها، كانت تنظر إليه بكره واستباء.

بذلك داليا ما في وسعها لتهدهن الوضع مع ابنتها قبل أن تتفاقم الأمور. واعتاد بلين أن يكون صبوراً للغاية مع أخيه على الرغم من طباعه الحادة، ما جعل هيلاري تعتقد أنها على حق.

هو وأبوه عاماً جنثيف وكأنها جزء منها أكثر منها جزء من العائلة. لكن جنثيف سهلت الأمور على الجميع فعلى الرغم من حرمانها من أبيها المحب للغاية، وحياتها مع أم لا تهتم سوى ب نفسها، لم تحاول يوماً أن تلفت الانتباه أو تسترعى العطف. ولكن إشراقاتها وحجبها للين جعلاً من الصدقة بين الفتاتين مستحبلاً. ربما يوماً ما، عندما تتزوج هيلاري ونكون

بنشك، إنني أكره أن أرى جنثيف تتبع خطى انجليل. هرت لالي رأسها الأشيب قائلة: «لقد ورثت جنثيف الكثير من صفات أسرتنا. وهي تفوق أنها ذكاءً وحساسية وكرماً فيانجليل لا تعش إلا لنفسها».

قال بلين وقد بدا حزيناً مثبطاً للهمة: «أعرف هذا، لكن انجليل شجع جنثيف على الاختلاط بأناس غير مناسبين. إنها تستغلها لأغراض شخصية وما كانت جنثيف لتذهب إلى الجامعة لو لم تدخل، فقد أرادت أنها إرسالها إلى نيويورك لتمتهن عرض الأزياء».

- ما كان هذا يحدث، يا بلين. لأن جنثيف لا تزيد ذلك بالرغم من إصرار أنها. لقد ورثت جنثيف عن أبيها ميوله الفنية، وأعتقد أنها ستصبح يوماً مارسامة ممتازة.

- أتفقك الرأي، فهي بارعة في هذا الفن.
وتهجد بنقاد صبر، ثم أضاف:

- يجب أن تركز جنثيف على تلك الناحية من حياتها بدلاً من الشكع مع أولئك الأصدقاء التافهين. أخشى أن تزوجها انجليل من غني مغفل، فهي لا تضرب حساباً إلا للمال.

- صحيح أن المال يسيطر على عقل انجليل ولكنه يا عزيزي لا يعني الكثير بالنسبة إلى جنثيف، فهي لن تتزوج أبداً رجلاً لا تحبه.

- تزوج؟
وبدت على بلين فجأة علامات التعب.

- جنثيف بحاجة إلى كثير من النضج ومعرفة الحياة قبل أن تتزوج. وبدأ عليه الغضب، فقالت بمكر: «أظنك تأخذ مسألة اختيار الرفيق المناسب بشكل جدي أكثر مما يجب».

نظر إليها متकاسلاً، ثم منحها ابتسامته الرازعة، الابتسامة التي لا تقاوم: «لا، يا لالي. التفكير في الزواج بصيني بكلبة باللغة، من هي المرأة التي قد تطبقني؟».

أمام أسرتها، أنها أصبحت امرأة تنتفع (بحالة ذهنية أكثر صفاء). ولكن هذا الإدعاء سرعان ما تهادى عندما أخبرتهما «الالي»، وهي تقدم الطعام، بأن جنثيف وأمها وصديق أمها الحالي سيأتون إلى الحفل السنوي الذي سيقام بعد أسبوعين.

تنفست هيلاري بحدة واستحالت الملامح المسالمة في وجهها الجميل الذهبي عنةً عاصفًا كاد يصعقهم جميعاً، وصرخت بحرارة، وقد جمدت الشوكة والسكين في يديها:

- ممتاز جداً! إشتريت ثوباً جديداً رائعاً وأنبت حمية قاسية طوال الرحلة ليناسبني هذا الثوب، وإذا بجنثيف تأتي في النهاية لتبهر الجميع بجمالها.

قال بلين الذي أمضى يوماً شاقاً: «هذا يكفي. يبدو أنك لم تتغيري كثيراً في رحلتك الهامة. متى ستخلين عن هذه الغيرة من جنثيف؟ سمنا جميعنا محاولة مداراتك على الدوام. أنت لديك شخصيتك الخاصة ومميزاتك الخاصة. وأنت تعرفين أنك فتاة جميلة ولكن طريقة تفكيرك تجعل الجميع يظن أنك يشعة للغاية».

- أقسم بأنني كذلك.

انفجرت هيلاري بهذا القول، وقد التهبت عيناها القاتمتان بشكل مأساوي.

أخذت داليا كالعادة، تحاول تهدئة ابنتها التي بدأت تخيفها: «لا، لا يا حبيبتي، أنت جميلة حقاً. أنت جميلة وثوبك رائع وستبدرين فيه آية من الجمال».

قالت بمزيد من الفظاظة وهي تبعد عن جبينها شعرها البني الناعم: «لا، أنا لست كذلك».

ثم أضافت: «لقد اعتادت جنثيف على خطف الأضواء مني». واضطررت «الالي» إلى التدخل على غير عادتها، فقالت برقة: «جنثيف لا تفعل شيئاً مماثلاً».

أسرة مستخلص من ذلك الشعور بعدم الأمان الذي يشلوكها. ولكن، إلى ذلك الحين، كانت هيلاري تتمتع بموهبة حقيقة في افتعال المشاكل. على الأقل، كان محظاً في قضية رسالة انجل، فهي كالعادة، تسعى وراء قرض.

وكان يفكر، في أنها لا تبدو كامرأة مخداعة، لكنها مخداعة فعلاً. فهو يعلم تماماً أن انجل نادراً ما كانت تشتري شيئاً لابنتها، وجنثيف تنفق على نفسها منذ بدأت تعمل. كما أنه هو من اشتري لجنثيف سيارة في عيد ميلادها السابع عشر، ثم الواحد والعشرين، وكذلك المجوهرات من وقت آخر.

كانت انجل، في الفترة التي أمضتها بين الزواجتين، ترسل إليه «الفواتير» التي تعجز عن سدادها، فكان يدفع تلك التي تتعلق بالبيت والإصلاحات والإيجارات والتحسينات، حيث أن جنثيف تعيش فيه، وبعيد إليها تلك التي تتعلق بشراء الأشياء الأثرية.

وفي أسفل الرسالة، كتبت (ملاحظة) تأسف فيها إذا ما كان (العزيز) بلين يعرض على حضور صديقها سلوكومب، ذلك الشاب المغدور، إلى جوبيلي بمناسبة إقامة الحفلة السنوية الراقصة، ولم يكن لدى بلين اعتراض ما دامت جنثيف ستائي معها.

ربما ستكون إحدى تلك المناسبات التي يخف فيها التوتر بينهما. ليلة تكون فيها جنثيف أقل استفزازاً وهو أكثر ليونة وسامحاً. كان أحياناً يود لو يؤنثها ويضربها ولكن . . .

فتاة بجمالها كفيلة بأن تثير في نفسه كل المشاعر العنيفة المضطربة، مشاعر يخفيها في أعماقه وكأنها لا تغتر. فقد كانت قرينته! تلك الطفلة المحبوبة ذات العينين البنفسجيين الواسعتين والشعر الذهبي، تلك النجمة المتألقة في حياته. و مجرد التفكير في فقدانه كل ذلك يثير أعصابه. عادت داليا وهيلاري من الإجازة في نهاية الأسبوع التالي. كانوا متعبتين، ولكن مأخوذتين بما شاهدتهما في زيارتهما وقد أعلنت هيلاري

ناماً عن والدة بلين الرائعة الجمال، كريستيل. ولعل هذا السبب الذي دفع والد بلين إلى الزواج بها، فإذا كانت كريستيل الرائعة قد تركته في عزلته، فلا بد أن داليا الإنطوانية هي المرأة التي يمكنه أن يثق بيقانها. وقد أحبت لالي داليا من كل قلبها، لكنها كانت تأسف لعدم قدرتها على السيطرة على ابنتها، المتقلبة المزاج.

أصبحت نوبات هيلاري الإنفعالية مزعجة للغاية على الرغم من أنها حاولت أن تحسن التصرف منذ ظهر لها بلين عدم رضاها بوضوح. فذهبت إلى مهبط الطائرات للترحيب بابنته وصديقيهما.

كانت جنثيف قد طلبت إذاً لإحضار صديقها معها فأعطي لها. وكانت لالي تأمل أن تسير الأمور على ما يرام. وانתרق أفكارها صوت جنثيف الموسيقي الرخيم وهي تقول: «من الصعب الحفاظ على طراوة العشب ولو نه الأخضر في هذا الحر».

كانتا تعملان على تنسيق الأزهار في الغرفة المجاورة للمطبخ. أومأت لالي، ثم قالت: «أنا قلقة بشأن بلين، فهو يجهد نفسه في العمل».

ووقفت لالي إلى الخلف تتأمل بامتعاجب الزهرية الصبغة الضخمة التي ملأتها بالورود البيضاء. وتابتت تقول: «بالمناسبة أين صديقك؟». - لقد تركني ليرافق بلين.

وابتسمت مضيفة: «بلين لديه تأثير على الناس. آخر مرة رأيتهما معاً، كان بلين يجول به وبتوبي في أنحاء الحقل، يشرح لهما بعض الأمور. أظن أن أيهما لا يعرف لعبة البولو. وبعد ذلك سيأخذهما إلى الإصطبل ليربهما الخيول. لقد قمت بعمل رائع يا لالي».

وأحاطت عمتها بذراعها مائدة برأسها الأشقر بعطف على رأس لالي، فائلة: «القد اشتقت إليك».

- وأنا أيضاً اشتقت إليك، يا فتاة. وعلى الرغم من أن لالي لم تعتد إظهار مشاعرها، إلا أن تأثيراً حاداً

فقال بلين لأخته ساخراً: «مرحباً بالمرأة الجديدة»، أحررت وجنتا هيلاري وهي تلقي على عمنها نظرة مسمومة ثم قالت: «ولكن لا تستطيع جنثيف أن تبقى في بيتها ولو مرة واحدة؟ وكذلك أنها؟ في كل مرة تفتح فيه فمها أتمى لو أخذتها. وصديقتها... أراهن على أنه فظيع وأنه رجل غني قادر سوقي. لماذا لا يبتعدون عنها ولو مرة؟».

فأجاب بصبر بالغ: «لأنني دعوتهم. لو أنك لست سيدة الخلق بهذا الشكل، للاحظت أن إنجل تضفي كثيراً من التألق على هذه المناسبات، فعندما تدخل من الباب يلتفت الجميع. إنها من الفاتنات الممتازات».

فقالت هيلاري: «وهي جالية نحس، وليس ملاكاً كإسمها. أما جنثيف فهي ملاك من الخارج. جميلة جداً ومشرقية وبريئة. بريئة؟ أراهن على أنها ليست كذلك مع كل الشبان الذين يتلفون حولها».

ومن بلين هيلاري بنظرة صارمة قائلة: «أنا لا أطلب منك مغادرة المائدة غالباً، يا هيلاري. كما أنك ما عدت مراهقة الآن، ولكن يمكنك أن تعذرني حالاً».

لهجة الإرغام في صوته، وملامحه المرعبة، مستعيني هيلاري الداكتين، فنهضت وقد تملكتها الإضطراب والإرتياح واندفعت قائلة بغضب والدموع تتفجر من عينيها: «هيا، تابع كلامك، عليك أن تكون فارس جنثيف (الأسود)، وبهذا يمكنك أن تدافع عنها حتى الموت».

بما أن داليا هي رسميًّا سيدة «جوبيلي»، كان تنظيم الاحتفال السنوي يقع على عاتقها. ولكن نظراً لعدم مهاراتها في التنظيم ونقص اهتمامها بلعبة البولو استلمت لالي هذه المسؤولية عنها. وكانت جنثيف تتطلع لمساعدة لالي في التنظيم، وتحمس لمدد العون، ما خفف بشكل ما من خيبة الأمل التي شعرت بها لالي من داليا وأبنها أخيها.

كانت داليا خجولاً بطبيعتها، فهي لا تشعر بالارتياح مع الجموع وتجد صعوبة في تبادل الأحاديث مع أنساب لا تعرفهم. وهي بذلك تختلف

لا لي، ولكن بطريقتها الخاصة. إنها لا تفهم حقاً أننا مختلفان تماماً، ولا بلين يفهم ذلك أيضاً.

توقفت لالي عما كانت تفعله، متناهة إلى إداء مهمتها: «كوني مسامحة مع بلين في هذه العطلة الأسبوعية، أسمعين؟ لديه ما يكفي من المشاكل مع هيلاري».

- لالي، عزيزتي، سأبدل ما في وسعي. أما هيلاري، فستهدا مع الوقت. الحياة هنا تزعجها، فهي ليست فتاة أدغال.

- في الحقيقة هي لم ترث أي شيء من شخصية أبيها وأنظن أن أمها نسامح معها حتى ولو أجرمت.

قالت لها هذا هامة مائة برأسها إليها.

فقالت جنثيف تلتمس لها عذرآ: «إنها وحيدتها».

- ما الذي تهامسان به؟

جاءهما هذا الصوت المألوف من عند العتبة. فالتفتت جنثيف بسرعة شاعرة برغبة لا تقاوم في احتضانه كما اعتادت في الأيام الخوالي، لكنها بدلأ من ذلك، قالت: «مرحباً».

متحماً بخصامته الرائعة وهو يتقدم داخل الغرفة برشاقته الطبيعية المميزة. كان يلبس قميصاً أبيض يحتضن صدره الواسع وذراعيه القويتين وينظرون جبز ضيقاً بدا فيه جذباً إلى أقصى حد.

- افتقدناك على مائدة الفطور.

- ذهبت في نزهة على الحصان. ألم يخبرك أحد؟

- أخبرني العامل «كوليوب» أنك أخذت الحصان «بوكر».

قالت برقة فائقة متذكرة طلب لالي بالغروي معه بالحديث: «لا بأس في ذلك، ليس كذلك؟».

- لا أدرى. إنه صعب قليلاً. أنا أعرف أنك فارسة جيدة فأنا علمتك جيداً. لكنني أفضل لو نكتفين بركروب «أورورا» أثناء هذه الزيارة، اتفقنا؟ افترضت منه بخضوع: «طلباتك أوامر».

علا وجهها الملوكى، مزدوج من السرور والحزن في آن، ربما لأنها لم تتعجب أولاً. وتحنحت بخفة، ثم سالت جنثيف:

- هل أهديتك الربابات التي وضعتها حول الأرضي؟
- تبدو رائعة.

كانت جنثيف تفهم لالي جيداً، ولهذا عادت إلى عملها.

- وكذلك طريقتك الجديدة في تنظيم الموائد والكراسي تحت الأشجار، تبدو كمطعم في الهواء الطلق. القاعة الكبرى رائعة هي أيضاً، لا بد أنك اشتغلت كثيراً، خصوصاً في غياب داليا وهيلاري.

- كنت مسؤولة بانشغالي. لقد غيرت رأسي مرتين بالنسبة لزينة القاعة. هل حقاً أعجبتكم؟

- طبعاً أعتبرتني.

وابتسمت جنثيف مشجعة، ثم أضافت: «ذوقك مرهف يا لالي. كل شيء رائع ومثير وكولين يكاد يطير من الفرح، فهو لم يحضر إلى البراري من قبل. لقد أحب كل ما رأه».

سألتها لالي خائفة في داخلها من كلمة (نعم): «هل علاقتك بكولين جادة؟».

فأجابت جنثيف بذلك بمرح: «نحن متقاربان نوعاً ما، وأنا أستمتع فقط، يا لالي، بكولين سهل المعاشر، ومرح جداً كما أنه يعرف كيف ينقرض منAngel».

فقالت لالي تمعنها صاحكة: «لا تكوني عفريتة».

- في الواقع، أمي هي التي عرفتني بكولين، وأظنها وعدته بالموافقة. هو ابن جورج غاريت، ملك الشحن، أتعرفينه؟

بادلتها لالي نظرة حادة، وردت: «هذا ما خمنته. لا تدعني أملك تدفعك إلى شيء لا تريدهني يا فتاتي العزيزة، فهي ماهرة بذلك. إنها واسعة الحيلة بالفطرة».

فهزت جنثيف رأسها بولاء بالغ: «إنها لا تريدي لي سوى الخير، يا

- أحقاً؟

مضت لحظة رأته ينظر فيها مباشرة في أعماقها فاحمر وجهها: «طبعاً».

- أتني أن أذكرك بهذا في أحد هذه الأيام يا جنثيف العينين.
ومال عليها يداعب خصلة من شعرها.

- أنا واثقة تماماً من ذلك ستفضل، والآن، أين تركت كولين وتوبى؟
فيبدت السخرية في عينيه الفضيئين: «كولين وتوبى! الصديقان
الحبييان! أنا واثق من أنني أتذكرهما».

- أؤكد لك أنهما متأثران جداً بك وبطريقة حياتك.

- أنت لا تكذبين علي، أليس كذلك يا جنثيف؟

قال هذا بشبه ابتسامة تكشف عن اسنان ناصعة وأضاف: «على كل حال لم يستطع توبى أن يغيب أكثر من دقيقة فقد أنت انجليل بحثاً عنه. أما كولين فقد سمح لها بأن يأخذ واحدة من سيارات العجيب إذا أراد أن يلقي نظرة على الأحياء. لكنه وعد بالآلا يتبعه كثيراً، لا أريد أن أضطر للبحث عنه».

استدارت بجسمها الرشيق لتنظر إليه مباشرة: «هل أنت واثق؟».
فقال متهدياً: «بماذا تفهمتني؟ طبعاً أنا واثق. لقد باتت وظيفتي
العناية بأصدقائك الشبان».

وانحنى يشم عبر خليط من أزهار الصيف.

فقالت لالي مزهوة: «هذا من صنع جنثيف، إنها فنانة أصيلة».

- بل من صنعتنا نحن الاثنين معاً.

ووضعت جنثيف ذراعها حول خصر لالي.

- فكرت في أن أضع هذه الباقة في بد تمثال السيدة الرخامي القائم عند مدخل الردهة، ما رأيك؟

ونظرت إلى بلين تسأله رأيه، وهي تشير إلى باقة فاتحة صغيرة منقة من الورود الصفراء الموسحة باللون الأخضر.

- لم لا؟ على السيدة أن تتلفى دوماً أزهاراً من المعجبين. دعني أفعل ذلك.
ونظر إلى لالي وابتسم، قبل أن يسأل: «أظنتي ساقع أرضاً عندما أرى الفاتورة؟».

- لا تقلق يا عزيزي، فقد قطعنا معظم هذه الأزهار من حديقة البيت.
فقال مقطوباً حاجبيه: «ولكن أين هيلاري؟ لقد طلبت منها أن تساعدكما».

- لا بأس. لقد استطعنا أنا وجنثيف ترتيب كل شيء.
نظر بلين إلى ناحية جنثيف: «أنا ذاهب إلى القاعة الكبرى، أتودين مرافقتني؟».

- بكل تأكيد، ولكن لالي لا تستطيع أن تعد كل هذه المزهريات وحدها.

- لن نطلب منها القيام بذلك. سأقوم أنا بذلك قبل ذهابنا.
فقالت لالي بشغف، متلهفة إلى أن يمضيا بعض الوقت معاً: «أصغِي
إلي، الذي روبي والفتيات ليساعدتنى».

ثم أضافت: «يمكنكما الذهب. استمتعوا بوقتكما وتذكري ما
أوصيتك به، يا جنثيف».

بعد ذلك بلحظات، كانا في الخارج تحت أشعة الشمس. ابتعدا عن البيت الريفي الرائع وانجها نحو ما تسمى الأسرة (القاعة الكبرى) وهي مبنى يستعمل للجماعات التقليدية والرقص والحفلات.

سأل بلين وهو ينظر إلى جانب وجه جنثيف الجميل: «ما الذي
أوصيتك به لالي؟».

- إنه سراً
ووضعت إصبعها على شفتيها وهي تكاد ترکض لتجاري خطواته.
- وسأخبرك أنا أيضاً سراً، وهو إنني أراهن على أنها أوصيتك بأن

تكوني رقيقة معي ،
 - هذا ما أريده .

ومنحته ابتسامة صغيرة متكلفة تستفزه بها .

- عندما تثنين لا أحد يضاهيك حلاوة ورقة .

ابتسمت له بطريقة تدرك تأثيرها ، ثم قالت : «أحبك عندما لا تكون متعالياً . والآن ، ما رأيك في كولين؟ أخبرني . أنا متلهفة لأن أعلم » .
تناءب ساخراً : «من؟» .

- أرجوك .

وألفت عليه نظرة جانبية ساخرة فضحك : «لا بأس به . هو حسن السلوك . وطبعاً أفضل من أصدقائك الآخرين» .

- في حال كنت مهتماً ، فالامر بيتنا ليس جدياً .
أما لماذا قالت هذا بينما هي وكولين صديقان منذ أشهر ، فهذا ما لم تشا أن تعرفه .

- لم أكن أفكر في ذلك .
ونظر إليها بعينين ملتهبتين .

- إسمع . لا أظنك ستتوافق على أي شخص أريد أن أتزوجه .
قالت هذا متهدية ، مدركة ، بشيء من الإضطراب ، أنها لا تستطيع هي أيضاً أن تحتمل التفكير في «سالي» كزوجته العتيدة .

فتمت قول بحفاء : «أظنتني قمت بدور الأخ الأكبر أكثر من اللازم» .
على كل حال ، كولين مجرد صديق حالياً .

وراح قلبها يخفق وكأن ما تقوله كذب .
- أنا أعتبر كلمتك عهداً بذلك .

نظرت إليه ، وبالكاد استطاعت مقاومة وسامته . تمكنت بذراعه بيهجة بالغة قائلة : «لنكن صديقين ، كم كنت متلهفة إلى هذه العطلة الأسبوعية» .

فتمت ، لكن ملامحه لم تكن واضحة : «أنا كذلك» .

كاد ي يصلان إلى القاعة عندما دوى صوت طائرة تحلق حول المنزل الريفي استعداداً للهبوط . وكانت الطائرات تنقل الضيوف طيلة فترة الصباح .

- هل أعرف القادمين؟

فقال وهو يظلل عينيه بيده : «تعرفينهم بكل تأكيد . إنهم آل كاميرون . أظنهم جاؤوا جمِيعاً» .

- رائع . لم أرهم منذ وقت طويل . رباه .

وسكتت فجأة وأخفقت رأسها عندما هب هواء قوي من بين الأبنية الخارجية ، وغضت عينيها ببريبة شعرها إذ دخل الفبار فيهما . وعلى الفور أمسك بلين بها وضمها إلى صدره يغطيها بجسمه ، إلى أن استقرت الريح .

- ثمة شيء في عيني .

- دععني أراهما . لا ، لا تدعكيهما .

قادها إلى تحت مظلة كبيرة ، وأخرج من جيبه منديلأً ، قائلأً :
«هذا نظيف تماماً ، لا تتحركي ، يا حلوة . إرفعي رأسك . وانظري إلى» .

- لا أستطيع .

ورمشت بعينيها ، خائفة من فكرة حضور الحفلة بعين حمراء .

- تشجعي .

ورفعت وجهها متسمة العينين ، محاولة التركيز .

ثني بلين منديلة الأبيض وأخذ يبحث برفق : «القد وجدها» .

أعلن ذلك راضياً وهو ينظر إليها . وبشكل يتعدى تفسيره ، توثر جسده بأكمله كأوتار آلة موسيقية فشعرت جنحيف بهذا التغيير المفاجئ .

ما الذي يحدث؟ بقيت مكانها لحظة بينما أخذت ترمي بعينيها .

- هذا أفضل .

ثم فتحت عينيها لكي تبسم له وإذا بها تواجه نظرة تناولت بشكل غريب

ما حيرها.

- بلين؟

وكان صوتها قلقاً مرتجفاً كصوت طفلة. ساد صمت حاد متورّ بعث القلق في نفس جنثيف، فتسارع كل نبض في جسدها، وتسمّرت عيناها عليه. بقى واقفين بصمت إلى أن مد بلين يديه إلى خصرها التحيل وجذبها إليه. بدا العالم كله قاحلاً، لا أحد فيه سواهما. وهمست وهي ترتجف: «هل أخبرك شيئاً؟ أحياناً تبدو مخيفة جداً».

- مثل الآن؟

كادت تقع أرضاً لشدة الصدمة التي تملكتها بلين الذي تعرفه تغير وأصبح عاطفياً متثباً. أخذ النبض يتسارع في عنقها وسرت في كيانها مشاعر متاججة.

- ماذا تفعل؟

وأظلمت عيناها البنفسجيتان واحمررت وجهتها.

ماذا يفعل؟ يا إلهي. أدرك أن عليه الابتعاد عنها، فهي ليست جاهزة، لكن عواطفه أذابت إرادته وشوشت قدرته على التفكير.

كيف يتمالك نفسه أمام جمالها الذي يشبه نسيج الأحلام وشعرها الكثيف الذهبي المنسدل حول كتفيها وعينيها البنفسجيتين اللتين توسلان إليه ألا يغامر ويغير كل شيء في لحظات ويقلب حياتها رأساً على عقب.

لاحظ تشنجها، لكن هذا لم يمنعه من أن يشدّها إليه من دون وعي. أراد أن يضمّها إليه أكثر فأكثر أن يدفن وجهه في شعرها الحريري الناعم وكانت هي تبادله النظر بعينين معدّبتين مسحورتين وقد تبدد كل اعتدادها بنفسها ورباطة جأشها. لقد سبق وضمّها مئات المرات ودللها، لكن الوضع هذه المرة كان مختلفاً، فعناق هذا لا يشبه أي عناق عرفه من قبل. فقد نقلها إلى مكان آخر أشبه بجنة عدن، بواحة خضراء منعشة. وفي تلك اللحظة، تمنى بلين لو يطير بها إلى مكان بعيد خالٍ من كل أنسى.

لقد كان تأثيرها عليه مذهلاً.

في تلك الأثناء، وصلت هيلاري سالي إلى القاعة الكبرى. وتسمرّتا من الدهشة عندما رأت جنثيف جامدة تماماً بين ذراعي بلين، وكأنّها لا تستطيع الفرار. وكان رأس بلين اللامع منحنياً فوقها في مشهد حب وسحر، فبدأ بالغلفين يسحب من الدخان.

صرخت سالي المسكينة وكان النار تحرقها، لكنّها لم تستطع تحويل نظرها. وتشبتت بيد هيلاري متولّة: «فلنعد».

نظرت هذه البهتان بابتسامة خطرة: «لا تكوني حمقاء. لا تعلمين أن جنثيف تفعل هذا على الدوام؟».

- فعل ماذا؟

وارتجف صوت سالي. لطالما أحبّت جنثيف وكانت منجمتين تماماً. فقالت هيلاري باشمئزاز:

- جنثيف فتاة عابثة مثل أمها. وهذا لا يعني لها شيئاً، فهي شبه مخطوبة للرجل الذي أحضرته معها.

- أحقاً؟

كانت سالي مغرمة ببلين وتشعر بأنّها قد تحظى بفرصة معه. فتنفست بصعوبة، وقالت:

- إذا أردت رأيي، جنثيف هي التي يجب حمايتها.

سألتها هيلاري بحدة: «من؟».

فأجابت: «من بلين، يبدو وكأنه سيخطفها عن الناس جميعاً. لا يدروعي بهذا الشكل أبداً».

فأجابت هيلاري عابسة: «أنت لا تفهمين بلين. إنه يحب السيطرة وما تربّيه الآن لا يعني شيئاً. أنت الفتاة التي يريد لها بلين. أما جنثيف فهي قريبة ليس إلا».

كان هذا بعيداً عما استنتجته سالي، ففكرة أنهما مجرد أقرباء لا يجوز زواجهما، قد تغيرت الآن، إذ يبدوان كعاشقين. ولم تستطع سالي أن

نفهم حفأً. وشعرت وكأنها أصبت بانهيار عصبي . . .

خرج الفريقان إلى الحقل حيث استقبلها بالهتاف الذي ارتفع في الصحراء ما جعل الطيور تجفل .
وكان هذا العرض يناسب جو الإثارة والبهاء الذي ساد احتفال نهاية الأسبوع .

في الجولة الأولى، كان بلين يمتهن فرساً أصيلة يتالق جلدها الكستاني في أشعة الشمس، وتميز فريقه بسترة حمراء وسوداء، أما الفريق الآخر، فقد اتخذ اللون الأخضر والكحلي .
لم تستطع جنثيف أن تحول نظراتها عن بلين رغم أنه سبق لها أن شاهدته يلعب مرات لا تحصى. كان رائعاً على صهوة الجواد ومثالاً حقيقياً للرجولة في جرأته واندفاعه وسرعة تفكيره وخشوته، عقلياً وجسدياً .

- يا إلهي . . . هؤلاء الرجال رائعون حفأً !
قال كولين هذا وهو يصرخ رافعاً حاجبيه، ملتفتاً إلى جنثيف باسمه بينما جلست بارتياح على مقعد مستطيل في فسحة باردة منعشة تحت الأشجار، سلة الطعام والعصائر بجانبها .
سألها بدون أي حسد :

- لماذا لم تخبريني بأن لابن عمك مثل هذه الميزات الرائعة؟ أمثاله نادرون. يبدو وكأنه مثل سينمائي يلعب «البولو» في أحد الأفلام، إلا تسمعين كل الفتيات يهتفن باسمه؟
فقالت جنثيف بجهاء، عالمه بأن هذه هي الحقيقة: «لكنه لا يسمعهن. صدقني» .

- مكانه، لما استطعت أن أغضن الطرف عنهن .
وأخذ كولين يعب الهواء المشبع بعبير شجر «الأوكاليتوس»، ثم نابع يقول: «هذه هي الحياة! فناء رائعة، سلة طعام ولعبة جميلة كالبولو، لم

أظن أنني سأستمنع إلى هذا الحد. لا بد أنه أمر رائع أن يحكم المرء مملكته الخاصة . وهذا حسبما أرى، ما يفعله ابن عمك» .

كانت عيناً جنثيف مظللتين بانتظار اتها الشمسية، فقالت: «إنه يقوم بعمله بجدية بالغة، يا كولين، إن «جوبيلو» هي، كالمراكم الشهيرة الأخرى، تاريخنا الرائد» .

فقال كولين باستمتاع بالغ: «كان عليّ أن أرى ذلك لكي أصدق . وذلك البيت الريفي! قربك فارس ممتاز، لا بد أنه ولد على سرج حصان» .

- هذا صحيح، لكنهم ليسوا كلهم برشاقته في الركوب. سترى مدى مهارته عندما يبدأ اللعب. بلين وحصانه يتحركان وكأنهما شخص واحد. الإسجام بينهما كلي، وهذا لا يحدث بين لبلة وضحاحها. فهو يمضي الكثير من وقته في تدريب جياده، مما يتطلب الكثير من الجهد .
فقال كولين: «يبدو وحصانه أصيلاً» .

- هو فعلًا أصيل، وكذلك معظم الجياد الأخرى. أما بلين فيدرس بشكل أفضل من معظم اللاعبين. إنه عظيم في أسلوبه . مع الجياد ومع النساء . . . فكرت في ذلك وقلبتها يتحقق .

- وهذا ما جعله يفوز بالكأس، الفريقان ممتازان لكن أسلوب بلين كان أفضل .
فالتفت إليها مدهوشًا .

- ولماذا هذه الآهة؟ بدت وكأنها صدرت من أعماقك .
فوجدت نفسها تعرف، قائلة: «بلين يتصرف أحياناً بفسوة». ففكر كولين قليلاً ثم قال: «لاحظت ذلك. لكنه كان لطيفاً معـي». - لقد أتعجبـه .

فأشرق وجه كولين بابتسمته الجذابة: «هذا عظيم. أنا واثق من أن علاقتنا لن تتطور إلا إذا كان ابن عمك إلى جانبـنا». ورفع كولين يد جنثيف إلى شفتيه .

أكرهك). أما سالي الطيبة جداً في الواقع، فحاولت أن تبادرهما بابتسامتها الودود المألوفة. لكن جنثيف علمت أنها، في أعماقها، مذعورة، فسالي تعصي وقتاً في ذلك المكان أكثر من أي شخص آخر، وهي تعلم ماذا تريد من الحياة. وما تريده هو بلين كورتلاند.

استؤنف اللعب من جديد، وعاد كولين، ووقف خلف جنثيف ملقياً بيده على كتفيها.

- هل افتقدتني، يا حبيبتي؟

- كلا، على الإطلاق.

ونظرت إليه إلى الخلف باسمه، ثم أرددت: «فأنت لم تغب سوى عشر دقائق».

- لو كنت تحبيبني لوجدت أنه وقت طويل بما يكفي.
وانحنى كولين فوقها، وعائقها طويلاً فرأهما كل من كان حولهما.

* * *

كانت جنثيف ترتدي سروالاً من الكتان مع قميص وردي اللون، وقد وضعت على رأسها قبعة قش مزينة بالأزهار. وفي كل يدها قبل أن يسألها: «ما الذي سنلبسه الليلة للحفلة؟ ثوباً أميناً جداً كما أظن؟

- ثوب من تصميم «كوليت دينيغان».

ابتسم ابتسامة عريضة وهو يستلقي إلى الخلف، ثم قال: «أعترف لك يا جنثيف أن ما من امرأة تؤثر بي كما تؤثرين أنت بي. أنا أعيش الجلوس معك، وبدأت أشعر أنني أريد أن أبقى معك طوال الوقت».

* * *

في الاستراحة بقيت جنثيف بعيدة تماماً ولم تقدم من بلين للتalking معه كما اعتادت منذ سنوات، وإنما بقيت تشاهد العرض من مكانها المظلل تحت الأشجار.

كان بلين مشغولاً بتغيير سترته مبرزاً قامته الرائعة وجسمه الجميل، من دون أن يتتبه إلى ضحكات الفتيات وتأوهاتهن المتخفضة في أنحاء الحقل.

القى كولين أحد زملاء الدراسة، فراح يتحدث معه، وهكذا خلا لها العجو لتجلس بهدوء وتحاول فهم ما حدث منذ ساعات قليلة. وأياً كان ما حدث، فقد غير العالم من حولها. كانت تظن أنها تحب كولين، أو تكون له الحب كما تفهمه، أما الآن فقد اختلط الأمر في ذهنها بشكل هائل.

في الجهة المقابلة من الحقل، رأت جنثيف سالي فينويل وقد توجه وجهها سروراً، تقدم من بلين وتحيطه بذراعيها وتقبل خذه بخجل... ربما لأن سالي وهيلاري رأتا ذلك المشهد المرير أمام القاعة الكبرى حيث لم تستطع لا هي ولا بلين، السيطرة على مشاعرهما. تمكّن بلين من المحافظة على رباطة جأشه بحسب عاد طبيعياً في لحظة، لكنها هي بقيت واقفة وقد دار رأسها، فيما سالي وهيلاري تقدمان نحوهما.

كانت عيناً هيلاري تشعلان بذلك الرسالة المعتادة التي تعني (أنا

٤ - محطمّة القلوب

على كتفيها كما يحبه هو، وثوبها يماثل لون عينيها فبدأ رائعاً بقماشه الشفاف المطرز بالخرز اللامع. أبرز الثوب تفاصيل جسدها وساتبها الطويلتين الرشيقيتين، فتسارعت أنفاسه وشعر بزهو بالغ، فهي فتاته جنثيف. أراد أن يأخذها ليخفيفها عن أنظار الرجال جميعاً. يا الله، كاد يحيره ما يشعر به من ضعف ووهن تجاهها.

أدركت جنثيف، وهي تنظر إلى ذلك البحر من الوجوه المتألقة الباسمة، أنها لم تكن تريد سوى نظرات شخص واحد. ورأته فجأة واقفاً قرب الباب المؤدي إلى غرفة الجلوس. ذلك الرجل الغريب في وسامه وشخصيته القوية. وبدت على وجهه تلك النظرة السافرة التي رأتها عصر هذا اليوم ..

آه، رباء. لم تخطر فيهم نظراته، لا الآن ولا قبلأ. ومرة أخرى، أخذ رأسها بدور وقد ملأتها تلك النظرة بالتنبه والبهجة، فوجود بلين يوقد شاعرها. كانت جنثيف تبادله نظرات الإستفهام، شاعرة بوجهها بتوهج. وأيّاً كان ذلك المطاف الذي جمعهما منذ سنوات فإن شيئاً مختلفاً لوياً قد ظهر الآن. ما هو؟ وشعرت جيني بقلبها يتحقق ..

وابتسم. ابتسامته تعني فقط أنه مزهو بها، وعندما أخذت خفقات قلبها تهدأ، والذعر الذي تملكتها يتبدد، انتابها شعور عميق بخيبة الأمل. خيبة أمل من ماذا؟ في أي لحظة بالضبط تغيرت نظرتها إلى بطل طفولتها؟ هو ما زال يطلها على أي حال، لكنها لا تستطيع أن تصارع مع كل هذه المشاعر الخداعية التي كانت تملكتها. ما لم يحدث قط، لن يحدث أبداً، فهو يبعث معها، لأن لديه ميلاً إلى القسوة والخيال.

نزلت جنثيف الدرجات المكسوة بالسجاد العجمي مستجمعة دفاعاتها ضد ذلك الشخص القوي المسيطر في حياتها، ابن عمها المتغطرس بلين. كانت لا تزال تشعر بالدوار، لكنها رفعت رأسها عالياً. ليست المرة الأولى التي يختر لها أن بلين خطير وعندما رأت ذلك التعبير البادي على ملامح الشابات المحبيات به، أدركت أن افتانها به يزداد.

كانت السماء مرصعة بملائين النجوم المتألقة فوق سطح المنزل الريفي. أما في الداخل، فجع المنزل بالناس الذين أخذوا يتمايلون على أنغام الفرقة الموسيقية.

شق بلين طريقه بين الجميع، مستسلماً لعنق حار نلو الآخر. أي رجل عاقل يعرض على أن يحتضنه سرب من الفاتات اللاتي لا شك في مشاعرهن نحوه. كلهن رهن إشارة من إصبعه، لكن ذلك لم يشعره بالبهجة بل بنوع من المرارة والشوق إلى تلك المرأة التي يعلم أنها وحدها تملأ قلبه.

تابع بلين طريقه. عبر غرف الاستقبال الرئيسية، وقد سره أن يبدو المنزل في حلته الأبهى. يتساءل عن مكان جنثيف، فهو يريد أن يقود الجميع إلى القاعة الكبرى. لم يكدر يصل إلى الردهة حتى سمع صوت رجل يقول بسرور بالغ: «هذه هي جنثيف».

تسارعت خفقات قلبها. ورفع بصره إليها. كانت واقفة في أعلى السلالم الكبير، ووجهها الجميل يتألق انتعاشاً وهي تبتسم وتلوح بيدها، وتشع سروراً وحماسة. أخذ يتساءل عما دفعه لينتأمل جنثيف من رأسها حتى أخمص قدميها بينما لم يكدر يلحظ ما تلبّه النساء الآخريات. كان شعرها الرائع مندلاً

أن ثوبها غير ملائم. لا أدرى لماذا، مع أنه رائع الجمال.

فقالت جنثيف: أريما يلائم امرأة محكمة. لكنها تبدو جميلة فيه، كما أنها في مزاج جيد.

فقالت لالي بشيء من الحدة: أعلیها أن تكون هكذا دوماً، نظراً للدلال الذي تحصل عليه.

ففقطعتها جنثيف: «ذلك هي أنجيل».

ولوحت بيدها لأمها التي مرت برفقة ثوبية سلوكومب. أثارت أنجيل المشاعر عند ظهورها بثوب عاري الكتفين من تصميم «شانيل» مزين بزهرة كاميليا، وعلى وجهها ابتسامة ساحرة. أخذت جنثيف ولالي تنظران مسرورتين في أنحاء قاعة الرقص. فبدت النساء شاكرات لهذه الفرصة التي ستحت لهن لارتداء ملابس جميلة تزيد من جمالهن في عيون رجالهن.

في الجهة المقابلة، كانت سالي فيتوبل ترقص مسرورة بين ذراعي بلين. لا بد أنه قال لها شيئاً مسليناً لأنها ضحكت ببهجة. كان صدي ضحكتها واضحاً بين هممته الأحاديث وأنقام الموسيقى. مهما كان ما فتئ به ذلك المشهد المربي الذي شاهدته هي وهيلاري، فقد بدت سالي مستعدة لتصديقه، أو لعل هيلاري أقنعتها أن الذنب ذنبها هي. بدا بلين متزحجاً، ولعله يخبر سالي كم تبدو رائعة، وهذا صحيح فعلاً فثوبها الحريري الأزرق يُظهر مفاتن تلقت أنظار الرجال دون استثناء. التفت المرأةان عندما عاد كولين حاملاً الشراب البارد الذي طلبه جنثيف.

- خذلي، يا جميلة.

وابسم كولين لجنثيف بـ«هو وسرو بالغين»، وهو يفكرون في جمالها. وتذكر أن يلتفت إلى لالي لسؤالها، بتهذيب: «هل أحضر لك شيئاً، يا آنسة لالي؟».

فهزت رأسها: «لا، شكرأ يا عزيزي، يجب أن أذهب لأنفق

عندما وصلت إلى أسفل السلم، كان هو قد شق طريقه بين الجموع، ثم مد إليها يده قائلاً: «الآن يمكن للرقص أن يبدأ».

كانت عيناً الفضيتان تتألقان بشيء لم تجد هي الشجاعة لأن تسميه. فقالت منتصنة العذوبة والعنف الأسري كأي ابنة عم: «تبدو رائعاً».

فقال بلهجة مطاطة: «كنت أجمل فتاة صغيرة في العالم ولا تزالين».

ثم طبع قبلة على جبينها: «يا الله... يا الله من وغدة».

وهمست برقه باللغة وهي تعيل برأسها الذهبي الشعر نحوه: «جزء مني يحبك، وهو الجزء الأفضل، لذا كن لطيفاً معي هذه الليلة».

- وأنت حاذري على سلووكك كذلك. ثم رفع يدها يقبّلها، متوجهاً لتجاه أصابعها. رافقها نحو الباب، داعياً الجميع إلى أن يتبعوها إلى القاعة الكبرى.

وعلى الشرفة، جاء كولين بسرعة وهو يهتف: «جنثيف، عزيزتي. ظنتك لن تنتهي أبداً من ارتداء ملابسك. ما زلت انتظرك، تبدين رائعة».

وقف كولين أمامهما لكن بلين لم يتنازل له عن ذراع جنثيف. كان في اعتدال كتفيه العريضتين وملامحه المتسلطة ما يشير إلى أن كولين لن يحصل على (صديقته) قبل فترة. وفي انتهاء ساعه سار كولين بجانبهما وهو يشكر بلين مرة بعد مرة على لطفه، فهو يستمتع بوقته إلى أقصى حد. عند الساعة العاشرة، كانت القاعة تتعج بالراقصين. وراحت جنثيف تتأمل الصور المعلقة على جدرانها.

- إنه بطل حقيقي، أليس كذلك؟

قالت «لالي» هذا وهي تلتفت إلى جنثيف، مشرقة الوجه لتجاه الحفلة.

- لا شك في هذا.

وتأنبت جنثيف ذراعها بحرارة، ثم قالت: «الجميع الآن بعضه وقتاً ممتعاً... أليس ذلك رائعاً؟».

- أنا مسرورة للغاية. حتى صغيرتنا هيلاري تبدو سعيدة. لكتني أظن

نحب العيت

بدأ الشرود على بلين، وتبعد نظرانها كما فعل معظم الحاضرون، ثم سألهَا: «هذا شيء تكرر به دوماً يا هيلاري، أليس كذلك؟».

ونظر إلى بحر الراقصين حيث كان كولين وجنتيفي متعانفين، غافلين عن كل ما حولهما.

وأضافت هيلاري بفطنة باللغة: «ولكن، هذه المرة، يبدو أن كولين كسب حبها. هل رأيت من قبل شخصين مشغولين بعضهما البعض بهذا الشكل؟ أخبرتني جنتيفي أنها تهتم كثيراً لأمره».

ورفعت بصرها إلى بلين لترى ردة فعله فبدا عدم التصديق على وجهه.

ـ متى قالت لك هذا؟ لا أظنكما أمضيتما معاً أكثر من خمس دقائق.

ـ وما أدراك؟

وبقي صوتها حلواً ممتنعاً، حين أردفت: «أنت في معظم الأوقات، غير موجود معنا. أخبرتني ذلك عصر هذا اليوم بعد المباراة».

ـ إنهم صديقان ليس إلا.

تكلمت بشكل حاسم، حاسم أكثر مما يجحب بالنسبة إلى هيلاري المصممة على تفريقهما. تثبتت بذراع أخيها ووقفت على أصابع قدميها تهمس له: «يمكنتني أن أخبرك أنها تحاول جاهدة أن تقنعك بهذا، ولا أدرى سبب ذلك بالضبط. وقد حذرتني في الحقيقة بأن ألزم الصمت. يمكنك أن تستخرج منها لا تريدهك أن تعلم هدفها، فأنت كثير الاعتراض. ولن تخبرك قبل أن يقوت أوان قيامك بأي شيء لمنع ذلك. على كل حال، هو يعجبني، ويريد جنتيفي بقوة. هذا واضح جداً».

وفي اللحظة التالية، جاء شاب يدعوهيلاري للرقص، فذهبت معه إلى الحلبة شاعرة بالنصر للإنجاز الذي حققته. وستنهز كل فرصة تسع لها للتفرقة بين بلين وجنتيفي.

* * *

ثم أومأت مبتسمة وذهبت بحثاً عن صديقة أرادت أن تتحدث إليها. وكانت القاعة نجح بالراقصين الذين بدوا أنهم لن يملؤا قبل الصباح.

ـ هيا بنا نرقص، أيتها الأميرة.

ووضع كولين ذراعه حول خصر جنتيفي يقودها إلى حلبة الرقص، مضيفاً: «أريد أن أخذك بين ذراعي».

فنظرت إليه ضاحكة: «أتعلمت أنك اكتسبت لهجة أبناء البراري المطاطة؟».

ـ خصيصاً من أجلك يا عزيزتي.

وأخذها بين ذراعيه، مستمتعاً بأنوثتها وشعرها الذهي الرائع الذي اندللت خصلاته على ذراعه، وهو يقول: «هذه الرحلة القصيرة كانت مدهشة بالنسبة إلي. فقد جعلتني أفهم أموراً كثيرة».

ـ فسألته بلهجة عادية: «أمثل ماذا؟».

ـ مثل كيف سيكون الزواج من فتاة دافئة القلب، رائعة الجمال مثلك. وشعر كولين بالإثارة تملكه وهو يقول ذلك، لكن جنتيف لم تكن واثقة بما إذا كان جاداً أم لا.

ـ لا بد أنك تمزح. أليس كذلك يا كولين؟ ظنتك لا تود الزواج؟ أكثر الناس يعتقدون أن كولين غاريت مجرد شاب عايش.

ـ ربما في الماضي. أما الآن . . . لا أستطيع أن أتخلى عنك. وأصبحت نظراته رقيقة جادة. وفي تلك اللحظة اعتقد أنه غارق في الحب، فهو لا يذكر أن شعوراً مماثلاً تملكه من قبل. وباندفاع عاطفي، أحنى رأسه وعانت جنتيف عناقًا طويلاً، شاعراً بها تتنفس بين ذراعيه.

ـ هل رأيت ذلك؟

وعلى مسافة بعيدة، كانت هيلاري تقف لحظة مع أخيها بلين، فشعرت وكأنها حصلت على فرصة ذهبية.

ـ لقد وقعت جنتيف أخرىاً في الحب. لم أظن أن هذا سيحدث، فهي

انتظر حتى ترك كولين جنثيف لحظة قبل أن يتصرف، فامسك
بذراعها العارية بسألاها:
ـ أتراك تتجنبيني أم أنا أتخيل ذلك؟
ـ ربما فعلت هذا حقاً.
لم تشا أن تكذب عليه.
ـ لماذا؟

وخرج بها إلى حلبة الرقص، عالماً أنها خلعة.
ـ أنت تعلم لماذا، تبا لك. لا يمكنك أن تلومني.
جعلتها ذراعاه الملتقطان حولها تشعر بضعف كبير، ورغم أنها بدت
بالغة البرودة، إلا أن مشاعرها كانت مضطربة. أحست أنها على شفير
الهاوية. أي لعبة يلعبها بلبن؟ المذلة ستقتلها إذا حاول فقط أن يثبت
سيطرته عليها، ألم يعلم بعد أنه مرق قلبها؟
امسك بها بصمت لحظات، وقد التصق جدائماً. وشعرت بنفسها
ترتجف، فانفجرت تقول بشكل عفو: «لا أدرى إذا كنت أستطيع
احتمال هذا».

كان هذا كشفاً بالغاً عن لمشاهرها، لكنها لم تستطع السيطرة على
نفسها.

إشتدت ذراعه حولها: «تحتملين ماذا؟ إياك أن تخدعني، يا
بنفسجتي».
هذا اللقب القديم الذي كان يطلقه عليها أيقظ مشاعر كثيرة معقدة في
نفسها.

ـ هذا لن ينفع، أليس كذلك؟
ـ لا، ما دام الجميع هنا يستمع بوقته. لماذا أنت خائفة من التحدث
إلي؟
كان ماهراً في التنقل... يبدو طبيعياً، فقالت: «أنا مستاءة، هذا هو
السبب».

اعترفت بذلك وهي تحدق من فوق كتفه.
ـ أحقاً؟ كنت سأقول العكس. فهذا المشهد الغرامي الصغير مع
كولين كان متمنعاً للعين.
فأجابته بقسوة: «العله الرجل الذي احتاجه بالضبط».
ـ لا أستطيع أن أفهم كيف استنتجت ذلك. رغم أنني أسلم أن بإمكانه
أن يكون طريقاً بحر كاته الصبيانية.
قالت: «أنت لن تكفر عن هذا، أليس كذلك؟».
ـ أكف عن ماذا؟ عن الاهتمام بك؟
ـ نعم. نعم. تدخلك في حياتي أمر مثير قاسي.
ـ تدخل؟ هل هذا ما تسميه يا جنثيف؟ أنت تحيريني.
رفعت إليه عينيها البنفسجيتين: «بلبن، أرجوك. أنا أجده هذا مؤلماً
للغاية. هل يمكننا أن نتوقف عن الرقص؟».
ـ لا. أريد أن أسمع منك شيئاً. هل قلت لهيلاري إنك تهتمين جداً
لأمر كولين أم لا؟
نهدت بيساس بالغ وهي تقول بانفعال: «أسأرك إذا لم تدعني
أذهب».
قال بهدوء على الرغم من أن عينيه كانتا متألقتين: «لا. لن تفعلني
هذا، يا جنثيف».
قالت وهي تحدق فيه: «أؤود ذلك فعلاً».
ـ طبعاً تودين ذلك، فأنت تشعرين بأنك مهددة. ولكن يبدو أنك لا
تريددين أن تتحدثي عن ذلك.
أليست هذه هي الحقيقة؟ فهي مرتعنة من فتح هذا الباب الذي قد
يكشف عن أمور كثيرة. قالت: «هل لي أن أشير إلى أن سالي تقف هناك
عايبة؟».
ـ سالي لا تعبس أبداً.
قال هذا هازلاً، فهزت رأسها: «آه، بحق الله، أنا أعرف هذا. لكنها

تفتقديك من دون شك؟

وكانت سالي في الواقع تلوح لهما بذراعيها، فبادلتها جنثيف التحية
محاولة أن ترسم على شفتيها ابتسامة مطمئنة.

- هل تلك زينتك على ثوبها؟

- نعم، فسالي تحب الزنانق كثيراً.

فقالت وقد أحمر وجهها مما زادها جمالاً:

- من الطبيعي أن تعلم هذا علاقتكما قديمة.

حدق فيها قاتلاً: «ما أجمل هذا. يبدو أنك تغارين».

فحولت نظراتها عنه وأجابت: «لا تكون سخيفاً، فأنا أحب سالي.

الأفضل أن تذهب وترقص معها».

- أنا مستمتع جداً بالرقص مع ابنة عمي المفضلة.

- ليس دائماً.

فقال ساخراً: «بل دائماً، أيَا كان مزاجك. كم تبددين جميلة هذه الليلة، هل أخبرتك بذلك؟».

- لا أذكر أبداً.

كان جسدها كله يرتجف.

- حسناً، أنا أخبرك الآن. يعجبني ثوبك هذا للغاية.

جعلتها نبرة صوته توشك على البكاء. ودهشت وهي ترى نفسها
تقول: «نحن ملتصقان أكثر مما ينبغي. أليس كذلك يا بلين؟ إننا ملتصقان
إلى حد خطر. بدأت أفهم أخيراً لما تحاول تأخيري».

ورفعت بصرها إليه، فرأى نظره متألفة. هل هي متخصصة؟ ساخرة؟
إنها تحبه. آه، نعم! لكنها تشعر نحوه بشيء من الكراهية كذلك. كان من
الصعب عليها أن تقييم صورة بلين الحقيقة في نفسها.

توقفت الموسيقى، ثم عادت الفرقة تعزف مرة أخرى. وهذه المرة
كان اللحن أكثر سرعة وإثارة، فانهارت الفرصة للهرب.

- عليّ أن أعود إلى كولين.

- لم لا؟

وعاد فوق والغضب بايد عليه: «يبدو أنك لا تستطيعين السيطرة على
نفسك أثناء وجودك معي».

استمر الرقص مع تقدم الليل وازدياد البهجة، وبذلت جنثيف جهدها
لكي تجاري المزاج السائد. ولكن مع حلول الساعة الواحدة اضطررت إلى
الإقرار بالهزيمة، فغادرت القاعة برفقه لالي، بينما يقى كولين الذي كان
يعضي وقتاً طيباً. أما بلين وسالي فراحوا يتمشيان بين شجيرات التخليل
مستمتعين بحديث شيق.

سألت جنثيف لالي، غافلة عن لهجتها المعبوطة: «أنتظرين أن يلين
وسالي سيتزوجان؟».

- إنه لا يعجبها يا عزيزتي، وأنت تعلمين هذا. أعني، إنها علاقة من
دون ارتباط حقيقي.

ابتسمت جنثيف ابتسامة جانية جافة وقالت: «لكتها تحبه، لا تنسى
هذا. إنها فتاة طيبة حقاً، وتستكون زوجة ممتازة له».

- هذا صحيح من بعض النواحي، فقد ولدت ونشأت في البراري،
وهي فتاة قوية عاقلة، وهي مرحة أيضاً. أنا أحب ذلك فيها، ولكنها لا
تملك الجاذبية، إذا كنت تفهمين تصدي. الجاذبية كما هي بين القمر
والemd والجزر. أنا لم أصمت بهذه الجاذبية أما أنت فبلى.

نهزت جنثيف رأسها: «إذن، فأنا لا أريد هذه الجاذبية. إنها لم
تحقق لي أي نجاح بالالي، حتى وإن كان هذا صحيحاً. ثم أنت قمت
 بشيء وعدتك بألا أفعله».

سألتها لالي متعجبة: «وما هو؟».

فأجابت جنثيف بضحكة جافة سريعة: «القد جعلته يغضب مرة
أخرى. لم تعد يبنتا تلك العجبة السهلة».

- لم يحدث أن كانت علاقتكما سهلة فقط.

نظرت لالي إلى وجه جنثيف المتوتر، وأردفت: «إذهي إلى فراشك يا حبيبي. وأرجو الله أن تحل الأمور بينكما».

ما إن وضعت رأسها على الوسادة حتى استغرقت في النوم، بالرغم من المشاعر الحلوة المرة التي تملكتها وذلك المرح الصاخب الذي استمر ساعات. لكنها استيقظت مع خيوط الفجر، شاهدة برغبة في الخروج إلى الأدغال لكي تتمكن من التفكير بوضوح.

تسلىت مبتدأة بهدوء من الباب الخلفي متوجهة نحو الاصطبل، حيث أسرجت الفرس «أورو» لتخرج في نزهة منعشة.

جالت بين البيت الريفي وبعيرتها المفضلة التي تسميها الأسرة «إيزيس»، وقد أطلق عليها هذا الإسم جد بلين تيمناً بكبيرة الآلهات لدى المصريين القدماء.

تابعت جنثيف نزهتها، وقد هذا الصباح المنعش من اضطراب مشاعرها المحبطة. حتى في هذه الساعة المبكرة، كان السراب يرسل بحراً من الأمواج الزرقاء عبر الأرضي المعشوشة حيث ترعى الماشية. كانت جنثيف شغوفاً للغاية بهذه البراري المهجورة.

إنها تعشق هذه البداء المقفرة الفسيحة التي أحرقتها الشمس وهضبانها المنحوتة والبحيرات التي تمنع الحياة لهذه البراري الموحشة.

كانت تحب «جوبيلي» بقدر ما يحبها بلين، فالأرض تحدثها كما تحدثه. وهذه من الأشياء التي قربتها من بعضهما البعض. إلا أن ما أرادته حقاً من بلين لم تأمل في الحصول عليه حتى أنها لم تكن تؤمن بوجوده.

لم تحب أحداً في العالم بقدر ما تحب بلين. لا أحد على الإطلاق. ولكن بعد تلك... تلك اللحظة المسكرة كان عليها أن تقر بأن شعوراً لم تكن مستعدة له انتابها. شعور أشبه بالأحلام لأنه نظر إليها بشكل مختلف، كما ينظر رجل إلى امرأة. يبدو أن هذا ما سبب لها ذلك الشعور

المنتامي بالإحباط، وهذه الرغبة القوية الدفينة في أن يتمكنها بلين.
أثرها ستصبح كأمها؟ يا لها من فكرة فظيعة. لا يمكن انكار أنها
وبلين، أصبحا عذائبين إلى حد ما. فهو يقف بينها وبين الأمور التي تظن
أنها تزيد القيام بها وهي تزيد الهرب من سلطنته. وما يخيّفها حقاً هو أن
علاقتها التي كانت جميلة رائعة ذات يوم، تتبدل. ترجلت عن الفرس
وسارت إلى حافة البحيرة، وانحنت تغسل وجهها بالمياه الصافية والنقية.
كانت تلك المناظر الرائعة المحبطة بها تأسف قبلها دوماً، والليلة
الماضية، وصل ابتهاج كولين إلى حد طلب منها الزواج به. ربما كان
سيركع على ركبتيه ويعرض عليها الزواج بشكل صحيح لو أنها شجعنته
قليلًا، لكنها لم تفعل لأنها لم تعد واثقة من مشاعرها. الحق يقال إنها
استمنعت حقاً بصحبة كولين أثناء الأشهر الماضية، فهو سهل العشر
وغير متطلب على عكس بلين. وابتعدت جنثيف عن الماء إلى بقعة باردة
على الرمال حيث استلقت ووضعت رأسها على قبعتها.

كانت شبه نائمة عندما عثر عليها بلين، فقد تكهّن بالمكان الذي
قصدته عندما أخبره أحدهم أنه رأها في ملابس ركوب الخيل. كانت
جنثيف تعيش بحيرة «إيزيس»، فهي إحدى أمكّتها المفضلة.
- استيقظي، يا نائمة.
قال هذا برقة، خوفاً من أن تجفل بعد أن رکع على ركبتيه، وراح
يلمس خدها بغضون من العشب.
فتحت عينها الرائعتين وأخذت تحدّق في الوجه الوسيم الأسمر
المنحتي فوقها. لم تدهش أبداً لعثوره عليها، فهو يقرأ دوماً أفكارها بدقة
بالغة. البهجة التي تملكتها في البداية سرعان ما استحالّت حذراً بدا في
عيّنها.
- يا لها من ليلة.
وتملكها الاضطراب عندما جلس بجانبها على الرمال.

- بكل تأكيد. لو كان كولين يقصد فعلًا ما يقول، لنصحنك بالرفض.

فقالت بغضب: «المماد؟ على أن أتزوج يوماً ما».

- يا له من جواب سخيف.

- لماذا تبدو وكأنك تمزح مع طفلة؟

وأمكنت بحجر وقذفه إلى الماء.

سألها رافعاً حاجبيه: «هل هذا مثل آخر من الفطرسة؟».

- حسناً، أنت كذلك. عندما أطلب رأيك، تعمد أن تذلني.

رقت أساريره بشكل غير متوقع، وقال: «يا جنثيف، لا يمكنني أن أخذ هذا الأمر على محمل الجد. كولين غاريت لا بناسك، حتى أنت لا تحببها».

وفجأة، قفزت بشكل لا يتناسب مع فتاة رشيقه رقيقة مثلها، ثم قالت بصوت متسرد: «وما أدرك؟».

- لأنني أعرفك.

وقف هو أيضاً، وواجه أحدهما الآخر: «ماذا تريدين أن تثبتي على أي حال؟ أنك ستقومين بأي شيء لتبتعدين عني وعن عالمني؟».

فصعدت: «كيف تقول هذا؟».

فقال وقد أظلم وجهه ويداعليه الشروق: «ربما الحقيقة».

فقالت ضارعة: «الآن يمكنني أن أحصل على شخص آخر، يا بلين؟ ألا يمكنني أن أحب شخصاً آخر؟ أنت تعاملني وكأنني ما زلت طفلة، أما كولين فتعاملني كإمراة. وهو الآن يطلب مني الزواج، وأنا أفكر في أن أتزوجه».

فتألفت عيناه الفضيتان، وأجاب: «إذا فعلت شيئاً بهذا الغباء، لا حكمة ولا مصلحة فيه، فلا أظنين سارغب في رؤيتك مجدداً».

- لا يمكنك أن تعني هذا.

وبدأ عليها الذعر، فقال وعيناه شاحصتين إليها: «لا تنسى أنني رجل متصلب».

- ما زالوا يختلفون. هل تصدقين هذا؟

وخلع سترته وألقى بها على صخرة قرية، ثم سألهما: «ألم تستطعيي النوم؟».

- وهل استطعت أنت؟

- جنثيف، عزيزتي، هل نسبت أنتي لا احتاج إلى الكثير من النوم؟

- آسفه لسلوكي اللليلة الماضية.

- ظنتك سعيدة بتطور شخصيتك إلى الأقوى.

قالت بنعومة: «ولكن ليس إلى العدد الذي تريده، أليس كذلك؟».

- ما الذي جعلك تقولين هذا؟ ما زلت رائعة كما هرفت دوماً.

- أنت دائمًا ساخر، أليس كذلك؟

- وأنت تشبهيني في ذلك.

لاذت جنثيف بالصمت فترة ثم قالت: «أنا أحب هذا المكان».

- أعرف هذا.

- أنا ريفية في دمي.

- ما زلت أذكر كل شيء، يا جنثيف.

قال هذا بابتسامة ساحرة فسألته: «أحقاً؟ ما الذي حدث لنا، يا بلين؟».

- من أي ناحية؟

وحول نظراته بعيداً.

- لم تعد علاقتنا كما كانت.

- ربما لأنك كبرت.

فقالت بهدوء: «هل هذا هو السبب؟ لقد طلب مني كولين أن أتزوجه اللليلة الماضية».

- أنظئينه سيذكر هذا الصباح؟

فانفجرت تقول وهي تحدق في وجهه، وفكه العازم: «الآن يمكنني التحدث معك جدياً على الإطلاق».

حاولت أن تتحرر من قبضته الحديدية فوجدت ذلك مستحيلاً. لطالما شعرت معه بالأمان، وبالإطمئنان، لكن عمله هذا سينهي كل شيء.

- بلين، ماذا تفعل؟
- ما تظنبه بالضبط.

وبدا لها أنها لطالما علمت ما سيأتي. ولكن كيف ستحتمل ذلك؟ عقابه لها سيكون من شدة التأثير بحيث سينغير حياتها بأسرها.

سرت في عروتها رجفة لم تستطع كبح جماحها. لم تشعر يوماً بمثل تلك الأحساس، ولم يحدث أن سمرها بذراعيه كما يفعل الأن. أحسست جنثيف بسعادة لا مثيل لها، سعادة بلغت قلبها وروحها... بل غمرت كياباتها كلها. واستمر عناقهما طويلاً، لذيداً، ملتهباً...

همست باسمه بصوت خافت، وقد أحسست به يفزو قلبها أكثر فأكثر. خفض نظره إليها... إلى وجهها الشاحب الجميل، إلى عينيها المغمضتين، إلى فمها المتور، النابض، فرأت توتر ذك.

ما كانت مواجهة الحقيقة سهلة قط. لم يحرر جنثيف من اضطراباتها، بل زادها. لمسة بيده صعقتها وشعر بذلك بالرغم من تهوره الجنوني. كان عطرها في أنه، وقد التف حوله كفمامه، لكنها ابعدت عنه متعثرة، عاجزة عن الكلام. وتمكنت أخيراً من أن تصرخ وتقول له إنها تكرهه، وإنه تهراً، حتى كادت الصدمة تصيبها بالجنون. يا للنساء كيف يخطمن قلوب الرجال!

فقالت وهي ترتجف: «أنا أعرف أن رحيل أمك لم يفارق ذهنك».

- لكنني شفتي من تأثير ذلك. أليس كذلك يا جنثيف؟

وبيت على شفتيه ابتسامة خفيفة، وهو يسألها: «ما الذي جعلك إذن تعتقدين أنني عاجز عن الشفاء من تأثيرك؟».

غضت شفتها بقوة وقالت: «آه، هذا مؤلم جداً. مؤلم جداً مذاق المرارة هذا».

- إنه نتيجة ما يحصل بيننا. عليك أن تقرى بالحقيقة يا جنثيف.

- لعل الحقيقة معقدة إلى حد يجعلها لا تتحتمل.

ورفعت يديها بسرعة نفطي وجهها المتوجه، فقال بعده: «اما من سبب يجعلك تشعرين بالذنب».

- وماذا عنك؟ أنت تتدخل في علاقاني كلها بينما أنا لا أقول كلمة عن علاقائك.

- هذا غير صحيح. هل تسيت «مارشا» وأصوفي؟

- لا أستطيع أن أذكر عدد النساء في حياتك حتى أنتي لا أفهم كيف أن واحدة منها لم تستطع الإيقاع بك.

- أنت تمزجين. ما كنت لأسمع لهن بذلك. ومد يده إليها فقررت إلى الخلف، محمرة الوجنتين حادة الحلق: «أنا سأتزوج كولين».

قالتها وكأنها خطوط دفاعها الأخيرة ضده:

- إسمحي لي أن أقول إنك لن تفعلي هذا، أنت لست مهياً للزواج. خصوصاً لزواج لن ينجح أبداً.

شعرت بأنها عاجزة عن السيطرة على لفتها وغضبها وهي تقول: «كولين يجعلني أشعر كامرأة».

- أي شخص يجعلك تشعرين كامرأة. هزت رأسها، بصمت وضعف، متوقعة ما سيفعله. وراح رأسها يدور عندما أخذها بين ذراعيه بقوة مذهلة وشلّها إليه وقد توترت ملامحه.

اكتشفت هوية سعيد الحظ الذي أسر قلب صديقتها.
نهضت جنثيف من سرير المستشفى وتوجهت إلى الحمام. كانت
إيما قد أحضرت لها في الصباح الباكر ملابس أخرى وبدت سعيدة للغاية
وكان جنثيف لم تعرّض نفسها بحماقة، للسخرية والإذراء.
عندما وصل بلين، وجدها وقد ارتدت ثيابها وجلست تنتظره.

كان بلين يرتدي ملابس بسيطة بدا فيها بالغ الوسامية والحيوية.
وعندما نظرت إليه، انهمرت دموعها مرة أخرى.

- هنا ياجنثيف ، علينا أن ننسى الموضوع .
كان في صوته لهجة خشنة بعض الشيء ، ولم يربت على رأسها
كالمعتاد .

- جففي دموعك. أن تشعرني بالتعاسة أفضل من أن نرتকبي غلطة
شنيعة.

لكن هذه ليست الحقيقة. فقالت صارخة: «لا أستطيع احتفال العودة إلى البيت، لا أستطيع. انجليل تظن أن الاحتفال ما زال قائمًا».

- لطالما أرادت أنجحيل أن تزوجك بالرجل غير المناسب، وأنا لن أعيدك إلى أمك. سأخذك إلى فندقي، إلى لالي، وستعود إلى جوبيلي بالطائرة عند العصر. أريدك أن تأتي، سمع :

كادت جنثيف تطير فرحاً، فسألته ضارعة: «هل هذا فقط لمجرد إخفاء عن العالم؟»

فأجاب: «فكري في الجواب بنفسك». وال نقط حقيقتها الصغيرة، وأمسك يذراعها يقودها إلى خارج الغرفة. بداع على عجلة من أمره، إذ قطع المسافة بسرعة. وعند مكتب الإستقبال، سأله: «ماذا عن الحساب؟».

- سدته وانتهيا . أخبرت كولين ، أليس كذلك ؟
فتنهدت : « ولماذا تظنين كنت أبكي ؟ »

٥ - الحجتين الدفين

في اليوم التالي للعرس الذي لم يتم. عندما تركت جنثيف الهاتف، كانت نادمة وحزينة للغاية، وتمت لو أن الأرض تشق وتبتلها. كان المتصل كولين الذي راح يشكو من أنه لم يستطع أن يتحدث إليها قبل الآن لأن الخط كان مشغولاً. ففي الواقع، اتصلت بها الجميل أملة أن تمضي ابنته بهذا الزواج النصر.

ولكن جنثيف رفضت بحزم ما جعل امها تغضب للغاية وتنعتها بأنها عديمة الإحساس.

لكنها قد كشفت لكولين عن مشاعرها، فكان رقيقاً وحسناً. إنه في الواقع انسان طيب للغاية ومبنيضج إذا ما تحرر من سيطرة أبيه الفظيع. لقد بكت، وبكى كولين. وأخيراً أقسم كلاهما على أن يبقيا (صديقين) إلى الأبد. فقد أظهر تفهمها عظيماً، عندما حاولت أن تعبر عن حزنها وندمها وشكرها له لأنه أصفع إلى حدتها. لقد أساءت التصرف لكن كولين أقنعتها بأنه يتفهمها، ما جعل عطفها عليه يزداد بسرعة فائقة، ودموعها تنحسر على خديها بعد أن وضعت السماعة. وقد عرفت جنثيف أنه لن يجد أدنى صعوبة في الحصول على امرأة أخرى.

حتى أنه لم يسأل عن خاتم الخطوبة، ولكنها، طبعاً ستعيده إليه وكذلك الهدايا التي لا تزال في بيت انجيل. أخبرتها تيفاني هاتفياً وهي تضحك عالياً بمكر، أن حفل (الاستقبال) استمر بنجاح بالغ، وحدها

فقال بحفاء بالغ: «اقتراف الأخطاء واستخلاص العبر منها يعني الشخصية».

- تألك، أنت من قال أولاً إبني عديمة الشخصية.

كان عند الباب الخارجي عندما تراجع بلين ونظر إليها مقطباً.

- بعض المصورين في الخارج، وأظنهم يتظروننا.

- أرجو أن يكون معك سيارة... سيارة سريعة.

- معي سيارتك التي، إم دبليو.

فحملقت فيه: «هذا حسن، منخرج برباطة جأش وهدوء تام».

قال ساخراً وعيناه تكسسحانها في ثوبها الوردي المثير: «عظيم، ضعي نظارات شمسية على عينيك ولا تتكلمي».

شعرت وكأنهما يتجاذزان الإشارة الحمراء، كانت لالي قد نزلت في أفحى جناح في الفندق، لكن وعلى الرغم من أنها تحدثت إلى جنثيف في المستشفى، لم يجدا لها أثراً.

- هذه رسالة منها.

وقرأ بلين ما كتبه، ثم قال: «خرجت في عمل لفترة قصيرة وستعود بعد ساعة».

قالت جنثيف وهي تغوص في أريكة وثيرة: «حسناً، هل يمكننا أن نتحدث؟ أظن أن هذا هو هدف لالي».

قال مهاجماً من دون أن يتقدم نحوها: «أظنك تجدين الحديث معه صعباً».

- أعلن أنني أثرت استياءك.

وأحنت رأسها، فأجابها قائلًا: «بحق الله، يا جنثيف كان علي أن أصرف. أنسنت أنك كنت على وشك الزواج من كولين؟».

- نعم نعم. كنت على وشك أن أفقد السيطرة على نفسي.

وارتجفت.

- لقد حان الوقت لكبري.

- أعرف هذا. لقد خدعت كولين.

انجه بلين إلى الشرفة التي نظر على منظر العرفة الأزرق الرائع.

- الحقيقة أنه ليس لامع الذكاء، حتى أنه ليس مخلصاً. وسواء ألغى الزواج أم لا، أعتقد أن صاحبك كولين أمضى وقتاً رائعاً الليلة الماضية.

فكادت تقول: ومن يأبه!

لكنها توقفت في الوقت المناسب لتقول: «هذه هي شخصية كولين. على كل حال، كان نبيلاً جداً».

فنظر بلين إليها مؤنباً وهو يقول: «آه، إخرسي».

فصرخت بشكل عاطفي: «حسناً، سأخسر. ولكن قبل ذلك أريد أن أخبرك بأنني أحبك أحبك من كل قلبي. وكدت أفقد صوابي حين ضممتني إليك. كانت المرأة الوحيدة التي عانقني فيها بذلك الشكل، لكنها قلت حياتي رأساً على عقب. بقيت ضائعة طيلة الأسبوع التالية».

عاد بلين وجلس على كرسي بجانبها: «كيف يمكن لأمرأة أن نكتم حبها بهذا الشكل؟ لقد تصرفت وكأن عناقك لك يهدد حياتك».

- هذا صحيح، وهذا ما شعرت به. لا بد أنني ساذجة للنقاوة. لم أكن مستعدة لذلك، فتحنن أقرباء. وكنت تعاملني وكأنني أختك نفرياً، وإذا بك تلقي بي في الهاوية بشكل مرعب للغاية.

ومذلت يدها إليه والحب في عينيها: «بلين... أنا بحاجة إليك. بحاجة إليك أكثر من أي إنسان آخر في العالم».

- بأي صفة؟

- أتريد جواباً سريعاً؟

- لن أعائقك مرة أخرى إذا لم أحصل عليه. فهتفت والحماسة في عينيها: «هذا جنون. لكنني أريد أن أكون زوجتك. زوجتك أنت وليس زوجة أبي رجل آخر».

- مهما كنت خطراً؟

ونهض متقدماً منها برشاقة الفهد، وجلس بجانبها يجدبها إليها.

رفعت بصرها إليه. كم يدار لها مأثوراً، أكثر من أي وجه آخر في العالم.
- امنحني دقبيقة لأنكر...
- لا! لا! لا!

وضمها إليه بكل ما أوتي من قوة... وحب. وهذه المرة كانت مستعدة فبادلته عنانه وأنهارت الحواجز بينهما، لتكتشف عما في نفسها من حنين دفين.

- بلين... حبيبي.
أخذت تهمس باسمه مرة بعد مرة وصوتتها يرتجف بالمشاعر. شعرت بعجدها يلتهب ولم يكن لدتها ذكرة عن الحب، لكنها بدأت تفهم معناه الآن. همس بعاطفة جياشة: «أصبحت بين يدي». فأجابته هامسة: «أنا أحبك وحدك».

رفع رأسه لحظة ليقول: «ستتزوجيني. هل هذا مفهوم؟».
فقالت بسعادة: «هل تريد جوابي خطياً؟».
فقال بسخرية الفاتنة: «ليس ضروريًا. هذا المرة، يا بنسجتي، سيكون كل شيء أمامك مفهوماً، واضحاً».

* * *

قلب في امرأتين

١ - رجل أو امرأة؟

- تشارلي، هل تعرفين رجلاً يدعى «مات لوكهارت»؟
رفعت تشارلي نظرها عن البطاقات البريدية التي كانت تكتبها، لترى
ابنة عمها سارا تنظر إليها بارتياح.
- أنت تعرفينه، لأن وجهك أحمر وبدأ عليك الشعور بالذنب.
فقالت شارلوت مدافعة: «القد سمعت هذا الاسم من قبل».
- حسناً، أراهن على أنه لا يعلم أن اسمك الحقيقي هو «اللady
شارلوت بيلامي». إنه على الخط الآن يسأل عن «تشارلي بيل».
فقفزت تشارلي واقفة: «ماذا قلت له؟».
- قلت له هل لك أن تنتظر لحظة ثم جئت إليك مباشرة.
فهزت تشارلي رأسها بعنف: «لا أستطيع أن يتحدث إليه! أرجوك يا
سارا قولي له إنني لست هنا، أسأله عما ي يريد».
- أنا أعرف ما يريد.
وضاقت علينا سارا الزرقاء، وشبت ذراعيها على صدرها.
- وهذا ما جعلني أظن أن في الأمر خطأ ما.
وخففت صوتها بشكل مسرحي: «يريد أن يتحدث إليك عن وظيفة
قدمت طلباً للحصول عليها».
- أومأت تشارلي وهي تجفف راحتها الرطبة بتثورتها: «نعم».
- نعم؟ أتعنين أنك قدمت طلباً للحصول على وظيفة؟

في الغرفة المجاورة، فحوّلت اهتمامها إلى مياه البحر الزرقاء المتألقة والرمال اللامعة لشاطئ سيدني. كانت شقة ابنة عمها تطل على منظر رائع للمحيط، وكان من السهل أن تفهم لماذا تركت سارا انكلترا للعمل ستين في استراليا. وقد حالفها الحظ لأن والديها تفهمها إلى هذا الحد.

التفكير في الآباء جعل تشارلي تعاود النظر إلى البطاقات البريدية التي كتبتها.

من المهم جداً أن يظن والداها أنها تستمتع بإجازة رائعة. وكانت، طبعاً، تشعر بالكدر لخداعهما... ولكن نظراً للظروف كان ذلك شرّاً لا بد منه. ومن المؤكد أن والديها، في النهاية، سيفخران بها.

عادت سارا فرفعت تشارلي بصرها إليها وقد أخذ قلبها يخفق فجأة.

سألتها بقلق: «ماذا حدث؟».

انكأت سارا إلى الباب وهي تقول عابسة: «عليك أن تباشر العمل يوم الإثنين القادم. الحصان والسرج والأمتمة جاهزة».

شعرت تشارلي بالإرتياح وقالت وهي تجلس فجأة وقد أحست بوهن في ساقها: «هذا عظيم».

لكن سارا لم تظهر أي عطف وهي تقدم نحوها بيضاء متوعدة.

- يسرّتي أنك ترين هذا عظيماً، ولكن عليك إتقاعي.

- سأشرح لك الأمر.

- لا بد لك من هذا، فانا لا أعرف ما يجري ولا أريد أن أبقى كالصماء. كما أنتي لا أحب أن أكون وسيطة بينك وبين ذلك الرجل لوكمارت، أو أن أتشاجر مع والديك عندما يسألاني عن مكانك، فمن المفترض أنك تحت رعايتي.

ثم جرّت كرسياً وجلست عليه قائلة: «والآن أخبريني كل شيء، ويأدّق التفاصيل».

بدت ابتسامة عريضة على وجه امات لوكمارت؛ وهو بضع الساعات،

وعادت تشارلي تومي برأسها.

- يا إلهي! من المفترض أنك هنا في استراليا في إجازة.

- إنها... إجازة للعمل. فقد ربت أمر الحصول على تأشيرة عمل قبل مغادرتي إنكلترا.

أدانت سارا عينيها: «حسناً، ولكن هناك مشكلة كبيرة، وهي أن امات لوكمارت يطلب رجالاً».

فتنهدت تشارلي: «نعم، ولهذا السبب لا أستطيع التحدث إليه. يجب لا يسمع صوتي. هل لك أن تخبريه بأنني أقبل بالوظيفة؟ ولكن أرجوك لا تدعه يعلم أنني امرأة، فهذا سيفسد الأمور».

- لا أستطيع الكذب.

ضمت تشارلي يديها متسللة: «أرجوك يا سارا. أتوسل إليك! أعلم أن هذا غريب ومخيف، ولكن لا تقلقي فكل شيء واضح لا خداع فيه. اعرفي منه فقط متى يريدني أن أبدأ العمل».

- تبددين بالعمل؟ أتعين أنك تريدين حقاً أن تعملين؟ أي نوع من الأعمال هذا؟ لا يبدو من صوته أنه رجل من محبيك المعتمد.

- أسرعى وأوضح لك الأمر فيما بعد. إنه يتصل من مسافة بعيدة في المنطقة الشمالية وسيقطع الخط.

- وأنت تريدينني أن أجعله يظن أنك رجل؟

فكّرت تشارلي: «نعم، أرجوك».

وتملكها الإرتياح البالغ عندما خرجت سارا من الطرفية على الرغم من أنها كانت لا تزال تهز رأسها: «اللهحب هذا، يا تشارلطا».

خطيّة، إذ أطلب منك أن تكتفي، ولكن ثقي بي. لا ضرر من ذلك.

توجهت سارا على مضض نحو الهاتف في غرفة الجلوس، بينما تنهدت تشارلي بصوت مرتفع وهي تمرر أصابعها المرتجفة في شعرها الأشقر الطويل. سارا فتاة طيبة ولن تخذلها.

حاولت أن تكبح رغبتها في الاستماع إلى المحادثة من الهاتف الآخر

لستقبله.

فقال آرشن وهو يحك رأسه الأشيب: «أتراءك سهلت عليه الأمور أو ما شابه؟»

فقال «مات» عابساً: «نحن لا نريد له أن ينبوه، ولكن لا تقلق، عندما يصبح هنا، لن أمنحه أي عنذر. سأتأكد من أنه يجتهد في العمل، وإلا طرده!»

أوما آرشن وعاد إلى أوراقه، بينما وقف «مات» وهو ينفض عن الشكوك التي أخذت تتملّكه بسبب الثقة التي وضعها في هذا الرجل الإنكليزي.

- أتريدين أن تقضيه بالكامل؟

صرخت سارا بها فأجابت تشارلي بحزن وهي تجلس أمام المرأة تحدق في صورتها بجمود: «يقصـرـ شـعـرـ الرـجـالـ».

وافتـ سـارـاـ خـلـفـهـاـ وـهـيـ تـهـزـ رـأـسـهـاـ بـعـنـفـ ثـمـ صـاحـتـ،ـ وـهـيـ تـرـفـ خـصـلـاتـ شـعـرـ تـشـارـلـيـ الطـوـلـةـ الـحرـيرـةـ:ـ «ـمـسـتـحـيلـ!ـ لـاـ يـمـكـنـيـ أـنـ أـقـصـهـ هـكـذـاـ!ـ».

ثم أضافـتـ بـحـسـرـةـ:ـ «ـإـنـهـاـ جـرـيمـةـ بـعـقـدـ الطـبـيـعـةـ أـنـ أـقـصـ هـذـاـ الشـعـرـ.ـ لـاـ،ـ لـنـ أـفـعـلـ هـذـاـ.ـ إـنـ أـرـدـتـ ذـلـكـ،ـ فـاذـهـيـ إـلـىـ الـحـلـاقـ».

- لـاـ أـسـطـعـ.ـ لـاـ أـرـيدـ أـنـ أـلـفـ الـأـنـظـارـ،ـ ثـمـ لـمـ يـعـدـ لـدـيـ وـقـتـ لـكـيـ أحـجزـ موـعـدـ.ـ لـذـاـ اـشـرـبـ مـقـصـاـ جـيـداـ وـصـبـغـةـ لـأـغـيـرـ بـهـاـ لـونـ شـعـرـيـ.

- وـلـمـاـ تـرـيـدـيـنـ أـنـ تـغـيـرـيـ لـونـ شـعـرـكـ الـذـهـبـيـ إـلـىـ بـنـيـ؟ـ

- تـجـعـلـيـتـيـ أـبـدـوـ وـكـانـتـيـ أـعـرـضـ اـعـلـاتـاـ عنـ شـامـبـوـ.

- يـمـكـنـكـ أـنـ تـعـمـلـيـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ إـنـ أـرـدـتـ.

فـقـالتـ تـشـارـلـيـ بـعـدـهـ:ـ «ـكـتـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـبـدـوـ كـصـبـيـ».

فـأـخـذـتـ سـارـاـ تـضـحـكـ وـتـهـدـتـ شـارـلـيـ.ـ لـعـلـهـاـ تـنـظـلـ الـمـسـتـحـيلـ.

وـشـهـقـتـ سـارـاـ عـنـدـمـاـ سـيـطـرـتـ عـلـىـ مـرـحـهاـ.

متوجهـاـ إـلـىـ شـرـفةـ بيـتـهـ الـرـيفـيـ فـيـ مـزـرـعـتـهـ «ـسـانـدـاـونـ سـيـشـنـ»ـ الـتـيـ تـمـلـكـهـ أـسـرـهـ مـنـذـ ثـمـانـينـ سـنـةـ.ـ وـعـنـدـ رـؤـيـتـهـ،ـ أـشـاحـ آـرـشـ رـئـيـسـ الرـعـاعـةـ فـيـ الـمـزـرـعـةـ،ـ بـنـظـرـهـ عـنـ الـأـورـاقـ الـمـبـعـثـةـ أـمـامـهـ عـلـىـ الطـاـوـلـةـ قـائـلاـ:ـ «ـأـنـتـ تـبـسـمـ.ـ هـلـ حـالـفـنـاـ حـظـ؟ـ».

أـوـمـاـ «ـمـاتـ»ـ وـهـوـ يـجـرـ كـرـسـاـ لـيـجـلـسـ عـلـيـهـ:ـ «ـأـحـلـتـ الـمـشـكـلـةـ،ـ فـقـدـ وـجـدـنـاـ جـامـعـ مـوـاشـيـ.ـ وـسـيـكـوـنـ هـنـاـ الإـثـيـنـ الـقـادـمـ».

- الحـمـدـلـهـ.

أـوـمـاـ «ـمـاتـ»ـ مـوـافـقاـ.ـ فـفـيـ الـأـسـبـوعـ الـمـاضـيـ،ـ كـسـرـ أـحـدـ جـامـعـيـ الـمـاـشـيـ سـاقـهـ،ـ فـنـقـلـ إـلـىـ الـمـسـتـشـفـيـ وـلـمـ يـسـتـطـعـاـ الـمـتـورـ عـلـىـ بـدـيـلـ يـحلـ مـكـانـهـ.

حـصـلـتـ تـلـكـ الـكـارـثـةـ فـيـ أـكـثـرـ الـأـوقـاتـ حـرـجاـ،ـ فـالـشـتـاءـ عـلـىـ الـأـبـوـابـ،ـ مـاـ يـزـيدـ ضـغـطـ الـعـمـلـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ الـعـمـالـ قـلـيلـونـ.

إـنـكـ آـرـشـ إـلـىـ الـخـلـفـ،ـ وـنـظـرـ إـلـىـ «ـمـاتـ»ـ قـائـلاـ:ـ «ـيـدـوـلـيـ»ـ،ـ مـنـ اـبـسـامـتـكـ الـمـشـرـقـةـ هـذـهـ،ـ أـنـكـ عـشـرـتـ عـلـىـ شـخـصـ يـمـكـنـهـ عـلـىـ الـأـقـلـ،ـ أـنـ يـمـتـطـيـ حـصـانـاـ».

فـهـزـ «ـمـاتـ»ـ كـتـفـهـ:ـ «ـإـسـمـهـ «ـتـشـارـلـيـ بـيلـ»ـ وـلـدـيـ شـهـادـةـ جـيـدةـ بـالـفـروـسـيـةـ وـهـوـ يـعـتـبرـ أـنـ لـدـيـهـ خـبـرـةـ كـبـيرـةـ اـكـتـسـبـهـاـ فـيـ أـمـلاـكـ وـالـدـيـدـهـ».

- أـينـ؟

تردد «ـمـاتـ»ـ لـحظـةـ،ـ ثـمـ تـمـنـ يـقـولـ:ـ «ـادـرـبـشـاـيـرـ».

- درـبـشـاـيـرـ...ـ فـيـ انـكـلـتـرـ؟ـ

وـلـمـ يـسـتـطـعـ إـخـفـاءـ اـزـدـرـاءـ.

رفضـ «ـمـاتـ»ـ أـنـ يـدـعـ الرـاعـيـ يـضاـيـقـهـ،ـ فـقـالـ:ـ «ـبعـضـ الـانـكـلـيـزـ ذـوـيـ الـخـلـفـيـةـ يـغـدوـنـ جـيـدـيـنـ بـعـدـ أـنـ نـعـلـمـهـمـ القـسوـةـ فـيـ الـأـدـغـالـ».

هـزـ آـرـشـ رـأـسـهـ ضـاحـكاـ:

- فـعـلـاـ سـيـعـلـمـ القـسوـةـ.ـ وـأـرـجـوـ أـنـ يـكـوـنـ مجـهـداـ.ـ وـلـكـنـ،ـ هـلـ يـعـرـفـ كـمـ هـيـ بـعـيـدةـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ؟ـ

- قـلـتـ لـهـ أـنـ يـسـقـلـ الطـاـوـلـةـ فـيـ «ـكـامـوـبـيلـ»ـ وـأـنـيـ سـأـسـلـ أـحـدـ

فقالت تشارلي ضارعة: «إذا كنت لا تربدين أن تقضي شعري، فساعديني على الأقل على صيغ وتغيير لون بشرتي. عندئذ سأبدو كفتاة استرالية».

رفعت سارا حاجبيها ثم تنهدت: «لا أصدق أنني أفعل هذا».

وتناولت صبغة الشعر وأخذت تقرأ التعليمات.

أسكت تشارلي بيد سارا نعصرها برفق: «أشكرك كثيراً يا سارا. ليس لديك فكرة كم يعني لي هذا».

ـ لا بد لي من القول بأن العبرة والفضول ينطويان.

اعترفت سارا بذلك عندما نظرت إلى عيني تشارلي الخضراء.

ـ كيف يمكن لفتاة مثلك أن تملّكها فكرة جنونية كهذه؟

نظرت تشارلي إلى ابنة عمها بابتسامة متأملة. غالباً ما كانت تسأله متى بدأت هذه الرغبة في زيارة البراري تملّكها. لطالما أرادت الهرب من نمط حياتها المتحفظ هذا، ربما بدأ ذلك عندما تصفحت في مكتبة جدها كتاباً كبيراً ضخماً حيث رأت صور لامعة ومشاهد ملونة غامضة مغمورة بأشعة الشمس، وجياد رائعة الجمال. تلك الصور أسرتها كلّها.

ـ لطالما أحبت المغامرات والتحدي. لو أنني ذلك الصبي الذي كان أبي متلهفاً للحصول إليه، لسرّه أن أثبت رجولتي بمغامرة في البراري.

ـ لرأيت في الكفاح للوصول إلى القمة في عالم الفن في لندن، ما يكفي من التحدي والمغامرة.

فقالت تشارلي وهي تتحني على المفسلة لتبلل شعرها: «القد فعلت ذلك تحقيقاً لرغبة أبي».

ـ ولقد نجحت في ذلك إلى حد كبير، كما سمعت.

ـ كما علي أن أبحث عن زوج... لكي يساعد أسرتي والأفضل أن يكون حسن النساء.

ـ الزواج من اللقب والمال. كم هذا فظيع بالنسبة إليك.

قالت سارا هذا متهكمة وهي تلبس قفازين من المطاط وتعصر أنبوب

ـ أنظري إلى نفسك. أنت وردة إنكليزية! بشرتك ناعمة وملامحك رقيقة، وعيناك خضراوان واسعتان وأهدابك طويلة إلى حد أنني أظنها أحياناً زائفه وكذلك هذا الشعر الجميل.

ـ ولكن لدى صبغة شعر ومقص ومحلول يجعل البشرة سمراء. ومذت تشارلي يديها أمامها تتفحص أظافرها الملونة ثم عبّت، قائلة: «عليّ أن أقص أظافري أيضاً».

وضعت سارا يديها على وركيها عابسة: «حتى ولو عالجنا مسألة الشعر والبشرة والأظافر، كيف ستخفين صدرك؟».

فنظرت تشارلي إلى صدرها: «أما من طريقة لتصفيحه أو ما شابه؟». تنهدت سارا وعادت تنكّي على منضدة الزينة وتنظر إلى تشارلي ساخطة.

ـ هل لديك فكرة عن الحياة في البراري؟
ـ لا، ولهذا أنا ذاهبة إلى هناك. أريد أن أندوّق شيئاً مختلفاً كلّياً، أريد أن أرى الحياة بأبعادها الصحيحة...».

وسكتت. هذه الرغبة المحرقة لمغامرة مختلفة عن حياتها الآمنة الهدامة في إنكلترا، أكثر من مجرد رغبة بسيطة.

ـ أريد أن أدخل إلى البراري. أريد أن أواجه الخطط والخشونة.

ـ ستحصلين تماماً على رغبتك هذه، وعلى الحرارة والغبار والذباب أيضاً، ناهيك عن المواشي القدرة الكريهة الرائحة، والرجال!

ـ وهل هم أيضاً قدرون وكريهو الرائحة؟

ـ بعضهم كذلك، ستجدين الحياة في البراري أشبه بزيارة كوكب آخر! صدقي ستجدين ما يكفي دونما الحاجة إلى الناظر بأنك رجل.

فصرخت تشارلي نائحة: «لكنهم سيطردوني حالماً يعرفون أنّي امرأة».

ـ ربما، ولكن بدا لي من صوت أمات لوكهارت، أنه متلهف. ثم هناك نساء كثيرات يعملن في البراري... وهن نساء استراليات.

الصيغة. فقالت تشارلي: «أشكرك رب لأن أباك هو الابن الثاني لإيرل. الضغط على أبي المسكين وعلى أمي وعلى في هذه المسألة. فالمحافظة على مزرعة الأسرة سيرسله إلى الإفلاس ومن ثم إلى الفبر».

- لقد سمعت أن ذلك البيت القديم يكاد ينهار وأظن أنهم يتوقعون منك أن تقضي الأسرة.

فتنهدت تشارلي: «نعم. وكلنا نعرف كم أصبح أصحاب الألقاب فقراء. هناك الكثير منهم ولكن أغلبهم مملون تقضيهم الوساممة».

- مسكنة تشارلي. لا بد أن أقول إبني أقدر حريتي.

وأضافت وهي تربت على رأس ابنة عمها مطمئنة: «ولكن المرأة الوحيدة التي تستطيع أن توقع في شباكها أروع الرجال هي إنت».

- ومع ذلك، أريد أن أقوم بمحاكمة واحدة قبل أن أعود لأصبح ابنة مطبعة. أعلم إنتي لو أخبرت أمي بما أنوي القيام به، لأصيّت بنوبة أخرى. ضغط دمها...».

- ضغط دم أمك غير موثوق به.

- أريدهما أن يرتاحا ويظنان أنني أمضى إجازة مربحة، وفي النهاية أخبرهما بما فعلته حقاً.

قالت سارا وهي تكوم شعر تشارلي الذي أصبح داكناً على رأسها: «لا بأس، أظن بإمكاننا أن نقيهما سعيدين».

- وأنا سأنتهز فرصة حياتي الوحيدة لأعيش مغامرة حقيقة مثيرة. قالت تشارلي هذا بحزن، متوجهة ما تشعر به من ذعر. وقالت مكشراً: «آه، لقد دخلت تلك الصيغة في عيني».

* * *

٢ - خشن وصعب وحار

فغر «مات» من سيارته بسرعة البرق، ثم نوجه بغضب شديد إلى كوخ جامعي المواشي. رفس البوابة المعدنية، وهو يصرخ: «أين هو؟».

صعد الدرجات بخطوتين ليقف أمام الباب الأمامي المفتوح ثم أخذ يحدق في الردهة المركزية المعنمة للكوخ. فأطل راعٍ صغير السن برأسه من الباب الأول وسأل: «عمن تبحث يا سيد؟».

فأجابه صارخاً: «عن الشاب الجديد «بيل» تشارلي بيل».

ابتلع الفتى ريقه حتى كاد يغتصب به، قائلاً: «آخر غرفة إلى اليسار». تابع «مات» طريقه في الممر وقد انقضت ملامحه. فقد ضيّع لتوه أربع ساعات وهو يقود السيارة في الغبار إلى «كاموويل» في حين قرر تشارلي بيل الآية تتظره، مفضلاً ركوب شاحنة البريد مجاناً. عندما وصل مات إلى الغرفة الأخيرة، لم يقف ليفرع الباب بل دفعه بخشونة فانفتح. ثم جمد مكانه.

فكل ما رأه هو ظهر امرأة ترتدي زيًّا غالياً لركوب الخيل.

ولكن عندما نوقفت هذه عن البحث في حقيقة ظهرها واستدارت لتواجهه وقد اتسعت عيناهما الكبيرتان الخضراءان مجفلة. فغر «مات» فاء، ويقي لحظة طويلة ينظر إلى هذه المرأة ذاهلاً. كانت رائعة بشبابها الغالية الثمن وحذانيها الجلدي الثمين وبلوزنها البيضاء البسيطة ومواصفاتها الأنوثية التي لم تستطع إخفائها. هز «مات» رأسه، وأغلق فمه، ثم فتحه مرة أخرى.

- ما الذي تفعلين هنا بحق الله؟

ارتسنت على شفتيها الجميلتين ابتسامة متوفرة: «أنا تشارلي بيل».

- بل أنت شيطان.

فمددت إليه يداً نحيفة: «لا بد أنك السيد «لو كهارت».

كانت يدها باردة غامقة للغاية في يد «مات» الذي تركها بسرعة ثم دس راحتيه الخشتين في جنبي ببطولته وهو يحملق فيها.

- لماذا لم يخبرني أحد أنك امرأة؟

أخفضت عينيها، فأخذت ينظر إلى خديها اللذين اصطبغا بلون وردي محير. ولكن عندما عادت تتحقق فيه، كانت نظراتها ثابتة: «ظننت أنك حتماً لن تفهم بي إذا عرفت أنني امرأة، وخصوصاً لأنني انكليزية».

فقال بحدة: «أنت على صواب تام».

تغلب على الصدمة وعاد غضبه إليه، فاستدار ورفس قائمة سريرها.

- يا له من مأزق!

- أرجو ألا يكون الأمر كذلك يا سيد لو كهارت. إذا منحتني فرصة أظهر فيها مهاراتي، أنا واثقة من أنك لن تندم أبداً على ذلك.

كان صوتها بارداً مهذباً جداً ولهجتها انكليزية أصيلة ذكرت مات بعض البرامج الإنكليزية التي اعتادت أنه أن تترعرع عليهما. مهذبة؟ من تراها تخدع؟ واستدار إليها: «كان من قلة الأدب أن تقفزى إلى شاحنة البريد بدلاً من أن تنتظرني».

فقالت برقة وهي تعض شفتيها: «عليّ أن أعتذر مرة أخرى. خفت إذا ما تقابلنا في المطار كما طلبت أنت، أن تعيدي إلى الطائرة نفسها».

- هذا بالضبط ما كنت سأفعله. إسمعي، يا آنسة بيل.

ونظر بسرعة إلى يدها اليسرى، ثم أضاف: «وأظنك آنسة».

- أنا لست متزوجة إذا كان هذا ما تأسّل عنه.

- يبدو أنك ماهرة جداً في حماية ماربل، وأنا لا أحب هذا. قد يكون عملك هذا مجرد خدعة كنت تحلمين بها لكي تتحدثي عنها على مائدة

العشاء عندما تعودين إلى بيتك...».

فقطاعته تشارلي وهي تتحقق فيه بذعر: «لا...».

كيف يمكنها أن يجعل «مات لو كهارت» يفهمها؟

- هذا شيء هام جداً بالنسبة إلي.

- وكذلك بالنسبة إلي. أخبروك بأن تنتظري. ذلك كان الاتفاق.

وتحقق إليها بجد بالغ.

- والآن اسمعي. أنا اعتدت أن تنفذ أوامرني حرفياً. فإذا قلت لأحد هم

أن يتظاهرني في مكان ما، فعليه أن يفعل. عليك أن تفعلي ما يطلب منك.

إذا لم تستطعي تنفيذ التعليمات، فأنت تجازفين بحياة الناس.

- نعم، يا سيد لو كهارت.

- أنا لا أريد سائحين. أنا بحاجة إلى رجل ماهر، رجل مستعد

لممارسة عمل شاق. هذا العمل ليس بنزهة، إنه خشن وصعب وحار.

- هذا ما كنت أمناه.

طرف «مات» بعينيه، وتنبض جبينه حانياً وهو يتأملها: «كنت تتمنين

أن يكون...».

وأخذت نظراته تنتقل على جسمها: «أتراكنا نتحدث عن جمع

الماشية؟».

ابتلعت تشارلي ريقها وقد انتبهت فجأة إلى نظرات لو كهارت الساحمة

وأنارت اضطرابها تلك الطاقة في جسمه الصلب. خشن عنيف حار...؟

ما الذي كانت تفكّر فيه؟

وما الذي ظن أنها تفكّر فيه؟ مسحت العرق عن وجهها وقالت:

«أنا... أنا أعلم أن العمل في البراري خشن... وهذا ما أريده».

- لماذا؟

بقيت الأجوبة شهوراً حاضرة في ذهنها ولكنها هجرتها حالياً. ونابع:

«هل حياتك تنقصها الإثارة؟».

تنفست شارلي بعمق، أملة أن تمنع وجهها من الإحمرار الذي أثاره

سؤاله. نقص الإنارة في حياتها هو سبب وجودها هنا بالضبط، لكن لو كهارت طرح سؤاله هذا بازدراء بالغ متعها من الإقرار.

انتقلت نظراته إلى حقيقتها المفتوحة على الأرض كاشفة عن مجموعة من الملابس الداخلية وحاولت تشارلي أن تدفع غطاء الحقيقة بقدمها لثلا تعطيه تصورات كثيرة عن أنوثتها.

استقامت في وقوتها وبادلته النظر بثبات، ثم قالت: «حياتي هي كما أريدها بالضبط. وشكراً كثيراً لك يا سيد لو كهارت. أنا أفهم غضبك، ولكن هل هناك شيء تشعر بأنني لا أفهمه؟».

ناؤه لحظة بنفذ صبر وأحتى رأسه ثم حك رقبته. وفجأة، عادت نظراته إليها ثم انتصب في وقوتها.

- نحن لا نلعب هنا. وعلينا أن نعتمد على بعضنا البعض. لذا علينا أن نثق ببعضنا البعض. ومن يغش سرعان ما يكتشف أمره.

قطبت جبينها وسألت: «يغش؟».

فالنوى فمه بابتسامة خفيفة: «نعم. المخادع والمحتال». كبحت تشارلي شهقة ذعر. لو أن مات لو كهارت علم بهويتها الحقيقية، هل كان ليعتبرها محتالة؟

تقلصت معدتها، لكنها لن تدع هذا الرجل يرهبها. إنها واثقة من أن بإمكانها القيام بهذا العمل لو منحها الفرصة لذلك.

تنفست بثبات وهي تبادله النظر:

- أنا لن أتوسل إليك لتعطيني هذا العمل، يا سيد لو كهارت. لكنني أعرف أنك بحاجة إلى توظيف شخص، وأن العثور على جامع ماشية بسرعة في هذا الوقت من العام، صعب للغاية، وأنا الآن موجودة وأعتقد أنني مناسبة لهذا العمل.

طال الصمت الثقيل بينهما، لكن ملامح مات تغيرت أخيراً وتحولت إلى تكشيرية هزل. ثم قال ببطء: «الدليك قدرة على الإقناع».

وإذ كانت تعبس أنفاسها، تنفست الآن الصعداء. لكن ذلك كان

سرعاً منها، لأنه عاد إلى العبوس.

- هل يمكنك أن تمنطي حصان سباق؟

- بكل تأكيد.

لقد تعلمت ركوب الخيل منذ الخامسة من عمرها.

- دعني أرى يديك.

رباه! عاد التوتر إليها، ومذلت يديها الصغيرتين الرقيقتين. الحمد لله أنها تصن أظافرها. لمهما مات بأنامله على سبيل الاختبار ثم قلب راحتها إلى الأعلى، وإذا لم تضع عليهما الصبغة السمراء لتلا يدو عليهما التكفل بدتا بيضاوين كالحليب. كما بدا معصماها نحيفين جداً وجعلتهما الأوردة الدقيقة الزرقاء يبدوان أكثر هشاشة.

عندما أخذ يحدق فيهما، أدركت أن رائحة «الكريم» العطري تفوح منها، «الكريم» الذي تستعمله ليلاً نهاراً منذ كانت في الخامسة عشرة، وقد ندمت الآن على هذه العادة.

كان مقططاً بعض الشيء وكأنه قد أستقبلها في كفها ولم يعجبه ما رأى. وبعد فترة قال: «لن يمكنك أن تدمي العجلون».

- وهل قرأتني أن أدمغ بالعجلون؟

كان من المستحيل إخفاء نبرة الذعر في صوتها.

- ربما. وما هي قدرتك على خصي العجلون؟

- خصي العجلون؟

ردت كلامه ببلادة ومعدتها تتقلص لمجرد التفكير في ذلك.

- آسف ولكن لا يمكنك أن تدع كل العجلون تتوادد.

فقالت بعنف: «آه، كلا بالطبع».

وادركت أن مات ما زال ممسكاً بيديها وهو يبتسم. ولا بد أنه أدرك ذلك هو أيضاً لأنه ترك يديها وتراجع إلى الخلف وقد تلاشت ابتسامته.

- لم يأت أحد على ذكر هذه المهمات عندما قدمت طلباً للعمل.

- معظم الرجال يعرفون ما يتظار لهم في هذه الوظيفة.

الفانح مدة أطول من أن تعتبر مهدبة.

- هذه ليست مباراة في الفروسية والبنطلون سيلف حتماً.

فقالت مرة أخرى، شاعرة بمحسن غريب: «شكراً».

* * *

كان الظلام مخيماً عندما سمعت طرقاً طويلاً على بابها ونباح كلب. جاهدت للخروج من أحلامها، فاستدارت على جنبها واحتضنت وسادتها. كانت تحلم بيد كبيرة قوية سمراء تمسك بيدها... تقودها إلى مكان جميل... وقطعت عليها ذلك الحلم قرقة أسرة وخطوات أحذية نقيلة تردد صداتها على الأرض الخشبية، وأبواياً تفتح وتغلق... رباء... وففرت من سريرها ونظرت إلى ساعتها. لم تستطع أن تقرأ الرقم في الظلام. لكن الأصوات كانت كافية لتبهها إلى أن الرعاة استيقظوا وأن الفجر حل. طرق أحدthem بابها وهو يناديها بلهجة استرالية قوية.

- الفطور جاهز يا تشارلي.

وفي أقل من لحظة، نهضت من سريرها وراحت ترتدي ملابسها بأصابع مرتبكة لشدة السرعة. وساد الصمت الغرف. هل ذهبوا جميعاً؟ وهل هي آخر شخص؟ سارت في الغرفة متعرضة تحاول أن تبتعد الجزمة الطويلة وهي تركض واندفعت إلى الدهنة وهي تمطر شعرها بأصابعها كيما انفق. اجتازت طريقاً مشوشباً إلى مطبخ المنزل الريفي، واستطاعت من الخارج أن ترى الأضواء الصراء وتسمع همممة الرجال المنخفضة. وتمت الا يلاحظ أحد تأخرها، ثم دخلت المطبخ. فساد صمت مفاجيء، والتفت إليها عشر رجال. خفق قلبها بقلق وهي تدس تفاصيها في بنطلونها: «صباح الخبر».

- صباح الخبر.

تضاعفت همممة جماعية بالتجهيز، ثم عاد الرجال إلى التهام الطعام. وعندما تقدمت بهدوء إلى الموقد تسكب في صحنها البندورة المقلية

نهادوت آمالها. لأنهم إن رفضوها الآن سيكون الأمر فظيعاً، لاسيما بعد تلك الرحلة الطويلة بالطائرة أولاً، ثم بالشاحنة في هذا الجو الحار. لقد نجحت حتى الآن ولا تزيد أن تعود. فهي لم تر يوماً ريفاً وسهولاً بمثل هذا الاتساع، فضلاً عن تلك المباري المائية الزرقاء الرائعة، المحفوفة بالصخور والأشجار الضخمة التي تعج باعشاش الطيور.

- لقد سبق واستخدمت نساء من قبل، وكن جميعاً عاملات جيدات، وطبعاً لم يكن انكليلزيات. وهن يعرفن ما يجيئ لأجله. وضع يديه على وركيه، قبل أن يردف: «ولكن، كما قلت لي من قبل وبلطف بالغ، في حالتي هذه، ليس أمامي خيار آخر». - هذا صحيح.

- ولكن ما هو السبب الحقيقي الذي جعلك تحضرن إلى هنا؟ رباء، عليها أن تحادر في العواب. وبكل شفتيها: «لقد حلمت بهذا منذ كنت فتاة صغيرة».

- أحقاً؟

- لا تحلم أنت، يا سيد لو كهارت؟ أجهل لسؤالها، وساد صمت مربك: «ستنقدر إلى أول مخيم للرعاة في الصباح. والأفضل أن تأتي معنا». وضاقت عيناه، ثم أضاف: «ولكن إذا لم تتمكنني من مغارتنا فلن ندعك تؤخرتنا، وستجلسين وحدك تتظررين شاحنة البريد لكي تعيدك إلى المكان الذي أحضرتك منه».

وأ Stardar فجأة وتوارى من الباب، فصاحت من خلفه: «شكراً لك». ورغم أنها كانت تشعر بأنها ترتجف من هذه المواجهة إلا أنها لم تستطع أن تذكر ما شكرته لأجله.

وما إن خرج حتى عاد ووقف عند العتبة: «افكرت في أن أذكرك بالألا تزعجي نفسك يا حضار أي من سراويل الركوب الزاهية اللون معك». واستقرت نظراته على القسم الأسفل من جسدها متأنلاً لون بنطلونها

عادت تشارلي إلى طعامها، ولكن الحاضرين كانوا قد أنهوا طعامهم وشربوا قهوتهم ثم نهضوا واقفين. وراحت نظر بحزن إلى قهوتها التي لم تمس طعامها الذي بالكاد تذوقه.

قال لها مات وهو يمر بجانبها وقد بدا عليه الإنشغال: «أتربدين أن تقني بعض الوقت؟».

فقالت بسرعة وهي نقفر وتلتفع يعنف بالرجال الخارجين إلى حيث الفجر الشاحب: «لا، لا، أنا جاهزة».

وعاد مات يقول لها: «هل وضعتم متعلك وعدتك في الشاحنة؟». نظرت تشارلي إلى الشاحنة المحمولة بالأمتنة والعلب والسرور وبطانيات العجاد.

ـ لا، ما زالت أمنتني في غرفتي. هل أركض وأحضرها؟

فأجابها بهمّكم: «فكرة حسنة ربما علينا أن نسرع بالرحيل». اندفعت تشارلي إلى غرفتها متغضنة لأنها لم تأسه عن ذلك في الليلة الماضية. وضع حاجياتها في حقيبة حملتها على كتفها، ثم اعتربت قيعتها العريضة ووضعت كيس الأمتنة الذي أعطوها إياه الليلة الماضية، تحت إيطها. كان ثقيلاً للغاية، وأخيراً حملت السرج الذي أعطاها رئيس الرعاية إياه، ثم خرجت، محنتي الظهر تحت ثقل الأمتنة.

وإذ شعرت بأنها تحمل ما يفوق طاقتها، رفضت أن تواجه نظرات أي من الرجال الذين سارت معهم إلى الشاحنة.

سار مات بجانبها يقول: «دعيني أحمل عنك شيئاً».

ـ أنا مرتبطة تماماً.

أجابت بخفاء رافعة رأسها عالياً بينما عيناها مسمرتان على الشاحنة التي تنتظر. وطبعاً، لم تر الحفرة في الطريق، وتبعت حمولتها على الأرض... لا بل على مات لو كهارت. أوقعت العلب والأمتنة والسرج... والخيمة كما وقعت هي أيضاً... على مات فطرحته أرضاً. بقى لحظات مذهولاً. وعندما فارقه ذهوله، إذ بضفيرة شعر كثيفة ناعمة

والغبار المحمس، استمرت عينان فقط تحدقان إليها من آخر المائدة، عينان داكنتان في وجه وسيم لوحته الشمس... وهو وجه رئيسها.

رؤيتها له جعلت عينيها تسعنان. لقد لاحظت الليلة الماضية أن مات لو كهارت وسيم، ولكنها كانت مشغولة جداً في إقناعه باستيقانها بحيث لم تتبه إلى الأمر. أما الآن فذا، وهو يجلس مع مجموعة من الرجال، كتحفة فنية رائعة تجذب الأنظار. كان وجهه متناسقاً بعظام وجهيه القوية وأنفه وكفكه وعينيه الداكنتين الحساستين. كان عريض المنكبين ويتسع بوسامة طبيعية تفاصيل رجولة عنيفة.

وعندما أدركت أنها تحدث فيه، سارعت إلى خفض نظرها ثم جلس على كرسي بين اثنين من الرعاة وراحت تأكل. نظرت إلى ساعتها فإذا بها الخامسة والربع.

ـ لقد ابتدأ يومها الأول في منطقة الادغال.

ـ مرحباً.

سمعت صوتاً ينادي فالنفت بفضل لترى رجالاً بالغ التحول يضحك لها.

ـ أنت إذا تشارلي بيل، جامعة الموارش؟

ـ أظن ذلك.

ـ متى وأنت في استراليا؟

ـ منذ أسبوعين.

منحها ابتسامة مغرورة وهو يضحك بصوت خافت. فردت على ابتسامته بابتسامة مؤدية.

ـ آسفه، لم أعرف اسمك.

أجب بابتسامة غرور آخر: «التسماح داندي».

أطلق الفتى الصغير الذي يجلس قبالتها ضحكة متواترة، لكن الرجل الذي بجانبها قال بهدوء: «لا تهتمي به يا تشارلي. إنه «آيد سميث» وهو يظن نفسه مثلاً هزلياً».

تملاً فمه، وجسد يشقق مكافعاً، يسمره على الأرض.

- لو قدرت فقط أن تخلص من هذه الصرة، لاستطعت أن أتحرك.
سمع تشارلي تتمم بذلك قرب أذنه. كانت تجاهد لكي تخلص نفسها، لكنها لم تستطع. ولم يستطع مات أن يمنع رانحتها الحلوة من أن تملاً أنهه، مقاتلتها الأنوثية من أن تضغط عليه وتسحقه بعنف.
حبس أنفاسه، راجياً الألحاظ اضطرابه.

توقفت حركات تشارلي البائسة فجأة عندما أصبحت عيناهما الخضراءان على بعد إنش واحد من عينيه تحدقان إليه بذهول ثم بحذر.
واصطبغ وجهها بذلك اللون الوردي الممحير الذي لاحظه اللبلة الماضية.
أشكها مات يكتفيها بزيحها وأمعتها عنه، لكنه انتبه وهو يفعل ذلك إلى أن حرارة جسدها فارقتة. حول وجهه ناحية الرجال، وزعنق يقول:
«لن يساعدنا أحد؟».

وأخيراً ابتدأ العمل، تقدم الرجال ورفعوا الأغراض، ثم ساعدوا تشارلي على الوقوف. أما هو فأخذ قبته عن الأرض ثم قفز واقفاً.

وقال بيطة، رافضاً أن يفكر في ذلك الاحساس الغريب بالخسارة الذي تملّكه وهو يبعد تشارلي: «هيا، لقد ضيّعنا ما يكفي من الوقت».
ويبدون أن ينظر إلى أحد، صعد إلى مقعد السائق في الشاحنة، ثم انطلق بها. وما إن انطلق بالشاحنة، حتى أخذ يتساءل عما إذا كان عليه أن يعرض على تشارلي الجلوس بجانبه.

توقف الموكب بعد أربعين دقيقة، عانت تشارلي خلالها من الخجل والغضب والإحباط. فما من بداية عمل أسوأ من هذه.

بذل جهدها لتبعد عن ذهنها صورة مات لوكهارت متلقياً تحتها وخصوصاً سرعة تجاوب مشاعرها عند أحاسيسها بعضلاته القوية.
لقد خانها جسدها، فاقترابها منه أشعل الدم في عروقها، وشعرت برغبة في البقاء قريباً... .

هذه الأفكار صفتها، فقد جاءت إلى هنا لتعيش مغامرة لا لتفع في غرام رئيسها الجديد.

أثناء الرحلة، كانت تشارلي تعجل نظرها في المشهد الممتد حولها. كان شاسعاً تماماً كما في الصور التي رأتها في كتاب جدها. وشعرت بالارتياح عندما وصلوا إلى الحظائر فأمامهم عمل كثير وعليها أن تركز اهتمامها على عملها.

راح الرجال ينزلون أحمال الجياد والدرجات التاريه، في حين قاد مات عجلأً قوياً أسود وفرساً كستنائية رشيقاً، قوية المظهر نحو تشارلي. أرغمت نفسها على رفع بصرها إليه بحذر، لكنها لم تر على وجهه أثراً لأي انزعاج من ذلك الحادث المحرج الذي حدث هذا الصباح.

قال وهو يتناولها لجام الفرس: «هذه هي (دوفة) خطواتها ناعمة وهي تعيش عملها. حالما ترى ماشية، ترفع رأسها وتقف على قائمتها الخلفيتين مستعدة للعمل».
- مرحباً يا (دوفة).

وأخذت تشارلي تربت على الفرس الحريرية الملمس. ثم قالت له باسمة: «إنها رائعة الجمال».

أخذ ينظر من تحت قبته العريضة إلى وميض خفيف في الأفق البعيد، وهو يقول: «طائرة الهليكوبتر تدفعان القطعان في هذا الإتجاه... . لهذا ستحضرها من قرب النفق رقم ٥٥ وعند الظهر ستتمكن من أخذها إلى النفق».

أومأت تشارلي. لم يكن عدد الأثنيان يعني لها كثيراً كما أحس بالجوع لمجرد ذكر الساعات الطويلة الباقية حتى يحين الظهر. ومع ذلك ها هي على وشك أن تخوض أول مغامرة لها.

امتنى مات جواده، ثم توجه إلى الأمام. وهو ينادي من فوق كتفه: «عندما تصبحين مستعدة، الأنفضل أن تأتي معي». لم تكن واثقة من أن هذه فكرة جيدة. فهي إن افترفت إبي غلطة،

بقة القطيع إلى الشرق.

شعرت تشارلي بأن مات مسرور من جهودها، فاحسست بارتياح كبير لأنها أنجزت شيئاً ما.

كان هدفهم الوصول إلى الحظائر عند العصر، وكانت الشمس محرقة فررت تشارلي لأنها اعتمرت القبيعة العربية. تدافعت قطعان الأبقار والمجوول متزاحمة، في دوامات من الغبار.

وارتسمت على وجهها ابتسامة النصار صغيرة وهي تفكّر في أنها تفوق فعلاً قطعاً من الماشية في برازيليا!

تبادرت إلى ذهنها صورة معرض الفنون الذي تعمل فيه في لندن . . .

بناء أثري أنيق من الحجر الرمادي، مليء بالمكاتب حيث يجلس رجال جادون، نحيلو الوجه، خلف مكاتب ضخمة مغطاة بالجلد ويتممّون على الهاتف بأصوات هادئة منخفضة مهدبة. ونساء في ملابس ياهظة الثمن يركضن بمنتهى وسراة وقد بدا عليهن الإشغال أو السأم.

الآن وفي الناحية الأخرى من الكرة الأرضية، على صهوة فرس، تحت شمس حارقة، ومحاطة بغبار خائق، بدأ لها حياتها الحقيقية أشبه بشيء قرأت عنه في مجلة ما.

هيّبت ربيع مقاچة عبر السهول أيقظنها من أحلام اليقظة هذه لتعيدها إلى حاضرها. وبالقرب منها حملت الريح قبعة راع وأخذت تدحرجها، فنزل عن حصانه ليستعيدها. وفي تلك اللحظة اندفع حصانه هارباً.

اندفع تشارلي وفرسها «دوفة» وراء الجواد الهارب. وعندما وصلت إلى محاذاته، استطاعت أن تميل عليه وتلتقط اللجام. عادت مهرولة إلى تد سميث، الذي وقف حاملاً قبعته وقد بدا شيء من الخجل على وجهه وهو يقول بابتسامة متدرمة: «شكراً، لقد أحسست».

واقتراب مات ليقف معهما وهو يقول مشجعاً: «القد أبليت حسناً». تكبحت سرورها وهي تعجب: «يجب أن تشكر «دوفة»، فهي التي نصرفت».

سيكون رئيسها أول من يعلم بها. ومع ذلك لم تفهم لماذا شعرت بالسرور يغمرها عندما علمت أنها ستمضي الصباح بأكمله بجانبه.

ابعد قليلاً، ثم انظر ريشما أسرجت تشارلي فرسها. نظر إليها وهي تتحدث برقة إلى الفرس، ورأى مدى السهولة التي فزت بها إلى ظهر الفرس واستقرت على السرج. وعندما تناولت اللجام، لم تتحجج إلى أكثر من تربية بسيطة على الفرس لكي تتدفع «دوفة» إلى الأمام.

تبعد التوغر الذي كان يشعر به، فتشارلي تشعر بثقة تامة على ظهر الفرس. أدار رأس حصانه إلى الغرب، وأواماً للرجال ثم انطلق. وسرعان ما أحاطت به العجada تضرب الأرض الصلبة بحوارتها. وكانت تشارلي لا تزال تتبعه.

خلال ربع ساعة، شعرت تشارلي بالحرّ والعرق يتسبّب منها، لكنها كانت مبتهجة بالركوب. دفعت قبعتها إلى الخلف لتنظر إلى قطيع الماشية التي لم ترى يوماً قطعاً بضمّهاته.

القى مات بتعليماته فتوزع الرجال في مجموعات مؤلفة من شخصين أو ثلاثة. وأخبر أنا دي تشارلي:

- ستائين معي لتفحص جدول الماء، هناك حيوانات متأخرة عن القطيع علينا أن نخرجها.

بلغت شفتيها وأوامٍ. إنها مهمتها الأولى. وتبعت مات متواترة إلى جدول جاف. لا بد أن عدداً من روؤس الماشية جال هناك أملاً بالعثور على الماء. وشعرت بالارتياح عندما رأت أن دوفة تعلم تماماً ما عليها فعله.

واكتشفت أن «دوفة» فانقة الذكاء، فإذا حاول أي حيوان الإبعاد، توجّهت نحوه على الفور وأعادته إلى الاتجاه الصحيح. وفي حالات عدّة، عندما كان الإتجاه يتغيّر بسرعة، اضطررت تشارلي لاستعمال كل مهاراتها لكي تبقى ثابتة على ظهر الفرس. وأخيراً أخلّيا الجدول من الماشية، ثم لحقاً بالرجال الذين يبعدون

عادت بيضاء إلى ضفاف البركة طافية على ظهرها، مسترخية تماماً.
لبت أمي تراني الآن... أخذت تفكير بذلك ضاحكة بهدوء.

- إصفي إليّ وافعل بالضبط ما أقوله لك.
بدا هذا الصوت المتوعد قريباً. وداخلها الخوف، فاستدارت بذعر
لترى القادم من خلفها!

- آه... يا إلهي.

منحها مات ابشامة سريعة وأوْمأ لها وهو يعود إلى السير أمامهما.
عندما عاد تبدى سبيث إلى امتطاء حصانه، مال إلى الأمام.
- أتعلمين؟ كلامك صحيح بالنسبة إلى مهارة ادقةٍ. إنها الفرس
المفضلة عند الرئيس، وهي الأفضل بين الجياد وهو عادة، يمتطبعها
بنفسه، ربما أعطاك إياها لأنك فتاة.
واندفع متبعداً بحصانه قبل أن تجبيه. ولكن إذا كان يأمل أن يخفف
من زهوها، ويزيد من اضطرابها، فقد نجح في ذلك.

كانت لا تزال تشعر بالقهر والجوع والحر الشديد عندما وصلوا عند
الظهر إلى التفق ٦٧، حيث توقفوا لتناول الغداء. ورُعمت شطائير اللحم
والمحخل، فأكلت تشارلي حصتها بنفس نهم الرجال وسرعتهم.
قال لها مات وهو يتناولها فنجان شاي كبير: «لا جدوى من محاولة
دفع الماشية للسير في أكثر أوقات النهار حرّاً، لأنها سرعان ما تصبح حادة
الطباع، لذا سنأخذ فترة راحة».
وعاد إلى مجموعة من الرجال كانوا يرتحون بعيداً تحت ظلال أشجار
المطاط.

شعرت أنها كالمنبودة، فأخذت تفكير في ما يمكنها فعله. يامكانها أن
تشارك الرجال حديثهم، أو أن تجلس بمفردها في الظل... أو تحاول أن
تنعش نفسها. وقررت التوجه إلى أقرب بركة مروا بها عند مجئهم.

إنها بحيرة بعيدة مما يجعلها نصلح للانفراد. بدت لها شبه نظيفة
ومنعشة جداً وهي ممتازة للتخلص من الغبار والحرارة اللذين تشعر بهما.
عندما وصلت إلى البركة، نظرت خلفها باحتراس. كان الرجال
بعيدين عنها كثيراً، وهم إما في غفوة وعلى وجوههم قباعتهم، وإما
يدخون ويشترون بهدوء. ولمزيد من الاحتراس، جسمت خلف دغل ثم
نزعت ثيابها الخارجية بسرعة ونزلت في الماء.

لم تشعر في حياتها بمثل هذا الإنعاش السريع. غسلت المياه الباردة
الغبار عنها وانعشت بشرتها. سبحت نحو متصرف البركة، مستمتعة، ثم

٣- المتعاب لا تنتهي

وقف مات على ضفة البركة حاملاً بندقية بدا أنه مستعد لاستعمالها. فأخذت شارلي تنخبط في الماء بعنف وهي تحاول أن تستر نفسها. تقدم خطوة متعددة أخرى، ثم سمعت صوت الزناد وهو يضغط عليه فكاد قلبها يتوقف من شدة الخوف. حاولت أن تغطس تحت الماء أكثر وقد ازداد رعبها، فهي تعرف ذلك الصوت. لقد حشا بندقته لتوه. قال بصوت خشن بارد: «لا تخبطي، لا تحدي أي صوت، فقط أخرجني من الماء».

هذا غير معقول! الشراسة البدية في عينيه صعقتها. كيف حدث هذا؟ إنها وحدها مع مجموعة من الرجال الغرباء ورئيس عنيف يحمل بندقية. والأسوأ من ذلك، أنه يطلب منها الخروج من الماء شبه عارية.

صرخت به نائحة: «ابعد من هنا والاصرخ طالبة العون». - أيتها الحمقاء! ماذا تظنين أني أحاول أن أفعل؟ عليك أن تخرجي من المياه، فهي ليست آمنة. - البركة غير آمنة؟

لم تفك في ذلك قط. ولكن من وجهة نظر شارلي، لم يعد هناك من مكان آمن تذهب إليه، فهي حتماً، لا يمكنها الخروج أمامه شبه عارية. فقالت له: «أدر ظهرك».

نظر إليها ساخطاً: «لا أستطيع. قد يتوجب علي أن أطلق النار، فاسبحي بسرعة إلى الضفة».

بدا صوته أقل وعبدأ، وتحولت لهجته من الغضب إلى الإلحاح، ما نبه شارلي إلى أنه لا يفكر في اقتراف جريمة وأن هناك شيئاً غير عادي. عند ذلك أدركت أن لا خيار لها وأن عليها أن تمثل لطلبه، فأخذت تسبح إلى الضفة مرتعدة، فيما مات يراقب حركتها. عندما وصلت إلى الحافة لم تعد تعرف ما إذا كان عليها البقاء في الماء أو الخروج منه.

صرخت وهي تتشجع لتفادر الماء: «هل من أفاعي؟».

قال بيضاء: «لا، وإنما تمساح كبير».

عند ذلك اندفعت من الماء لتمسك بملابسها الموضوعة على الضفة وقد نملكتها الرعب. واكتشفت بدهشة أن مات لم يتبع لملابسها القليلة، بل صوب بندقيته إلى دائرة وسط البركة تتدفع منها فقاعات. قال بهدوء: «تراجع بيضاء إلى أعلى الضفة».

فانطلقت تركض.

خض مات بندقيته شاعراً بالإرتياح، لكن عينيه يقيناً شاخصتين إلى الماء. أعطى شارلي وقتاً كافياً لترتدي ملابسها قبل أن يلحق بها إلى الضفة، وعندما وصل بقربها أتبه إلى صمتها فراح يفرغ البندقية من الرصاص ليضعها في جيبه.

لاحظ كيف أخذ الماء ينساب من ضفائرتها على ظهرها.رأى منها ما يكفي ليدرك أن هذه المرأة، بكلامها ومشيتها، أشبه بعارضة أزياء. شعر بالارتياح لأن الخطر زال أخيراً فابتسم لها مشجعاً، لكنها ردت عليه بتكشيره.

- ظلت لحظة أنك ستجادليني في البركة.

التهمت عينها غضباً ورددت عليه بحدة: «أ بهذه الطريقة يمزح سكان البراري مع الفتيات الانكليزيات؟».

كان عليه أن يصرخ في وجهها حتى يهددها بطردها من العمل... لكنه، بدلاً من ذلك، عندما حملقت فيه بتلك الوقاحة، رأى نفسه يقول

ضاحكاً:

«لكنك كنت تقتربين أكثر مما يجب من حياتنا البرية».
ـ هل هناك... نمساح؟

ـ نعم. يبلغ طوله حوالي ستة أمتار. ومن يدري عدد المخلوقات التي التهمها في أعمق هذه البحيرة!
فقدت سيطرتها على أعصابها في لحظة وبدا وكان شخصاً ما فجر في داخلها قنبلة يدوية فأخذت تنهار قطعة قطعة. شحب وجهها وأخذت ترتجف بعنف بينما وهنت ساقها. ومد مات يديه يسندها مشجعاً.
نصرخت وهي تجفل مبتعدة عنه: «أنا بخير. ويمكنك أن تبقى بعيداً».

عاد إلى الخلف عابساً، وقد سقطت بداء الكبتران إلى جانبه.

ـ ظننت أن التمايسح تعيش فقط في مجاري المياه الكبرى والأنهار.
ـ النهر لا يبعد سوى كيلومترین. ولا بد أنه جاء إلى هذه البركة أثناء الطوفان الذي تعرضت له هذه المنطقة.

همست وقد فارقتها آخر ذرة من الشجاعة: «آه، يا إلهي».
والتفت إليه بوجه شاحب وعينين مشعتين يملأهما الذعر تحيط بهما

أهداب سوداء كالفحم. وشعر مات بقصبة في حلقة. بينما صرخت هي وشفتها ترتجف كوردة متflexة، ناعمة على وشك أن تنتشر أوراقها.

ـ أي غلطة أخرى يمكنني أن أرتكبها هنا؟

وفجأة وجد نفسه يفكر في أنهما لو التقى في مكان آخر... في حفلة مثلاً، على أنقاض الموسيقى ووقع الرقص، بدلاً من هذه البراري المنعزلة... ماذا كان ليحصل؟

ولكن، من أين خطرت له هذه الفكرة المعتوهه؟ وشعر بأن التعقل ينقصه. ومع ذلك سمع نفسه يقول لها:

ـ كان عليّ أن أحذرك من السباحة. لا تقلقي، فأنت الآن بخير.
لكن شفتيها بقينا متورتين وهي نجلس لتنتمل جزمتها الطويلة.
أضاف مات بخشونة: «من الأفضل أن تسرعي إذ علينا أن نعود لتنقل

المواشي».

ـ ثم ابتعد عنها دونما النظر خلفه.

جلست تشارلي تنظر إليه يبتعد ويداها لا تزال تمسكان بالجزمة. للمرة الأولى منذ مغادرتها إنكلترا، أخذت تفكّر في أن رغبتها الدائمة في المغامرات غلطة كبرى. ما الذي دعاها حتى ترك حياتها الآمنة الرتيبة، لتأتي بمفردها إلى برازي خشنة في أقصى الأرض؟

كانت تلقة لأنها خدعت مات، ولكن أتراها تخدع نفسها أيضاً؟ في أول يوم لها، أخذت ترتكب الخطأ تلو الآخر، حتى أنها كانت من الحمامات بحيث قدمت نفسها وجة حية لنمساح!

في طريق العودة الطويلة إلى مخيم الماشية، كانت لا تزال ترتجف وقد تملّكتها الإضطراب. ليس بسبب حسن حظها الذي مكّنها من النجاة، فحسب... بل بسبب مات لوكهارت الذي بدأ يشغل بها. رأته صادقاً مخلصاً صريحاً يواجه العالم بأمانة واستقامة، فزاد شعورها بالذنب لخداعها له. كما أنه بالغ الوسامّة، وهي لم تكن تتوقع أن يجعلها رئيسها تفكّر فيه بهذا الشكل... .

ـ لكنها هزت رأسها... لا، لن تفكّر في شيء سوى العمل الذي عليها القيام به.

ـ عندما وصلوا إلى المخيم، أنساها تلقاء العمل الكثير الذي كان بالانتظار. أزروا السروج واللجم ووضعوها في القل، وأطلقوا سراح الجياد لترعى بعد أن قدموها إليها بعض العجوب وغسلوا ظهورها. بقيت أمامهم عملية فرز الماشي، أي فصل العجول عن أمهاها، والثيران الصغيرة عن المخصبة منها.

ـ خلال بقية العصر، راح مات يعطي تعليماته بزعيق يعلو على خوار الحيوانات وصهيلاها وملطفات الرجال وشنانهم، بينما كان الرعاة يوزعون الماشية على مختلف العظام.

ـ أما تشارلي فوافت على قمة السياج الخشبي قرب مات لكي تحصي

عدد الشiran الصغيرة والمحصية منها. ووُجدت أن ذلك يتطلب تركيزاً بالغاً فسرها أن تنتهي قليلاً عن سيل الأخطاء التي ارتكبها والتي يبدو أنها نلاحقها منذ وصولها.

بذلك تشارلي جهدها لتبتلع اللحم المطبوخ مع البصل، قبل أن تصرف إلى غرفتها استعداداً للنوم. لقد توقفت أخيراً عن التفكير في مات الذي توارى في مكان ما لكي يشاور مع طياري الهليكوپتر. وسرعان ما استغرقت في النوم، لكنه زارها في الحلم.

وقف ينظر إليها وهي تخرج من السيارة الباردة المتألقة تحت أشعة الشمس. لم يعد شعرها بنية، بل عاد ذهبياً وقد استرسل على كتفها، وراح هو ينظر إليها كما ينظر رجل إلى امرأة يحبها. رمقها بانتظاره تلك وقتاً طويلاً حتى أوهن قلبها، ثم قال لها أخيراً

بابتسامة بطيئة: «أريد أن أضمك بين ذراعي يا تشارلي بيل». لم تشعر فقط بأنها محبوبة إلى هذا الحد. ولكن سرعان ما خرق صوت المحرك الصمت السائد، فقطع عليها ذلك العشهد وسلبها الحلم. ففتحت تشارلي عينيها الناعتين وظهر أمامها الضوء في عربة الطاهي.

ومن مكان قريب، سمعت أصوات تذمر وشعرت بالارتياح وهي تدرك أنها ليست الوحيدة التي تحتاج إلى مزيد من النوم. ومع ذلك، صممت على مباشرة نهارها بنشاط، ففقررت من سريرها بسرعة وانضمت إلى الرجال الذين كانوا يتناولون الفطور، وهي تشعر بشيء من الدوار. شربت الشاي وتناولت طبقاً من البيض والسبحق، ولم تدرك أنها بجانب مات إلا بعد أن ارتمت على مقعد خشبي قرب الموقد، فارتجمفت لوجوده.

وسألها: «هل نمت جيداً؟»، أدركت أنها أحمرت خجلاً، وأن عيني مات البنيتين لاحظتا ذلك. ولكن الحمد لله لأنه لا يستطيع قراءة أفكارها. أجابت وهي ترشف الشاي: «نعم».

- رقدت كالمية.
 جاء راع آخر ليتناول فطوره فأفسح له مات مكاناً وازداد افتراها من شارلي فكادت تسقط عن مقعدها. لم تستطع أن تصدق ردة فعلها عما حدث. كان شعوراً ساخناً مربكاً لم تختره حتى في فترة مراهقتها. لكنها الآن في السابعة والعشرين من عمرها، وستعود إلى إنكلترا بعد أسبوع قليلة لكي تبحث عن زوج من محبي أبيها.
 - هل ستعمل في الحفاظ على اليوم؟
 فأواماً بعد لحظة تفكير، ثم أجاب:
 - في الواقع، قد نكلفك بالعجز الصغيرة في الفتاء. فأنت لن تصرخي بها وتشتمي كالرجال فتخفيها.
 وابتسم لها، وللحظة واحدة خيل إلى تشارلي أنها رأت لمحه اهتمام خاص... ذلك النوع من الاهتمام الذي رأته منه في الحلم.
 هذا يكفي!

أنهت فطورها بسرعة ثم وقفت، متعددة تحويل انتباها عن رئيسها إلى الدغل خلف المخيم، كان المشهد جميلاً هادئاً في هذه الساعة المبكرة حيث الأشجار والعشب والسهول تبدو خضراء وذهبية وفضية. ولكن لم يكن وقتها يسمح لها بالوقوف طويلاً أمام ذلك المشهد، إذ سرعان ما ابتدأ العمل. كانت العجوز الصغيرة قد نقلت إلى الفتاء لبدأ عمليات التطعيم والخصاء. كان عمل تشارلي مفترضاً على التأكد من الحيوانات التي يجب أن تخضع لهذه العمليات ومن أن العقون ملبدة بالطعم، والسكاكين مطهرة جيداً.

عمل الكل بروح من التعاون وشعرت تشارلي بالارتياح وهي ترى أن الرجال تقبلوا وجودها، فما عادوا يلحظون أنها امرأة أو أنها آتية من الناحية الأخرى من العالم. ولم يعبأوا بياقاظتها، ما جعلها تستمتع في العمل. لا سيما في نهاية هذا اليوم المجهد عندما نولت إعادة العجوز إلى أمها، كما كانت مسرورة لأنه ما زال لديها طاقة كافية للاستحمام خلف

الحظيرة. فكل ما تمكنت من فعله اللبلة الماضية هو اغتسال سريع ، لكنها الآن غسلت شعرها ونظفت أظافرها وأزالت كل أثر لقذارة النهار ، ثم نعمت ثيابها في ماء الصابون مع غيرها من ملابس الرجال.

كانت واقفة في الشمس تمشط شعرها النظيف عندما نقدم مات منها ، مبدياً شيئاً من الخجل . لم تكن قد رأته أثناء النهار على الإطلاق ، فسألها فجأة : «هل يمكننا أن نتكلم؟».

أجابه بحذر آملة لا تكون قد أخطأت : «أظن ذلك».

قادها إلى مسافة بعيدة نوعاً ما عن المخيم وبقي يسير ببطء وهو يقول : «أظنك متيبة للغاية ، فقد كان يوماً مجدها».

- أشعر بتحسن كبير مقارنة باللبلة الماضية . لا بد أنني أخذت على العمل .

- هذا حسن .

وأخذ يرفض بقدمه بعضاً من العشب ، فتوقفت تشارلي عن الحديث ونظرت إليه بفضول : «ماذا أردت أن تقول لي؟».

- أردت أن أسألك ...

- نعم؟

دس يديه في جيبي بنطلونه ، ورفع رأسه يحدق في السماء نصف ضاحك ، نصف متاؤه .

مهما كان ما سيقوله ، فقد بدا صعباً ، وشعرت تشارلي بالذعر .

- ما الذي أخطأت به الآن؟

فاللقت عيناه بعينيها : «لو كنا في المدينة ، لطلبت منك الخروج معـي».

آه... هذا آخر ما نوقعته . وأخذ قلبها يخفق .

فقالت برقة باللغة : «هذا لطف منك».

- إلى العشاء أو المسرح ...

وتصورت فجأة نفسها وهي تدخل المطعم برفقة مات مرتدية ثوباً

حريراً... ثوباً أبيتاً و... وجداً للغاية .
ونكرت في حلمها .

نظر مات إلى المخبم والفناء والغبار والسهول خلفهما وضحك .
- هذا ليس بالضبط مكاناً مناسباً للخروج معـاً . لكن هناك مكاناً قريباً
أزيد أن أريك إيه .

واللقت عينها بعينيه ثم ابسم بخجل ، قبل أن يضيف : «بما أنك هنا
لتشاهدي الريف».

توقف قلب شارلي عن الحفcan ، وعندما ابسم بهذا الشكل نسيت
حرصها وأجابت بشكل آلي : «وانا متلهفة لرؤيته».
- أسرجي فرسك ودعينا نذهب .

وكمراهقين مجنونين تسللا من حفلة ، أحضرا فرسهما وأسرعا
متعددين عن المخبم . وفي طريقهما ، أشار مات إلى صخور حمراء في
الأفق فأسرعا معاً نحوها محتازين السهول .

وعندما وصلا إلى الجدار الصخري ، وجدته منحوتاً بدقة لكن قرونـاً
من الزمن صدـعـه . نـزاـ عن صـهـوةـ جـوـادـيهـماـ وـرـيـطاـهـماـ ،ـ ثـمـ قـادـ مـاتـ
شارـليـ عـبرـ شـقـ ضـيقـ بـيـنـ الصـخـورـ .ـ كـانـ الـعـرـ يـدورـ حـولـ صـخـورـ عـالـيـةـ ،ـ
وـإـذـ بـالـأـرـضـ تـنـكـشـفـ فـجـأـةـ عـنـ جـنـةـ .ـ وـقـفـاـ عـلـىـ حـافـةـ صـخـرـيـةـ عـنـدـ بـابـ
كـهـفـ عـبـقـ لـيـنـظـرـاـ إـلـىـ شـلالـ مـاءـ يـصبـ فـيـ بـحـيرـةـ عـمـيـقـةـ مـنـ المـاءـ
الـخـضـرـاءـ الصـافـيـةـ .ـ

شهـقـتـ شـارـليـ بـأـعـجـابـ بـالـغـ :ـ «هـذـاـ رـاعـ».ـ

فـقاـلـ بـيـسـاطـةـ :ـ «أـنـاـ أـحـبـهـ .ـ أـظـنـ أـجـمـلـ مـكـانـ فـيـ الـعـالـمـ»ـ .ـ
وـأـمـسـكـ بـيـدـهـاـ ،ـ ثـمـ أـرـدـفـ :ـ «ـعـالـيـ اـجـلـسـيـ هـنـاـ وـنـفـرـجـيـ عـلـىـ
الـمـشـهـدـ»ـ .ـ

جلـتـ شـارـليـ بـصـمـتـ بـجـانـهـ عـلـىـ الصـخـرـةـ الدـافـقـةـ شـاعـرـةـ بـسـعادـةـ
تعـجزـ عـنـ تـفـسـيرـهـاـ لـإـمـاـكـهـ بـيـدـهـاـ وـإـشـرـاكـهـ مـعـهـ بـمـكـانـهـ الـخـاصـ هـذـاـ .ـ كـانـ
الـوقـتـ يـقـارـبـ الـفـرـوبـ فـأـخـذـاـ يـنـظـرـانـ إـلـىـ الطـيـورـ العـائـدـةـ إـلـىـ أـعـشـاشـهـاـ ،ـ

- أليس صحيحاً أن الفتيات الإنكليزيات يتربن تكون كل واحدة
منهن لا يدي؟

- لا يدي؟

ردت كلمته بصوت ارتتجف فجأة. فقد ظلت للحظة أن مات ينصلب
لها فخاً... ليعرف هويتها الحقيقة.

لكنه عاد واحتضنها، وهو يقول بصوت أبيع: «لا تقلقي يا تشارلي،
انا لست بحاجة إلى لا يدي. أنا أريد امرأة مثلك، ممتلئة أنوثة».

وخفض رأسه ليعانقها مرة أخرى، ولكن، بالنسبة إليها، كان سحر
هذا المساء قد تبدد وسعادتها أيضاً.

كلمات مات البريئة ذكرتها بأنها مزيفة الشخصية، وأن ما تفعله خداع
كبير. فهي ليست فتاة إنكليزية عادية، مغامرة تحمل حقيقة على ظهرها
وتحب حياة الأدغال، وإنما اللايدي شارلوت بيلامي الابنة الوحيدة
لإيرل. وعليها أن تتحمل ما يتطلبه ذلك من مسؤوليات وأعباء مالية.

ما الذي دهاها لكي تسمح لمات أن يعانقها في حين أنها تعلم أنه ليس
من بيته؟ لم يكن هذا ذنبه. فهو يظن أن ما من شيء يمكن تقاريبيما، حتى
ولو أصبح الأمر جاداً بينهما وأخذنا بخططنا لمستقبل يجمعهما معاً.
أغمضت عينيها وأخذت تلعن حظها بصمت. في هذا المكان وجدت أكثر
الرجال الذين عرفتهم جاذبية، لكنها لا تستطيع أن تتركه يقع في غرامها.

ضمهما مات إليه مجدداً وبجهد كبير ابتعدت عنه. لقد حان الوقت
لتتصبح قوية. يكتفيها أن تخدع والديها وهي لا تزيد أن تخدع مات...
وتنجرف في علاقة عاطفية غير مناسبة، فهذا مستحبيل.

- ماذا حدث؟

وبدت عليه العيرة وكأنه لم يستطع أن يفهم ردة فعلها هذه. ولم
 تستطع هي أن تلومه فمنذ دقائق تجاوبت معه.
 ابتعدت قليلاً، ثم قالت متربدة: «ها... هذا الحديث عن
(اللايدي)».

بينما مات بخبرها بأسمائها.

أطلقت صيحة إعجاب رقيقة عندما تقدمت حيوانات الكنفر الجميلة
لشرب كما تفعل الطيور. فقال مات: «أنا آتي إلى هنا لأنشر بالسعادة».

فأجابات وقد امتنأ قلبها بالمشاعر: «يمكنني أن أفهم هذا. أشكرك
 جداً لأنك شاركتني هذا المكان، لا أظنتني عرفت في حياتي مثل هذه
المفاجأة الجميلة في موعد مع صديق».

وعلى الفور، مالت تطير قبلة على خده الدافئ «الأسر ثم قال:

- آه، بدا لي هذا طبيعياً فقط، وأرجو الآ يكون لديك مانع.
فضحك ورداً: «كنت على وشك القيام بشيء محائل».

وأخذتها يضمها إلى كتفه، ثم عانقها بشفف، قائلاً:

- المشكلة يا تشارلي، هي أنني عندما سأبدأ بمعانقتك، لن أستطيع
التوقف.

أدهش هذا القول تشارلي، وشعرت أنها تذوب بين ذراعي هذا الرجل
الوسيم. ثم ابتسם قائلاً: «نميت أن أضمك هكذا منذ اللحظة التي وقعت
فيها عيناي عليك».

- حتى عندما كنت غاضباً مني؟

فتمال ضاحكاً: «نعم. خصوصاً حينذاك».

بقيت بين ذراعيه طويلاً حتى كاد يفقد السيطرة على نفسه. وعندما
انفصلأخيراً المس خديها بأصابع مرتعفة.

- لقد سمعت أن الرجال الاستراليين هم الأمهر في المعاشرة...»

فابتسم بيضاء وقد امتنأ عيناه بالمشاعر: «والآن عرفت أن ذلك
صحيح».

- بكل تأكيد.

- وأنا سمعت أن الفتيات الإنكليزيات متزمتات.

- أحقاً؟

وضحكـت وهي ترمـ شفتيـها.

ويضحكه عابثة، مد يده بلا مس وجهها.

- كنت أمرح فقط...

فوضعت يدها على ذراعه تصدئ: «أعرف هذا. لكنه ذكرني بأنه على أن أشكرك لأنك سمحت لي بامتناعه فرسك المفضلة».

- المعذرة؟ لم أفهم.

حاولت أن تشرح له الأمر: «أخبرتني تيد سميث بأنك قدمت إلى فرسك المفضلة التي تمنطبهدا دوماً».

- تبدأ له!

وبدا الغضب فجأة على مات واحمر وجهه قبل أن يقول: «هذا ليس من شأنه».

ازداد شعور تشارلي سوءاً. كانت تعاول أن تخرج من وطنها فإذا بها توقع تيد سميث فيها.

قفت واقفة: «أرجوك يا مات لقد زل لسانني لم أكن أتوبي أن أورط تيد في مشكلة».

نهض بدوره وجذبها إليه برفق، مستتمماً: «لا تقلقي يا عزيزتي».

يا إلهي كم هو جذاب وكم هي ضعيفة أمامه!

- أظن أن علينا أن نتذكر أن هذا هو موعدنا الأول.

قطب حاجبيه وسحب يديه يبعدهما عنها، قائلاً: «طبعاً».

- أشكرك كثيراً لأنك أحضرتني إلى هنا. إنه حقاً مكان ساحر.

يا إلهي... بدت وكأنها تتلو كلمات مهذبة علمتها إياها مربيتها.

بدأ طيف ابتسامة على ملامحه فعرفت أنه حائز، وربما متالٍ، لنفورها المفاجيء. وقال بهدوء: «الأفضل أن نعود. لا بد أنك متعبة».

لقد وجد لها عذراً وقام بالشيء الصواب... فتصرف كرجل مهذب، وشعرت بمعنوياتها تنهار.

ودونما أي كلمة أخرى، أمسك «مات» بيدها يبعدها من خلال النفق بين الصخور إلى حيث الجواردين، فامتظباهما بصمت وعادا إلى المعixin.

٤ - ما هو سرك؟

في الصباح التالي، استيقظت تشارلي على صوت صراخ. كان الرجال متخلقين حول الموقد يصرخون غاضبين.

نسى تعبها بعد تلك اللبلة التي لم تعرف فيها النوم، ونهضت تبتسل جزمتها وترتدي قميصها وينظرلها لتتحقق بمجموعة من الرجال يتفرجون على تيد سميث يحملق في وجه مات العايس وعيبيه اللتين تقدحان شرراً. تحولت عينا مات إلى تشارلي عند اقترابها، فتشابكت عيناهما بعيبيه الغاضبين لحظة قصيرة، ثم تحولتا مرة أخرى. وبعد أن رمق تيد سميث بنظرة سريعة استدار وابتعد عن الجميع بدون أن ينبعس بيت شفة.

راحـت تشارلي تنظر إلى مات وهو يبتعد غاصباً، ثم عادت تلتـفت إلى تـيد سمـيث. كانت عيناه تـنظـرانـإليـها باـزـدـراءـ شـعـرـتـ معـهـ بـوجـهـهاـ بـسـتحـيلـ أحـمـرـ. فـتـحـ فـمـهـ وـكـانـهـ يـرـيدـ أنـ يـقـولـ شـيـئـاـ،ـ لـكـنـ رـجـلـ آخرـ أـسـكـ بـذـرـاعـهـ وـشـدـهـ بـخـشـونـةـ.

- دع عنك ذلك، يا تـيدـ،ـ لـقـدـ سـبـقـ وـقـلـتـ ماـ يـكـفيـ لـكـيـ تـفـقـدـ وـظـيـفـتـكـ.

تمـلـكـ تـشارـليـ فـيـضـ منـ الشـعـورـ بالـذـنبـ.

- يـفـقـدـ وـظـيـفـتـهـ؟

كـانـتـ الـحـرـكـاتـ الـمـرـبـكـةـ الـجـوـابـ الـوحـيدـ الذـيـ تـكـرـمـ بـهـ عـلـيـهـ الـمـتـفـرـجـونـ.ـ أـخـذـتـ تـشارـليـ تـأـمـلـ الـمـجـمـوعـةـ مـحاـوـلـةـ أـنـ تـجـدـ بـيـنـهـمـ بـنـظـرـ إـلـيـهـاـ...ـ لـكـنـ الـجـمـعـ نـظـرـ إـلـىـ الـأـرـضـ،ـ فـانـدـفـعـتـ خـلـفـ مـاتـ بـلـهـفـةـ:

لكنه لم يتوقف.

- ما الذي يحدث؟

استدار بسرعة، وعندما رأها قريبة منه قال بحدة محدراً: «لا تهتمي بذلك، اذهبي وتناولى فطورك».

كان غاضباً منها، فقالت متسللة: «أرجوك يا مات، لم أشا أن أغرض تيد لمشكلة».

بدأ عليه شيء من الارتكاك قبل أن يتمتم متربداً: «كنا نتناقش فقط، تيد لا يعرف مني عليه أن يقلل فمه».

- لكنك مستاء.

فقال بعناد: «نعم».

- ماذا قال؟

لكنه هز رأسه بدون أن ينبع بحرف واحد.

فقالت: «بدأ تيد وكأنه غاضب مني».

فتنهد وهز كتفيه: «قلت لك ألا تهتمي بذلك، إنه أمر بين الرجال، تيد يتكلم كثيراً، ولم يعجبني كلامه الآآن».

- هل تكلمعني؟

أظلم وجهه وقال مكثراً: «أظن أنك سمعتني بالأمر على أي حال، لقد لاحظت تيد وشخصان آخران غيابنا مساء أمس، فأخذوا يشرثون».

حدقت تشارلي في الأرض، تماماً كما فعل الرجال منذ دقائق.

- ولكن يمكنك أن تطمئني إلى أن سمعتكم محفوظة، يا تشارلي، وتيد لن يبقى هنا ليثير على هواه.

- هل طردته من العمل؟

- ليست المرة الأولى، إنه مزعج جداً، وقد أثار غضبي مرات كثيرة، لذا أظن أن الحظ حالفه لأن كل ما فقد هو وظيفته.

وشد قبضته، مضيقاً: «لأنني وددت أن أفقده أسنانه أيضاً».

- لكنني ظنتك بحاجة إلى كل عامل يمكنك الحصول عليه حالياً.

فقال باتسامة خفيفة وهزة من كتفيه: «عليك فقط أن تجتهدي قليلاً في العمل، أليس كذلك؟».

ثم استدار مبتعداً، فدفت تشارلي وجهها بين يديها. لقد آمنت الليلة الماضية مات، فأفرغ سخطة على يديه، إن حضورها يسب المشاكل.

كم كانت حمقاء ضعيفة. فما إن ذكر مات أمامها كلمة (موعد) أمس، حتى تصاعدت في داخلها أصوات التحذير. لكنها كانت مشغولة عن ذلك بوسامته وابتسامته الظرفية. وإذا بها تنجرف بسبب نظرته إليها... لقد نسيت نوایاها الجادة كلها.

وفي اليوم التالي توارت تشارلي عن الأنظار قدر الامكان رغبة منها في استعادة سمعتها، فلتحت بآرشن وعملت معه في العظام. ولم تر مات سوى مرات قليلة، فقد كان مشغولاً مع قافلات الشاحنات الضخمة التي جاءت لتنقل مواشي إلى الأسواق. لكنها اشتاقت إليه.

وعند المساء، قبل أن يغادر الجميع المخيم الرئيسي للعودة إلى المنزل الريفي، عاد مات مرة أخرى. رأته تشارلي وقد استحم لتوه. كان جسمه لا يزال مبتلاً. وعندما سار وهو يجفف شعره بمنشفة، تسببت أشعة الشمس من خلال الأشجار على ظهره الأسود وكتفيه وذراعيه، ولم تستطع تشارلي أن تحجب نظرها عنه.

- انتبهي إلى طريقك!

واصطدمت بآرشن الذي كان جالساً تحت شجرة ينطف سرجه.

فقالت وقد اصطحب وجهها بلون أحمر داكن: «آسفه».

نظر آرشن بارتياح إلى وجهها المحمر وإلى جسد مات ثم هز رأسه لكنه لم يقل شيئاً.

أسرعت تشارلي، والخجل والارتكاك يتفجران منها، إلى مرعى الخبول وبقيت هناك وقتاً طويلاً تداعب دوقة بشكل لم تعرفه هذه في حياتها.

الرئيس؟
أحفل؟

ونظرت إلى مات، ثم سألته: «هل تجمع لوحات فنية؟».
ـ بل إنه فنان.

هز مات كتفه بلا مبالاة: «إنها هواية فقط. أرسم في أوقات فراغي». وبدا وكأنه يريد إنهاء الحديث.

ففجأته الرجل الذي يجالبه: «لا تتواضع يا مات، إنك رسام ممتاز». ثم التفت إلى ناحية تشارلي مضيفاً.

ـ إذا كنت تعرفي شيئاً عن اللوحات، يا تشارلي، فيجب أن تلقي نظرة عليها ثم تخبريه كم هو ماهر.
ـ أود أن أراها.

تمتمت تشارلي بذلك بسعة، وأخذت تحدق في صحنها وهي تستوعب هذا الخبر. شعرت بالأسف لأجل مات الذي سيخرج إذا ما رأت رسومه ووجدتها فظيعة. وما الذي يعرفه هؤلاء الرعاة عن الفن؟ عندما انتهى العشاء وتفرق الرعاة، تقدم مات إليها يلمس ذراعها بخفة، لكنها شعرت وكأنه وحزها فالتفت وشهقت بصوت مرتفع لأنها وجدته قريباً جداً منها.

ـ هل يمكنك أن تنتظرني لحظة؟
ـ فأوّل مات بصمت.

وانتظرا، حريصين على عدم النظر إلى بعضهما البعض، ريشما أخلي الرجال الغرفة. وآخرأ أصبحا وحدهما فسألته: «هل تود أن تريني لوحاتك؟».

فارسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه: «أليس تلك خطة الفاسقين من الرجال لكي يغروا الفتيات بدخول غرفتهم؟».

فانقبض صدر تشارلي: «هذا ما تقوله القصة». تخلل شعره الكثيف بأصابعه، وقال بسرعة: «لا أتوقع منك حقاً أن

وفي اليوم التالي عاد الفريق إلى البيت الريفي في سانداون ليومين قبل أن يعودوا عليهم في جزء آخر من الأملاك الفسيحة.

دهشت تشارلي عندما اكتشفت أن الجميع يتناول العشاء مع مات في البيت الريفي، وكان الرعاة يستمتعون بالشراب والطعام.

لم تستطع تشارلي أن تمنع نفسها من سؤال الراعي الجالس قربها: «هل يأكل الرئيس دوماً مع عماله؟».

فالتفت الراعي الفتى إليها، وقال: «أظن ذلك. وما الغرابة في ذلك؟».

فأجابته: «هذا ليس غريباً... إنه مختلف فقط. ما كان أبي ليتصور نفسه يأكل مع خدمه».

وفجأة، توقف الحديث حول المائدة، واستدارت الرقصوس نحوها، وسألها آرش بحذر: «وهل لدى أبيك خدم كثيرون؟».

وأخذ قلبها يخفق فجأة بسرعة: «لا، لا. أنا لم أقل خدماً، أليس كذلك؟ أعني (موظفو)، إن أبي من النوع المحافظ نوعاً ما».

قطب آرش جبينه وكان جوابها لم يرضه.
وسألهما شخص آخر: «وماذا يعمل أبوك؟».

ـ إنه يتاجر باللوحات الفنية ويعجمها.
ـ وتفادت النظر في عيني آرش.

ـ هذا ممتاز. وماذا عنك، يا تشارلي؟ هل تعملين في الاصطبلات؟
ـ أحياناً.

كان مات يراقب تشارلي من آخر المائدة، مصغياً إلى الحديث باهتمام بالغ، متذكرة خبرتها العريقة مع الجياد.

وأدھنها أن يسألها آرش: «هل تعرفين شيئاً عن الفنون؟».

ولم يعجبها الشك البادي في عينيه: «قليلأ. لا يمكنك أن تعيش مع شخص مولع بالفن مثل أبي من دون أن تنقل إليه العدوى ولو قليلاً».

تدخل راع آخر يقول بحماسة: «يجب أن تلقي نظرة على رسوم

فــسألــته: «لا بدــأنــك حــصــلت عــلــي بــعــض التــدــرــيب؟».
ــفي المــدرــســة الدــاخــلــيــة. كانــ لــدــيــنــا مــعــلــم فــنــون جــيد، وــبــعــد ذــلــك تــابــعــت بــنــفــســيــ.

وــفــجــأــة، أــســرــعــتــ شــارــلــيــ لــنــتــأــمــلــ عنــ قــرــبــ لــوــحــةــ صــغــرــةــ، تمــثــلــ صــخــرــةــ حــمــرــاءــ مــهــالــقــةــ يــجاــوــرــهــاــ شــلــالــ أــخــضــرــ وــتــلــعــوــهــاــ ســمــاءــ زــرــقــاءــ مــذــهــلــةــ. وــنــادــتــهــ منــ فــوــقــ كــنــفــهــاــ:

ــهــذــا هوــ المــكــانــ الــذــي أــخــذــتــنــيــ إــلــيــ ذــلــكــ النــهــارــ.
ــنــعــ.

وــاجــتــازــ الغــرــفــةــ بــيــضــعــ خــطــوــاتــ وــاســعــةــ لــيــقــفــ بــجــانــهــاــ.
شــعــرــتــ بــهــ قــرــيــاــ مــنــهــاــ، فــأــســاحــتــ بــنــظــرــهــاــ. جــاهــدــتــ كــبــلــاــ شــعــرــ بــشــيــهــ
نــحــوــ مــاتــ، وــهــاــ هــيــ ذــيــ الــآنــ شــعــرــ فــجــأــةــ بــكــلــ شــيــءــ، بــالــإــعــجــابــ،
بــالــشــوقــ...ــ وــالــحــبــ؟

استــدــارــتــ تــواــجــهــهــ وــهــيــ تـ~ـلــعـ~ـ أــنــهــ ســبــرــيــ الدــمــوعـ~ـ فـ~ـيـ~ـ عـ~ـيـ~ـنـ~ـهـ~ـ، وـ~ـسـ~ـيـ~ـلـ~ـاحـ~ـظـ~ـ اــرـ~ـتـ~ـجـ~ـافـ~ـ شـ~ـفـ~ـتـ~ـهـ~ـ وـ~ـهـ~ـيـ~ـ تـ~ـحـ~ـاــوـ~ـلـ~ـ الـ~ـابـ~ـسـ~ـامـ~ـ. كـ~ـانـ~ـ مـ~ـنـ~ـ الصـ~ـعـ~ـبـ~ـ جـ~ـداـ~ـ أـ~ـنـ~ـ تـ~ـكـ~ـوـ~ـنـ~ـ قـ~ـوـ~ـيـ~ـةـ~ـ وـ~ـنـ~ـقاـ~ـوـ~ـمـ~ـ سـ~ـحـ~ـرـ~ـهـ~ـ. كـ~ـانـ~ـ رـ~ـائـ~ـعـ~ـاـ~ـ تـ~ـامـ~ـاـ~ـ كـ~ـرـ~ـسـ~ـوـ~ـهـ~ـ الـ~ـفـ~ـرـ~ـيـ~ـدـ~ـةـ~ـ الـ~ـتـ~ـيـ~ـ تـ~ـفـ~ـجـ~ـرـ~ـ حـ~ـيـ~ـاـ~ـ.
وــهــمــســتــ: «لــقــدــ أــحــبــتــهــ جــداـ~ـ، يـ~ـاـ~ـ مـ~ـاتـ~ـ».

ــهــذــا حــســنــ.

كانــ هــذــا كــلــ ماــ قــالــهــ، وــهــوــ يــنــظــرــ إــلــيــهــ بــحــرــارــةـ~ـ ثـ~ـمـ~ـ دـ~ـنـ~ـاـ~ـ مـ~ـنـ~ـهـ~ـ. وـ~ـإـ~ـذـ~ـ هـ~ـمـ~ـتـ~ـ
بــالــكــلــامـ~ـ، قـ~ـاطـ~ـعـ~ـهـ~ـ بـ~ـعـ~ـنـ~ـاقـ~ـ شـ~ـغـ~ـوـ~ـفـ~ـ لـ~ـمـ~ـ تـ~ـعـ~ـرـ~ـفـ~ـ مـ~ـثـ~ـلـ~ـهـ~ـ.
وـ~ـمـ~ـرـ~ـةـ~ـ أـ~ـخـ~ـرـ~ـ شـ~ـعـ~ـرـ~ـتـ~ـ شـ~ـارـ~ـلـ~ـيـ~ـ أـ~ـنـ~ـهـ~ـ نـ~ـذـ~ـوـ~ـبـ~ـ فـ~ـيـ~ـ بـ~ـحـ~ـرـ~ـ مـ~ـشـ~ـاعـ~ـرـ~ـ
الـ~ـحـ~ـارـ~ـةـ~ـ...ــ وـ~ـقـ~ـدـ~ـ اــكـ~ـتـ~ـسـ~ـحـ~ـهـ~ـ بـ~ـسـ~ـحـ~ـرـ~ـهـ~ـ...ــ حـ~ـتـ~ـىـ~ـ فـ~ـقـ~ـدـ~ـتـ~ـ كـ~ـلـ~ـ مـ~ـنـ~ـطـ~ـقـ~ـ وـ~ـعـ~ـقـ~ـلـ~ـانـ~ـةـ~ـ.
ــمـ~ـاتـ~ـ...

تمــتــمــتــ بــذــلــكـ~ـ بـ~ـلـ~ـهـ~ـجـ~ـةـ~ـ قـ~ـصـ~ـتـ~ـهـ~ـ أـ~ـنـ~ـ تـ~ـضـ~ـعـ~ـ حـ~ـدـ~ـاـ~ـ لـ~ـهـ~ـذـ~ـاـ~ـ الجـ~ـنـ~ـوـ~ـ. وـ~ـلـ~ـكـ~ـنـ~ـ
عـ~ـبـ~ـأـ~ـ حـ~ـاــوـ~ـلـ~ـتـ~ـ، فـ~ـقـ~ـدـ~ـ ضـ~ـنـ~ـتـ~ـهـ~ـ إـ~ـلـ~ـيـ~ـ أـ~ـكـ~ـثـ~ـرـ~ـ فـ~ـأـ~ـكـ~ـثـ~ـرـ~ـ.
تمــتـ~ـمـ~ـ بـ~ـهـ~ـذـ~ـاـ~ـ بـ~ـوـ~ـهـ~ـ: «آهـ~ـ...ــ رـ~ـيــاـ~ـهـ~ـ».
ــشـ~ـارـ~ـلـ~ـيـ~ـ، شـ~ـارـ~ـلـ~ـيـ~ـ...

تنــظــريـ~ـ إـ~ـلـ~ـىـ~ـ لـ~ـوـ~ـحـ~ـاـ~ـ، لـ~ـكـ~ـتـ~ـيـ~ـ أـ~ـسـ~ـاءـ~ـلـ~ـ عـ~ـماـ~ـ إـ~ـذـ~ـاـ~ـ كـ~ـانـ~ـ خـ~ـبـ~ـرـ~ـكـ~ـ كـ~ـافـ~ـيـ~ـ لـ~ـتـ~ـمـ~ـيـ~ـزـ~ـيـ~ـ
الـ~ـجـ~ـيــدـ~ـةـ~ـ مـ~ـنـ~ـهـ~ـ فـ~ـيـ~ـمـ~ـاـ~ـ لـ~ـوـ~ـعـ~ـرـ~ـتـ~ـ عـ~ـلـ~ـهـ~ـ».

خــفــضــتـ~ـ بــصــرـ~ـهـ~ـ إـ~ـلـ~ـىـ~ـ الـ~ـأـ~ـرـ~ـضـ~ـ وـ~ـهـ~ـيـ~ـ تـ~ـفـ~ـكـ~ـرـ~ـ فـ~ـيـ~ـ جـ~ـوـ~ـاـ~ـ مـ~ـنـ~ـاسـ~ـبـ~ـ. لـ~ـمـ~ـشـ~ـأـ~ـنـ~ـ
تـ~ـخـ~ـبـ~ـرـ~ـ مـ~ـاتـ~ـ عـ~ـنـ~ـ مـ~ـرـ~ـكـ~ـزـ~ـهـ~ـ الـ~ـعـ~ـرـ~ـوـ~ـقـ~ـ فيـ~ـ أـ~ـحـ~ـدـ~ـ أـ~ـكـ~ـبـ~ـرـ~ـ مـ~ـعـ~ـارـ~ـضـ~ـ لـ~ـلـ~ـدـ~ـنـ~ـ لـ~ـلـ~ـفـ~ـنـ~ـوـ~ـنـ~ـ».

ــأـ~ـبـ~ـوـ~ـيـ~ـ يـ~ـعـ~ـشـ~ـانـ~ـ وـ~ـيـ~ـتـ~ـعـ~ـدـ~ـثـ~ـانـ~ـ وـ~ـيـ~ـتـ~ـفـ~ـسـ~ـانـ~ـ فـ~ـنـ~ـاـ~ـ، وـ~ـقـ~ـدـ~ـ أـ~ـخـ~ـذـ~ـتـ~ـ عـ~ـنـ~ـهـ~ـمـ~ـ مـ~ـعـ~ـرـ~ـفـ~ـةـ~ـ
جــيــدــةـ~ـ فــيـ~ـ هــذــاـ~ـ الـ~ـمـ~ـجـ~ـالـ~ـ».

وــنــظــرـ~ـتـ~ـ إـ~ـلـ~ـىـ~ـ بـ~ـدـ~ـيـ~ـ الـ~ـكـ~ـبـ~ـرـ~ـيـ~ـتـ~ـينـ~ـ وـ~ـنـ~ـصـ~ـورـ~ـهـ~ـ يـ~ـمـ~ـسـ~ـكـ~ـ بـ~ـالـ~ـفـ~ـرـ~ـشـ~ـةـ~ـ.
وـ~ـعـ~ـنـ~ـدـ~ـمـ~ـاـ~ـ تـ~ـقـ~ـاــبـ~ـلـ~ـ نـ~ـظـ~ـرـ~ـهـ~ـمـ~ـاـ~ـ مـ~ـرـ~ـةـ~ـ أـ~ـخـ~ـرـ~ـ، أـ~ـدـ~ـعـ~ـهـ~ـاـ~ـ أـ~ـنـ~ـ تـ~ـرـ~ـىـ~ـ التـ~ـوـ~ـرـ~ـ فـ~ـي
وـ~ـجـ~ـهـ~ـ. وـ~ـفـ~ـكـ~ـرـ~ـتـ~ـ مـ~ـنـ~ـتـ~ـبـ~ـهـ~ـ إـ~ـلـ~ـىـ~ـ أـ~ـنـ~ـ هـ~ـذـ~ـاـ~ـ أـ~ـمـ~ـرـ~ـ هـ~ـامـ~ـ بـ~ـالـ~ـنـ~ـسـ~ـةـ~ـ إـ~ـلـ~ـيـ~ـ.
ــحــســنــاـ~ـ.

ــفـ~ـقـ~ـادـ~ـهـ~ـ إـ~ـلـ~ـىـ~ـ الـ~ـغـ~ـرـ~ـفـ~ـ الرـ~ـئــيــسـ~ـيةـ~ـ فـ~ـيـ~ـ الـ~ـمـ~ـنـ~ـزـ~ـلـ~ـ، قـ~ـبـ~ـلـ~ـ أـ~ـنـ~ـ يـ~ـرـ~ـدـ~ـ: «أـ~ـولـ~ـكـ~ـنـ~ـكـ~ـ لـ~ـسـ~ـتـ~ـ
مـ~ـضـ~ـطـ~ـرـ~ـةـ~ـ لـ~ـمـ~ـسـ~ـاــيــرـ~ـتـ~ـيـ~ـ فـ~ـلـ~ـاـ~ـ لـ~ـأـ~ـتـ~ـوـ~ـقـ~ـعـ~ـ مـ~ـنـ~ـكـ~ـ تـ~ـأـ~ـثـ~ـرـ~ـ بـ~ـعـ~ـمـ~ـلـ~ـ».

ــلـ~ـكـ~ـنـ~ـ شـ~ـارـ~ـلـ~ـيـ~ـ تـ~ـأـ~ـثـ~ـرـ~ـ، وـ~ـإـ~ـلـ~ـىـ~ـ حـ~ـدـ~ـ بـ~ـالـ~ـغـ~ـ.
ــسـ~ـارـ~ـتـ~ـ إـ~ـلـ~ـىـ~ـ وـ~ـسـ~ـطـ~ـ الـ~ـفـ~ـرـ~ـقـ~ـ ثـ~ـمـ~ـ تـ~ـوـ~ـقـ~ـتـ~ـ فـ~ـاغـ~ـرـ~ـةـ~ـ فـ~ـاـ~ـهـ~ـ. لـ~ـقـ~ـدـ~ـ تـ~ـمـ~ـلـ~ـكـ~ـهـ~ـ الـ~ـذـ~ـهـ~ـولـ~ـ
مـ~ـنـ~ـ دـ~ـوـ~ـنـ~ـ وـ~ـعـ~ـيـ~ـ مـ~ـنـ~ـهـ~ـ وـ~ـهـ~ـيـ~ـ تـ~ـجـ~ـوـ~ـلـ~ـ عـ~ـلـ~ـىـ~ـ الرـ~ـسـ~ـوـ~ـمـ~ـ وـ~ـعـ~ـبـ~ـنـ~ـاـ~ـهـ~ـ عـ~ـلـ~ـىـ~ـ الـ~ـجـ~ـدـ~ـرـ~ـانـ~ـ.

ــمـ~ـاتـ~ـ...ــ هـ~ـذـ~ـهـ~ـ أـ~ـعـ~ـمـ~ـالـ~ـ مـ~ـثـ~ـيـ~ـرـ~ـ!
ــوــقـ~ـفـ~ـ مـ~ـاتـ~ـ خـ~ـلـ~ـقـ~ـهـ~ـ بـ~ـرـ~ـاقـ~ـبـ~ـهاـ~ـ.

ــوـ~ـقـ~ـتـ~ـ تـ~ـنـ~ـأـ~ـمـ~ـلـ~ـ لـ~ـوـ~ـحـ~ـةـ~ـ كـ~ـبـ~ـرـ~ـةـ~ـ تـ~ـجـ~ـسـ~ـدـ~ـ رـ~ـاعـ~ـيـ~ـ مـ~ـنـ~ـكـ~ـتـ~ـاـ~ـ عـ~ـلـ~ـىـ~ـ سـ~ـيـ~ـاجـ~ـ بـ~ـعـ~ـدـ~ـ يـ~ـومـ~ـ عـ~ـمـ~ـلـ~ـ

ــشـ~ـاقـ~ـ وـ~ـهـ~ـمـ~ـسـ~ـتـ~ـ: «الـ~ـلـ~ـوـ~ـنـ~ـ...ــ الـ~ـطـ~ـرـ~ـيـ~ـقـ~ـ الـ~ـتـ~ـيـ~ـ تـ~ـمـ~ـكـ~ـتـ~ـ فـ~ـيـ~ـهـ~ـ مـ~ـنـ~ـ إـ~ـظـ~ـهـ~ـارـ~ـ أـ~ـشـ~ـعـ~ـةـ~ـ
ــشـ~ـمـ~ـ أـ~ـسـ~ـتـ~ـرـ~ـالـ~ـيـ~ـاـ~ـ».

ــوـ~ـهـ~ـزـ~ـتـ~ـ رـ~ـأـ~ـسـ~ـهـ~ـ وـ~ـتـ~ـحـ~ـوـ~ـلـ~ـتـ~ـ تـ~ـنـ~ـظـ~ـرـ~ـ إـ~ـلـ~ـىـ~ـ لـ~ـوـ~ـحـ~ـاتـ~ـ أـ~ـخـ~ـرـ~ـ.
ــثـ~ـمـ~ـ أـ~ـنـ~ـ طـ~ـرـ~ـيـ~ـقـ~ـكـ~ـ...ــ فـ~ـرـ~ـيـ~ـدـ~ـ...ــ اــسـ~ـتـ~ـطـ~ـعـ~ـتـ~ـ أـ~ـنـ~ـ تـ~ـعـ~ـبـ~ـرـ~ـ عـ~ـنـ~ـ الـ~ـكـ~ـثـ~ـيرـ~ـ بـ~ـمـ~ـجـ~ـرـ~ـ

ــلـ~ـسـ~ـاتـ~ـ جـ~ـرـ~ـيـ~ـةـ~ـ. لـ~ـقـ~ـدـ~ـ جـ~ـمـ~ـعـ~ـتـ~ـ بـ~ـيـ~ـنـ~ـ الـ~ـإـ~ـحـ~ـاسـ~ـ بـ~ـالـ~ـمـ~ـدـ~ـيـ~ـنـ~ـةـ~ـ الـ~ـمـ~ـعـ~ـاصـ~ـرـ~ـةـ~ـ، وـ~ـشـ~ـيـ~ـءـ~ـ
ــبـ~ـدـ~ـانـ~ـيـ~ـ...ــ بـ~ـدـ~ـانـ~ـيـ~ـ جـ~ـداـ~ـ كـ~ـهـ~ـذـ~ـهـ~ـ الـ~ـأـ~ـرـ~ـضـ~ـ نـ~ـفـ~ـسـ~ـهـ~ـ. وـ~ـهـ~ـذـ~ـاـ~ـعـ~ـلـ~ـ رـ~ـائـ~ـعـ~ـ.

ــفـ~ـقـ~ـالـ~ـ بـ~ـيـ~ـسـ~ـاطـ~ـةـ~ـ: «أـ~ـنـ~ـاـ~ـ مـ~ـسـ~ـرـ~ـوـ~ـ لـ~ـأـ~ـنـ~ـاـ~ـ أـ~ـعـ~ـجـ~ـبـ~ـتـ~ـكـ~ـ».

- أنا أيضاً لا أبحث عن هذا بالضبط. ولكن، من يدري؟ ربما قدر لنا أن نعيش علاقة جادة وليس مجرد مغامرة عابرة.

وشدها إليه مرة أخرى بحزن، وأخذ يتأمل وجهها وعيتها وكأنه يريد أن يعثر فيهما على الجواب الذي يريد.

بادله تشارلي النظرات، أملة أن يتمكن من أن يقرأ في عينيها ما لم تجرؤ على قوله. وهو أنها قد تضحي بأي شيء لكي تبقى هنا وتحبه.

- أنت أجمل امرأة عرفتها، يا تشارلي. وظلت أن شعورك نحو يمثل شعوري . . .

ضغطت على شفتيه بأسابيعها: «وأنا أيضاً أراك جذاباً للغاية: . . . ولكن . . . ولكن دعنا نفكر في ذلك أكثر قبل أن تجربنا مشاعرنا».

وابتسمت بحزن ثم أضافت: «أنت تغري الفتات حقاً، يا سيد لوكمارت».

ثم تنفست بعمق وعادت تنظر إلى اللوحة، قائلة: «أنا أحب هذه حقيقة».

استدار ليحملق في اللوحة. واستغلت هي شروده فانسلت من بين ذراعيه، وخرجت من الغرفة متوجهة نحو كوخ الرعاة. وسمعته يناديها لكنها أكملت طريقها فلم يلحق بها.

في الصباح الباكر كان مات قد رحل. على مائدة الفطور، لم تجرؤ تشارلي أن تسأل عنه. فأكلت بهدوء ثم غادرت المائدة باكراً. ولكن ما إن خرجت من المطبخ، حتى رأت آرثر يتنظر على الشرفة.

- تشارلي، هل أكلمتني دقيقة؟
أخذ قلبها يخفق وقد شعرت بالذنب. أتراء سيلفي عليها محاضرة؟
قدم إليها كرسياً وهو متوجه الوجه ثم جلس باليها، فسألها بما يمكنها من هدوء: «كيف لي أن أساعدك؟».

سرعان ما استجمعت ما تبقى لها من إرادة وقالت له: «لا ينبغي لنا هذا».

لكنه بدا مصمماً على أن يقنعها بالعكس، وسألها: «الآن يمكن اعتبار هذا موعدنا الثاني؟».

ارتسمت على شفتيها ابتسامة واهنة وهي تبعده عنها: «مات لوكمارت، لماذا لست عجوزاً أصلع؟ أنا لم أحضر إلى البراري لأنخرج في مواعيد غرامية مع رئيسي».

- لكنها ليست فكرة سيئة.

وأدناها منه أكثر فحاولت أن تتجاهل مدى شعورها بالسعادة.

- لقد سببت لك مشاكل مع تيد. لقد أخطأت في القدوم إلى هنا. جعلتك تظتنى رجلاً عندما وظفتني.

- ابتدأت اعتقاد أن أفضل غلطة ارتكبها هي توظيفك.

- لكنك لا تعرفعني شيئاً.

فالياغراء: «يمكننا أن نغير ذلك في لحظة. لا تودين ذلك؟».

لن تستطيع السيطرة على نفسها بين ذراعيه اللتين كانتا نطوقانها بعاطفة محمومة. لكن ذلك ليس صواباً، ولن يكون صواباً أبداً. عليها أن تبتعد عنه الآن!

إن ضميرها يعذبها وهي لا تستطيع احتمال تأثير الضمير. وفي غمرة اليأس، انزلقت بحزن من بين ذراعيه حتى لامست قدمها الأرض.

- ماذا حدث؟

- كل شيء.

صرخت وهي تغالب دموعها: «كل شيء. آسفة يا مات».

وهذه المرة لم يقاومها. اشتكت عيناه بعينيها بعده تام وقالت متلعنة: «أود كثيراً أن أبقى معك، ولكن ليس في هذه الظروف».

- ماذا تعنين؟ أي ظروف؟

- أنا لا أبحث عن علاقة غرامية لقضاء الإجازة.

ونهضت واقفة بثاقل، ثم أردفت: «بلغ مات أصدق تمنياتي. أنا واثقة من أن هذين الشابين سيكونان أكثر نفعاً له مني، وأخبره بأن رحيله هو لخيرنا وهو الأفضل».

- ربما من الأفضل أن تتظري وتربه أولاً.

اقترب آرشن عليها ذلك، مبدياً عدم الارتياح لهذا التحول المفاجئ في الأحداث. لكن تشارلي كانت تعلم أنها إذا رأت مات مرة أخرى، فستضعف وتلقي بنفسها بين ذراعيه ويتهمي الأمر إلى ورطة أكبر.

ابعدت قائلة: «هكذا ينبغي أن يكون الأمر يا آرشن».

تمتت بذلك ودموعها على وشك التدفق مرة أخرى، ثم توجهت إلى غرفتها لكي تحزم أمتعتها.

رد مات على آرشن هادراً: «ما الذي تعنيه بأن تشارلي قد رحلت؟ وما الذي جعلها ترحل؟»

رمى آرشن أمتعته بعنف ووضع يديه على وركيه، ثم قال:

- وصل الشابان بحثاً عن عمل، ورأى تشارلي أنهما سيكونان أفضل منها للعمل، لذا ذهبـت.

- متى رحلـتـ؟

- أمس صباحـاً.

- لم تحاول أن تمنعـها؟

- كانت مصممة جداً.

أثار اللمعان الحذر في عيني آرشن شكوك مات فـسـأـلهـ: «لكنـكـ قـلـتـ لها شيئاً، أليس كذلك؟».

- عن ماذا؟

- وما أدراني؟ لكـنـيـ أـراهـنـ علىـ أنـكـ أـخـفـنـتهاـ لـكـيـ تـرـحـلـ.

واستدار مات مغادراً الشرفة.

لم يستطع أن يصدق أن تشارلي رحلـتـ. وكـادـ بـعـنـ وـهـ يـتصـورـ أنهـ لنـ

- يمكنكـ أنـ تـكـوـنـ صـادـقـةـ مـعـيـ،ـ باـ آـنـسـةـ بـيلـ.

ـ سـائـلـهـ وـخـفـقـاتـ قـلـبـهاـ تـسـارـعـ:ـ «ـبـشـأنـ مـاـذـاـ؟ـ».

فـابـسـمـ عـابـساـ:ـ «ـلـأـدـرـيـ مـاـهـوـ سـرـاـ»ـ،ـ لـكـنـيـ أـعـلـمـ أـنـ لـدـيـكـ سـرـاــ.

ـ اـنـصـبـتـ فـيـ جـلـسـتـهاـ،ـ وـتـشـبـثـ بـذـرـاعـيـ مـقـعـدـهـاـ.ـ يـبـدوـ أـنـ آـرـشـ لـاـ

ـ يـتـوـقـعـ أـنـ يـسـعـ اـعـتـرـافـاـ فـوـرـيـاـ مـنـهـاـ،ـ لـذـاـ بـقـيـتـ صـامـتـ،ـ شـاعـرـةـ بـالـذـعـرـ.

ـ مـاـلـ آـرـشـ إـلـىـ الـأـمـامـ،ـ مـرـيـحاـ مـرـفـقـيـهـ عـلـىـ رـكـبـيـهـ،ـ وـنـابـعـ:ـ «ـأـعـلـمـ أـيـضاـ

ـ أـنـكـ وـمـاتـ يـكـفـيـ أـنـ يـنـظـرـ الـوـاحـدـ مـنـكـمـاـ إـلـىـ الـآـخـرـ حـتـىـ يـخـفـقـ قـلـبـكـاــ.

ـ خـفـضـتـ بـصـرـهـاـ شـاعـرـةـ بـالـتـعـاسـةـ.

- رـبـماـ تـقـولـينـ فـيـ سـرـكـ إـنـ هـذـاـ لـيـسـ مـنـ شـائـيـ وـلـمـكـ عـلـىـ حقـ،ـ وـلـكـنـ

ـ كـلـاتـاـ يـعـلـمـ أـنـكـ سـتـرـحـلـينـ قـرـيـباـ،ـ يـاـ تـشـارـلـيـ،ـ وـكـلـ مـاـ أـرـجـوهـ هـوـ أـلـاـ بـؤـلـمـكـ

ـ مـاـ يـحـدـثـ بـيـنـكـمـاـ أـوـ بـؤـلـمـ الشـابـ الـذـيـ أـجـبـهـ أـكـثـرـ مـنـ أـبـنـيـ.

ـ بـعـدـ لـيـلـيـنـ أـرـقـهـاـ فـيـهـاـ الشـعـورـ بـالـذـنـبـ،ـ أـصـبـحـتـ مـنـ الـضـعـفـ بـعـيـثـ

ـ لـمـ تـسـطـعـ اـحـتـمـالـ هـذـهـ الـضـرـبـةـ الـمـبـاـشـرـةـ فـاغـرـوـرـقـتـ عـيـنـاهـاـ بـالـدـمـوعـ.

ـ بـدـاـ الـكـرـبـ عـلـىـ آـرـشـ عـلـىـ الـفـورـ،ـ فـحاـوـلـ أـنـ يـرـبـتـ عـلـىـ كـتـفـهـاـ.

ـ «ـآـسـفـ،ـ يـاـ عـزـيزـتـيـ،ـ لـاـ تـهـنـمـيـ بـيـ كـثـيرـاـ»ـ.

ـ لـكـنـهـ وـضـعـ إـصـبـعـهـ عـلـىـ الـجـرـحـ الـذـيـ آـلـهـاـ مـنـذـ أـتـتـ إـلـىـ هـذـاـ المـكـانـ.

ـ آـرـشـ عـلـىـ صـوـابـ،ـ لـأـنـ لـدـيـهـ سـرـاـ وـهـوـ سـيـؤـلـمـ مـاتـ.

ـ فـيـ الـطـرـفـ الثـانـيـ،ـ اـنـفـتـحـ بـابـ الـمـطـبـخـ وـخـرـجـ مـنـ الشـابـانـ اللـذـانـ جاءـاـ بـلـتـمـسـانـ

ـ عـمـلاـ،ـ فـوـجـدـتـ تـشـارـلـيـ حـلـاـ لـوـرـطـهـاـ مـاـ إـنـ رـأـيـهـاـ.ـ قـالـتـ:ـ «ـلـاـ تـنـقـلـ يـاـ

ـ آـرـشـ.ـ أـنـاـ مـثـلـكـ،ـ لـأـرـيدـ أـنـ أـحـزـنـ رـئـيـسـكـ.ـ لـقـدـ جـتـ إـلـىـ هـنـاـ فـيـ مـغـامـرـةـ

ـ مـشـيـةـ بـيـنـ الـبـرـارـيـ،ـ لـكـنـ الـأـمـورـ تـزـدـادـ تـعـقـبـاـ كـلـ يـوـمـ،ـ لـذـاـ سـأـمـنـعـ

ـ ذـلـكـ الـآنـ»ـ.

ـ وـأـوـمـاتـ بـاتـجـاهـ الرـجـلـيـنـ،ـ مـضـيـفـةـ:ـ «ـلـدـيـكـ هـنـاـ بـدـيـلـانـ عـنـيـ وـعـنـ تـبـدـ،ـ

ـ وـسـتـأـنـيـ شـاحـنـةـ الـبـرـيدـ هـذـاـ الصـبـاحـ،ـ لـذـاـ يـعـكـنـيـ الـذـهـابـ قـبـلـ عـودـةـ مـاتـ»ـ.

ـ بـدـاـ الـقـلـقـ عـلـىـ آـرـشـ:ـ «ـلـمـ أـشـأـ أـنـ أـخـيـفـكـ إـلـىـ هـذـاـ الـحدـ»ـ.

ـ كـلـامـكـ مـنـطـقـيـ.

يراهما بعد الآن، ذلك أن امرأة سواها لم تسرجه إلى هذا الحد. إنها رائعة الجمال، شجاعة، وملتهبة المشاعر، حتى أنه لم يتوقع فقط أن يقابل امرأة مثلها... خصوصاً هنا في البراري. كان يعلم طبعاً أن هناك ما يزعجها، ولكن، مع الوقت، سيمكناً حتماً من حل أي مشكلة.

توجه إلى مكتبه وراح يبحث بين كومة من الأوراق، إلى أن وجد ضالته. رقم الهاتف الذي اتصل به عندما وافق على استخدامها.

وجاء الجواب: «مرحباً هنا سارا بيلامي».

- مساء الخير. معلمات لوكيهارت.

- آه، سيد لوكيهارت!

- هل تعلمين لماذا أتصل بك؟

- همم... هل تبحث عن تشارلي؟

- بالضبط. أين هي؟

- على متنه الطائرة متوجهة إلى إنكلترا.

شتم مات بصوت مرتفع وكاد يقذف الهاتف على الجدار.

- آسفة، يا سيد لوكيهارت، هي لم تخبرني الكثير. قالت فقط إن الأمور لم تتجزع.

وسكنت سارا لحظة، ثم عادت تقول: «بدت متقدمة للغاية».

- أيمكنك أن تعطيني عنوانها في إنكلترا؟

ترددت سارا كثيراً، فراح مات يبحث عن عذر.

- لا تعيش في دربيشير؟ أريد أن أرسل إليها أجراً لها.

- آه، فهمت. يملك والداها منزلًا في دربيشير، وبما إنها مازالت في إجازة أظنها ستكون هناك.

وترددت مرة أخرى ثم عادت تقول: «أظن أن ما من سوء في أن أعطيك عنوانهم».

اختطف قلماً وكتب نفاصيل عنوان منزل تشارلي بيل في إنكلترا.

* * *

٥ - حبيبتي مخدادعة

أنفل مات سترته الجلدية ليصل رياح إنكلترا القارسة ثم أخذ يحدق في الورقة الملطخة التي في يده، لكنه لم يكن بحاجة حقاً إلى مراجعتها، فهو يعرف تفاصيلها عن ظهر قلب. ونظر مرة أخرى إلى البوابة الحديدية الضخمة المزخرفة التي أمامه، الإسم المدون على الورقة هو نفسه الموجود على اللوحة التحاسبة (الحقول الخضراء).

ولكن لا بد أن ثمة خطأ ما. فهذه البوابة تؤدي إلى طريق طويل مرصوف بالحصى ينتهي بمنزل ريفي فخم. ولا يمكن أن تعيش تشارلي بيل هنا!

تفحص خريطة ليتأكد من أنه لم يخطئ في الطريق. ولكن، لا، العنوان صحيح. عبس والقى نظرة شاملة على الأرض داخل البوابة. رأى مرجأً واسعاً أخضر، وبركة ماء مستديرة ومنزل قديم فخم بثلاثة طوابق. ذكرت سارا أن لدى والدي تشارلي أملاكاً، لكنه لم يتخيّل أنها مزرعة بهذا الحجم. لم يستطع أن يتصور أن تشارلي التي يعرفها تعيش في منزل شبيه بالقصر، كهذا.

ولكن أمامه طريقة واحدة فقط لكي يتأكد من شكوكه فاندفع بدرجاته البخارية المستأجرة، في الطريق المؤدي إلى قصر (الحقول الخضراء). كان قدومه إلى إنكلترا للبحث عن تشارلي مغامرة كبيرة، فقد انعزل بنفسه مدة أسبوع قبل أن يلقى عليه آرش أخيراً محاضرة مطولة.

- نعم، يا سيدى.

فمد مات يده إليه: «وأنا مات لوكهارت سررت بلقائك». ونظر نورتون إلى ساعته، قائلاً: «آسف لأنني لا أستطيع مساعدتك في العثور على الآنسة التي تبحث عنها».

تنهد مات وقطب جبينه قائلاً: «لا بد أن سارا بيلامي اعطتني عنواناً خطأنا».

تقدم نورتون إلى الأمام وأخذ يحدق في الورقة التي في يد مات.

- هل قلت سارا بيلامي يا سيدى؟

- نعم. إنها ابنة عم شارلى.

واتسعت عيناً نورتون خلف نظاراته.

- يا الله... أذنك في المكان الصحيح رغم كل شيء.

وكان في صونه صدمة مكتوبة.

وفي تلك اللحظة تصاعد رنين ضحكة خلف نورتون في الردهة، ولمح مات ثوباً أخضر ترتديه فتاة رائعة الجمال تثبت بذراع سائق السيارة الرياضية الفضية. كانت ثفاتها الممتلثتان الناعمتان مصبوغتين وشعرها الذهبي مسرحاً بشكل فاتن يظهر بياض عنقها. كانت رائعة للغاية.

- إنها شارلى.

شعر مات وكأنه داس على لغم أرضي. نظر فاغراً فاه إلى المتردز الذي أمامه. أما هي فوقفت تحدق إليه وذراعها لا تزال مشبوبة في ذراع مرافقتها.

- مات؟

وشعب وجهها وحملقت فيه مصعوفة.

- يا الله، مات.

أخذت تحدق إليه وقد اتسعت عيناهما في وجهها الشاحب وارتجمت ذفتها وشفتها. ومدت يدها لتلمسه بحركة آلة، لكنها تذكرت أنها ما زالت مرتبطة بذلك الرجل الأشقر، فالتفت إليه وهي توضح متلهمة:

- اسمع يا مات، لقد تعبت منك، ومن صراحت وحدتك وزمزجرتك مع الجميع. فأنت ترفس الأبواب وتدور في الأنهاء حزيناً مكتباً منذ رحيل شارلى.

ثم سحب حقيبة ثياب من تحت الطاولة وألقى بها عند قدمي مات:

- الرعاة سيهتمون بالعمل. ها هي حقيبتك وهذا جواز سفرك، فاذهب واشتري تذكرة سفر إلى إنكلترا.

وها هو ذا الآن، يتوقف بدرجاته عند أسفل درجات حجرة تقود إلى باب كبير مهيب.

رفع يده إلى الباب، لكنه انفتح قبل أن يطرقه.

وقف أمامه رجل متوسط السن، فابتسم مات بشجاعة، وقال:

- صباح الخير. هل لي أن أتحدث إلى السيد بيل؟

قطب الرجل وضاقت عيناه: «لا أحد هنا بهذا الاسم يا سيدى».

- آه، وماذا عن الآنسة، الآنسة شارلى بيل؟

وكان الجواب تقطيبة أخرى وهزة من الرأس.

فقال مات محاولاً مساعدة الرجل المسن على التذكر: «العلها نعمل في مكان آخر من المزرعة».

قد تكون عاملة في الإسطبلات؟ إنها ماهرة مع الجياد.

توقفت خلفه على الطريق المرصوف، سيارة رياضية فارهة، فضية اللون، وترجل منها رجل نحيل أشقر يرتدي بدلة عشاء رسمية، ثم سار بخطورة من دون أن يلقي باتجاه مات أي نظرة. صعد السلم ودفع بقفازات القبادة ووشاحه الصوفي إلى الرجل الواقف بالباب وهو يقول بإيماءة مختصرة قبل أن يدخل المنزل:

- مساء الخير يا نورتون.

نظر مات إليه بدهول، ثم عاد ينظر إلى الرجل الذي يطوي الوشاح على ذراعه.

- نورتون؟ هل هذا اسمك؟

عندما أخذ نورنون ومات يتبعان بنتظراتهما السيارة الفارهة التي انطلقت مسرعة، قال رئيس الخدم: «يبدو أنك وجدت فناشك «تشارلي بيل» يا سيد لو كهارت».

هز مات رأسه وتهد: «لا، يا صديقي. أخشى أن أكون قد وجدت فتاة مختلفة تماماً».

تحنح نورتون وقال: «أي «اللابدي شارلوت بيلامي» في الحقيقة؟
مضت لحظة مؤلمة حدق فيها مات إليه.

- اللاليدي شارلوت؟ هل هي لابدی؟ أتعنی أن أباها دوق أو ما شابه؟
- إنه إيرل.

- تباً لكـ ذلك.

وحملق مات في سيارة اللورد غروفس الرياضية وهي تخرج من البوابة
ثم التفت إلى الرجل وقال بصوت متهدج: «أي دور كانت تلعبه في
مزرعتي منكراً شكل راعية؟»

وشنم مرة أخرى بصوت منخفض هذه المرة، وسار نحو الباب وهو يضرب راحته بقبضة يده الأخرى.

هز نورتون رأسه وتحنخ بعدم ارتياح .
- والآن يا سبدي ، والدا اللايدلي شارلوت ليسا في البيت هذا المساء
لسوء الحظ . ولكن إذا رافقتي فسأريك غرفة الجلوس ثم أجهز لك غرفة
تضفي فيها ليلتك .

انحنى نورتون بأدب، وسأله: أهل يمكنتي أن أنصحك بالتزول في
فندق موتور إن؟^٤

- أظن أنه من الأفضل أن أخرج من المنطقة بأسرها. حضوري إلى هنا كان أكبر غلطة ارتكبها في حياتي.

فقال نورتون مفكراً: «يا سيد لو كهارت . لقد عرفت اللايدي شارلوت

«جيريبي، هذا... هذا مات لوكهارت، إنه صاحب سانداون وهي مزرعة ماشية ضخمة رائعة في أوستراليا. لقد تعرفنا أثناء وجودي هناك. مات... هذا جيريبي غروفن».

عندما تذكر مات أن يمد يده مصافحاً، انحنى عليه نورتون رئيس الخدم وهمس في أذنه: «إنه اللورد جيريمي غروفس».

بينما قال جيريمي بيروودة: «سرني التعرف إليك، يا لوكهارت. اسمع، أيها الشاب، أنا آسف جداً لاستعجالي شارلوت بالخروج لحظة وصولك، ولكن لدينا تذاكر للأوبرا».

فرفع مات يده: «بكل تأكيد، تفضل بالذهب، لا تدعاني أعيقكم». كنت مارأً فقط في هذه المنطقة ففكرت في إلقاء التحية على شارل بولت: «شكراً لك».

- آه، يا مات. أنا آسفة جداً.
ونزعت شارلي ذراعها من ذراع جيريمي وتقدمت نحوه. ففاح منها
عط رائم.

طرف بعينيه باذلاً جهده لابتلاع الفضة التي شعر بها في حلقة وهو
يُحَمِّل بجهدٍ ليقول: «ليس هناك ما يستوجب الاعتذار، فكيف لك أن تعرفي
أنت، سأتم علم حين غرة».

وقال جيريمي يستحثها: «شارلوت، عزيزتي». ستأخره.
ألقت نظرة ارباك على مرافقها، ثم عادت تنظر إلى مات.
سألته بصوت خافت ناعم: «ماذا تتفق؟»

ونقدم نورتون إلى الأمام: «يمكنتني أن أرتب إقامة السيد لو كهارن في
بن دق (موتور إن) في هذه المنطقة؟»

وابتست نشارلي وقد أشرق وجهها بتألق مفاجيء أذهل مات.
- هذه فكرة رائعة يا نورتون، جهز لمات غفة.

فأجابها نورتون: «حسناً جداً». وعادت تشارلز، تسمى مرة أخرى، ثم، كفشت لاحقة بحثها

العالم. مهما كانت الظروف عليها أن تحصل عليه، فهو لها وليس لأحد آخر. سيقدم لها الهدية ويقول لها كم كان ادعاؤها ذاك غبياً أحمق، فيخرج من صدره ذلك الاحتياط ويخرج من حجانها إلى الأبد.

عادت تشارلي إلى مقعدها الجلدي في سيارة جيريبي، شاعرة بالسرور لأنها ستعود إلى بيتها أخيراً. كانت رفيقة كثيرة نوعاً ما هذا النساء، فطوال عرض الأوبرا، كانت تفكير في مات. كانت ذكرياتها مشبعة بقصة امرأة انكلزية تحب رجلاً استراليًّا. في الحقيقة، لم توقف عن التفكير فيه طول الشهر الماضي. ففي كل مناسبة، كانت تشارلي تجد سبباً للتفكير في مات. وما أن أوقف جيريبي السيارة أمام منزل تشارلي حتى راح يتقرَّب منها بابتسامة غرور، فرأى في ذلك عملاً غير أخلاقي، وابتعدت عن لمساته الباردة. وتمتن، وهو يقترب منها: «والداك ما زالا في منطقة البحيرات أليس كذلك؟».

فأجابت بعدها: «سيعودان غداً».

فقال بالحاج: «ولكن ليس الليلة».

ـ لكن ضيق هنا.

ـ ذلك الاسترالي؟

ـ نعم.

ـ وماذا في ذلك؟ لا بد أنه نائم. وسنكون وحدنا.

كيف يتوقع منها أن ترتعي بين ذراعيه بينما مات هنا، في بيته؟ وقالت بلهفة: «فديتأخر مات عن الطائرة لذا لا بد أنه مستيقظ تماماً الآن بنتظر أن يعبِّن الوقت».

وتمكَّت بمقتضى الباب تفتحه فانتفتح بسهولة ما أشعرها بالارتياح.

ـ شكراً لهذه الأمسية الرائعة.

ثم منحته ابتسامة ناعمة وهي تخرج من السيارة.

منذ ولادتها. هل لي أن أكون من الوقاحة بحيث أقول إنني لم أرها فقط تنظر إلى أي شخص بطريقة...، وتحنخ مرة أخرى.

ـ دعني أحجز لك في هذه المنطقة. لقد فات الأوان لكي تتعجل في فندق آخر ليلة الجمعة.

أخذ مات يبعث بكوب العصير وهو يُحدق إلى الأرض بكلبة. أي أحمق جعل من نفسه بمجيئه إلى هنا؟ هو في العادة رجل عمل لا يميل إلى التخيلات. إذاً ما الذي جعله يفكر في أن بإمكانه أن يقفز إلى الطائرة، ويدور حول الكروة الأرضية ليجد أن تشارلي مستقطٍ بين ذراعيه على الفور عندما يفاجئها؟

لقد مضت أسبوع لم يذق طعم النوم فيها، أسبوع وهو يفكر فيها، متخيلاً راحتها وشعوره نحوها، متخيلاً عناقهما وتجاربها معه. وكل ذكرى كانت تجعل جسده يتورٌ بشكل لا يطاق.

كان واثقاً تماماً من حقيقة مشاعرها نحوه. فهو لم ينظر قط إلى عيني امرأة ووجد لها تبادل النظر بمثيل تلك الحرارة والرقة والشوق. لذا قرر أن يأخذ زمام المبادرة، أو يفقدتها إلى الأبد.

استرد رأسه بين راحتيه محاولاً تخفيف الألم الذي ينهش قلبه. كيف خدعته؟ فناته تشارلي الجميلة الملية بالحيوية تحولت إلى امرأة باهرة الجمال لا يمكن الوصول إليها، مختلفة المثنا والثقافة ونمط الحياة، وتقرباً من عصر آخر.

ما الذي هدف إليه من وراء ذهابها إلى سانداون؟ لقد حان الوقت ليفكر في ما عليه فعله.

لم يكن أمامه في الحقيقة أي خيار. غداً سيذهب لمقابلة تشارلي ليعرف الحقيقة منها. سيتلقي الخبر بهدوء، ولكنه سيقول ما يريد أيضاً. نذكر الطرد الذي أحضره معه طوال الطريق من الطرف الآخر في

- هل أعد لك عشاء خفيفاً؟

- لا، لا يا نورتون. وشكراً، سأذهب... سأذهب إلى فراشي.
تصبح على خير.

ويندون أن تدعه يرى القنوط المرتسم على محياها، استدارت ترکض
صاعدة السلالم وهي ترفع تنورتها أمامها، متمنية من كل قلبها لو تعود
«شارلي بيل» مرة أخرى.

استيقظت عند الصباح قلقة، متوترة الأعصاب وأول ما فكرت فيه كان
مات، كان دوماً يستيقظ باكراً لذا فكرت أن تتصل به على الفور.
ارتدت بنطلوناً وكenza وردية، ثم نزلت إلى الردهة في الطابق الأسفل.
أخرجت الرقم من دليل الهاتف بلطفة، ثم طلبه بأصابع مرتجلة.
- صباح الخير، فندق «موتور إن»؟

مضت لحظة ذعر على شارلي، فهي على وشك الاتصال بمات من
دون أن تفكر بما ت يريد أن تقول، هل عليها أن تبدأ بالاعتذار؟

- هل يمكنني أن أتحدث إلى السيد لو كهارت من فضلك؟
- آسف لأن السيد لو كهارت رحل منذ نصف ساعة.

رجل؟ ونظرت شارلي إلى سماعة الهاتف مذهولة، ولكن لا يمكن
أن يكون مات قد رحل، لا يستطيع أن يرحل دون أن يراها، عليهما أن
يتحدثا معاً، وسألت موظف الاستقبال: «هل ترك عنواناً للاتصال به؟».

- لا، مع الأسف، لم يفعل.
لقد فقدته!

شعرت شارلي وكأنها سقطت من مكان مرتفع للغابة، وضفت
السماعة بعنف، ثم ضغطت على معدتها بيده، ووضعت اليد الأخرى على
فمها لتصدّ شهقات خيبة الأمل التي أصابتها.

- لا يدي شارلوت.

صوت نورتون الرقيق خلفها جعلها تستدير إليه: نورتون، لقد

دخل جيريبي لنصرفها الغريب هذا، كان هذا ثالث موعد لهما،
فكيف يريد أن تصبح علاقتهما أكثر حميمية من الآن؟
أغلقت باب السيارة بحزم، ملوحة له بيدها،
لكنه لم يرد عليها، وانطلق بالسيارة غاضباً.

لم يكن لدى شارلي وقت تأمل فيه شعور رفيقها المجرح فقد هرعت بخطوات مرحة وقلب
أكثر مرحًا إلى البيت، وكالعادة كان نورتون العجوز الطيب في انتظارها،
سألها عن الأوبرا، لكن شارلي تعاملت السؤال وسأله وهي تمسك
بيديه: «هل مات نائم؟».

لكنه أدهشها بجوابه: «ليس لدى فكرة»،
نصرخت وهي تهز يديه بتفاد صبر: «لا تكون أحمق يا نورتون، أين
هو وفي أي غرفة أنزلته؟ يجب أن أتحدث إليه».

- لكنه، يا لا يدي شارلوت، ليس هنا، لم يقبل البقاء.
فقططبت حاجبيها: «ماذا تعني؟».

- بدا السيد لو كهارت متقدراً جداً، لقد فضل النزهاب إلى فندق
«موتورإن».

ألقت نفسها على درابزين السلم الخشبي الملمع، وقالت باهجة
رقيقة: «هكذا إذن».

- نعم، في الواقع.
ولم يزد القول في هذا الشأن، واغرورقت عينها بدموع مفاجئة
استحال عليها كيجهها.

- أظنه كان يبدو متقدراً جداً؟
فأجابها برقة: «نعم مع الأسف».

- إذن على أن أتصل به.
- لكن الوقت متاخر جداً الآن، أظن أنه من الحكمة الانتظار حتى
الصباح.

فأخذت تغابب دمعها.

رحل».

صرخت بذلك ثم سقطت بين ذراعي صديقها العجوز، عاجزة عن كبح دموعها. وهي تشهق قائلة: «كنت أريد أن أعتذر إليه».

- كفى، كفى.

تمتم بذلك بصوته الرقيق، تماماً كما كان يفعل عندما كانت طفلة، وأخذت تتوهج على كتفيه.

- لقد ارتكبت غلطة فادحة عندما كنت في أستراليا أنا... أنا... فقال بطف: «سافرت متخفي باسم مستعار؟ تظاهرت بأنك فتاة بسيطة من دون لقب واسمها تشارلي بيل؟».

أومأت وهي تربيع جبينها على صدره المخلص التحلي.

- أشعر بالذنب بشكل رهيب وكذلك بالتشوش والارتباك. همت بذلك وبقيت دقائق واقفة متثبطة بنورتون، تاركة دموع تعاستها تبلل قميصه.

جاء مات من أستراليا ليراهما. وكم كان ظبيعاً اكتشافه خداعها لم تستطع أن تلومه لأنّه غضب، ورحل على الفور. ولكن، يا الله، كيف يمكنها أن تحتمل هذا؟

وعادت تتشبث بنورتون وتشهق باكية.

- هل من أحد هنا؟

انطلق هذا السؤال بلهجة أسترالية مميزة.

ارتفع رأس تشارلي بعنف فقابلت عيناهما الدامعتان عيني نورتون الغامزتين وهو يقول بابتسامة ذات معنى: «هناك شخص عند الباب».

وأسرعوا معاً نحو الباب وتشارلي تعجبت دموعها بظهور يدها.

وقف مات عند الباب حاملاً تحت إبطه طرداً أسمراً. بدا متعباً، ولكن رائعاً... رائعاً تماماً.

أخذ قلب تشارلي يخفق وهي تشک في قدرتها على الكلام. وشكرت نورتون أن استسلم عنها واجب التجبة.

- صباح الخير يا سيد لو كهارت.
فأجاب مات عابساً: «صباح الخير. أردت أن أحضر هذه».
وأنسل بالطرد أمامه متوجهاً النظر إلى تشارلي.
فقال نورتون وهو يتناول الطرد بعنابة: «بكل تأكيد يا سيدتي. سأهتم بهذه».

تحولت نظرات مات الآن إلى تشارلي بيضاء. كان وجهه شاحباً وقد بدأ الحزن في عينيه فشعرت بالذنب لعمق الصدمة التي سيئتها له.
قال لها مسيراً إلى الطرد: «إنه لك، ولكن يمكنك أن تنظرني إليه فيما بعد. أريد أن أخرج من صدري أمراً أو أمرين ثم أرحل من هنا».
حاولت أن تتكلم، لكن الكلمات ماتت على شفتيها. قال نورتون:
«لماذا لا تأخذين السيد لو كهارت إلى الغرفة الشرقية؟ بينما أحضر أنا بعض الشاي والكعك».

فقالت متلهمة: «إن... نعم. هذه فكرة حسنة يا نورتون».

تقدمت أمامه وهي ترتجف: «من هنا».

تمكنت من السير، بشكل ما، من دون أن تنهر ساقها.
و عندما دخل الغرفة القبيحة المشمسة. نظر حوله، مقيناً الآثار الأخرى الأنيقة، والمزهريات المليئة بالأزهار الفضة والتواقد الطويلة التي تطل على الغماء. ثم استقرت عيناه على اللوحات الأنيقة المعلقة...
لكنها كانت تعلم أنه ليس هنا ليترنح على مجموعة أيها الفنية.
وأخيراً وجدت الشجاعية لتقول: «آسفه جداً يا مات».
- وأنا أيضاً.

قالت وهي ترجو بلهفة أن يصدقها: «لم أشاً أن أؤلّمك. يمكنني أن أنسى الأمر».

أخرى رأسه بصمت وكأنه يطلب منها الإفاضة في الكلام. فقالت ويداها متصلتان إلى جانبيها: «أردت خوض مغامرة... مغامرة في البراري. ولكن لو ذهبت بصفتي الالايدي شارلوت، لوجد الناس طريقة ما

لبعدوني عن حياة البراري الحقيقة. أردت أن أندوّن الأشياء كما هي وأن أكون فتاة عادية».

- لكنك قلت إنك جئت إلى استراليا لتحقق حلمـاـ.

- هذا صحيحـ.

أومـاتـ بـرأـسـهـاـ باـحـترـاسـ.

بـقـيـ هوـ لـلحـظـةـ طـوـبـلـةـ صـامـتاـ،ـ قالـ بـعـدـهاـ بـلـطفـ:ـ «ـكـمـ رـأـيـتـ،ـ وـقـعـ ماـ لـمـ تـنـوـقـعـهـ...ـ وـهـوـ أـنـيـ وـقـعـتـ فيـ غـرامـكـ»ـ.

تكلـمـ بـبـساطـةـ وـصـدقـ جـعلـلـاـهاـ شـعـرـ بـقـلـبـهاـ يـهـبـطـ إـلـىـ قـدـمـهـاـ.

- وأـظـنـكـ عـلـمـتـ هـذـاـ.

وشـبـكـ ذـرـاعـيـهـ عـلـىـ صـدـرـهـ بـيـطـءـ وـهـوـ يـنـظـرـ فـيـ عـبـيـهـاـ،ـ ثـمـ أـرـدـ:

- وـلـيـسـ مـنـ عـادـيـيـ الـوقـوعـ فـيـ الـحـبـ،ـ

قالـتـ وـهـيـ تـخـطـوـ مـتـعـثـرـةـ نـحـوـهـ:ـ «ـطـبـعـاـ لـاـ»ـ.

لـكـنـهـ أـبـدـيـ مـنـ الجـذـ وـالـتوـرـ مـاـ جـعـلـهـاـ تـوـقـعـ.

ماـذـاـ بـإـمـكـانـهـاـ أـنـ تـقـولـ؟ـ مـنـذـ الـلحـظـةـ التـيـ وـضـعـتـ فـيـهاـ قـدـمـهـاـ فـيـ انـكـلـتـرـاـ،ـ كـاتـتـ وـائـقـةـ تـمـامـاـ مـنـ أـنـهـاـ تـحـبـهـ،ـ هـيـ أـيـضاـ.

وـتـابـعـ هوـ بـصـوتـ خـشـنـ لـمـ تـسـمـعـهـ مـنـ قـبـلـ:ـ «ـالـمـشـكـلـةـ هـيـ أـنـيـ وـقـعـتـ فـيـ حـبـ وـهـمـ خـدـاعـ»ـ.

وـتـجـاهـلـ صـرـخـةـ الـاحـتجـاجـ الصـغـيرـةـ مـنـهـاـ وـأـرـدـ فـائـلـاـ:

- لـأـنـ الـمـرـأـةـ التـيـ أـحـبـيـهـاـ لـمـ تـكـنـ اـمـرـأـ ذاتـ لـقـبـ وـمـنـزـلـ فـخمـ،ـ وـرـئـيسـ خـدـمـ وـحـبـبـ عـالـيـ المـقـامـ.

وـأـسـعـ فـيـ كـلـامـهـ كـاـنـهـ يـرـيدـ أـنـ يـنـهيـ الـأـمـرـ بـسـرـعةـ.

- الفتـاةـ التـيـ أـحـبـيـهـاـ رـوـحـ طـلـيقـةـ تـقـومـ بـأـيـ شـيـ،ـ فـتـاةـ شـجـاعـةـ تـرـعـيـ العـواـشـيـ وـنـعـتـيـ بـهـاـ فـيـ الـحـظـيرـةـ وـنـحـمـيـ سـعـعـهـاـ بـقـيـضـتـهـاـ،ـ إـذـاـ اـنـضـمـيـ الـأـمـرـ.

وـسـكـتـ،ـ ثـمـ أـضـافـ بـنـعـومـةـ:ـ «ـكـانـتـ تـلـكـ تـشـارـلـيـ بـيلـ»ـ.

رـفـعـتـ بـصـرـهـ لـتـقـابـلـ عـيـنـهـ مـحاـوـلـةـ التـحـلـيـ بـالـشـجـاعـةـ.

- مـاتـ،ـ إـعـلـمـ فـقـطـ أـنـيـ لـمـ أـقـصـدـ خـدـاعـكـ.

- هذا غير صحيحـ!ـ فـقـدـ تـعـمـدـتـ خـدـاعـيـ.

فـأـجـفـلـتـ،ـ وـرـدـتـ:ـ «ـحـسـنـاـ،ـ نـعـمـ.ـ أـظـنـتـ خـطـطـتـ لـهـذـاـ خـدـاعـعـنـدـمـاـ أـرـدـتـ تـلـكـ الـوـظـفـةـ وـالـمـفـارـمـةـ فـيـ الـبـرـارـيـ.ـ وـلـكـنـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ

الـشـخـصـيـ...ـ عـنـدـمـاـ عـلـمـتـ بـشـعـورـيـ...ـ بـشـعـورـيـ تـحـوـكـ...ـ»ـ.

وـقـفـزـتـ إـلـىـ عـيـنـهـ نـظـرـةـ رـقـيقـةـ فـوـقـ قـلـبـهـ عـنـ الـخـفـقـانـ.ـ وـنـابـعـتـ نـقـولـ:ـ «ـلـقـدـ حـاوـلـتـ جـاهـدـةـ أـنـ أـقاـمـكـ كـمـ أـنـيـ لـمـ أـشـأـ أـنـ تـقـعـ فـيـ حـبـ تـشـارـلـيـ وـهـيـ...ـ غـيرـ مـوـجـودـةـ.ـ آـهـ،ـ يـاـمـاتـ،ـ لـمـ أـعـرـفـ مـاـ عـلـىـ أـنـ أـغـلـلـ»ـ.

صـرـخـتـ بـهـذـاـ وـهـيـ تـعـثـرـ مـتـقـدـمـةـ نـحـوـهـ،ـ وـدـمـوـعـهـاـ تـهـمـرـ عـلـىـ وـجـتـيـهـاـ.

أـرـدـتـ أـنـ تـرـتـمـيـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـ،ـ وـلـكـنـ وـقـنـتـهـ الـحـازـمـةـ،ـ وـالـنـظـرـ الـمـتـصـلـبـةـ

الـتـيـ عـادـتـ إـلـىـ عـيـنـهـ مـنـعـنـهـاـ.ـ كـمـ تـمـنـيـ لـوـ يـضـمـهـاـ إـلـىـ صـدـرـهـ كـمـ كـانـ بـفـعـلـ

فـيـ الـمـاضـيـ.ـ مـرـةـ وـاحـدـةـ فـقـطـ.ـ عـنـاقـ وـاحـدـ فـقـطـ.

وـجـاءـ مـنـ عـنـدـ الـبـابـ صـوتـ نـحـنـحةـ.

نـظـرـتـ تـشـارـلـيـ مـنـ خـلـالـ دـمـوـعـهـاـ،ـ إـلـىـ نـورـنـونـ الـذـيـ كـانـ يـعـملـ

صـيـثـيـةـ.

- لـقـدـ وـصـلـ اللـورـدـ غـرـوفـنـ.ـ هـلـ أـبـقـيـهـ فـيـ...ـ

- لـاـلـنـ تـبـقـيـهـ فـيـ أـيـ مـكـانـ.

وـأـنـدـفـعـ جـيـرـيـيـ وـقـدـ أـحـمـرـ وـجـهـ،ـ مـتـجـاـوـزاـ رـئـيـسـ الـخـدـمـ.

اـنـقـلـتـ نـظـرـةـ جـيـرـيـيـ الـغـاضـبـةـ مـنـ عـيـنـيـ تـشـارـلـيـ الدـامـعـيـنـ إـلـىـ مـاتـ.

- مـاـ الـذـيـ يـحـدـثـ هـنـاـ وـمـاـ الـذـيـ فـعـلـهـ لـكـيـ تـكـذـبـ شـارـلـوـتـ؟ـ

- مـاتـ لـمـ يـكـذـبـنـيـ.

وـكـانـتـ تـحـاـوـلـ أـنـ تـشـرـحـ لـهـ الـأـمـرـ.

- بـلـ فـعـلـ هـذـاـ طـبـعاـ.

صـرـخـ جـيـرـيـيـ وـهـوـ يـجـرـحـهـاـ نـحـوـهـ،ـ فـعـرـرـتـ ذـرـاعـهـاـ مـنـ يـدـهـ وـهـيـ تـقـولـ

ضـارـعـةـ:ـ «ـلـاـ تـضـخـمـ الـأـمـورـ»ـ.

لـكـنـ الرـجـلـيـنـ وـقـنـاـ بـحـمـلـقـانـ فـيـ بـعـضـهـمـاـ الـبعـضـ،ـ وـالـغـضـبـ بـاـدـ فـيـ

عـيـنـهـمـاـ وـشـخـرـ جـيـرـيـيـ قـائـلاـ:ـ «ـبـلـ سـأـضـخـمـ الـأـمـورـ،ـ وـسـأـطـرـدـ هـذـاـ

الشخص من المزرعة».

- وكيف ستفعل ذلك؟

وتألقت عيناً مات وشد قبضته إلى جانبيه. وأخذت شارلي تدعو الله لثلا يضره، إنه غاضب جداً.

ازداد أحمرار وجه جيريبي وانتفخ صدره، أما مات فقد تابع تحديه الساخر.

- أظن أن لديك الكثير من الخدم، يمكنك أن تطلب منهم أن يطردوني. أو لم لا نخرج ونستدعي الثنين من حملة الهراءات؟

- كفى!

صرخت شارلي وهي تقف بين الرجلين، وتمدد ذراعيها لتهديهما.

- هذا غير ضروري.

فقال مات بحدة وهو يبتعد عنها: «بل هو ضروري بكل تأكيد. لم أشاً أن أبقى هنا أكثر من ذلك. وقد قلت ما جئت لأقوله».

واشتبكت نظراته الكثبية بنظراتها في لحظة عذاب قبل أن يهز رأسه بحزن، ثم يدبر ظهره ويغادر الغرفة متهدلاً.

- مات، لا تذهب!

صرخت شارلي عاجزة عن رؤيته يرحل. وسارت في الغرفة متعرجة، لكن جيريبي أمسك بذراعها وجدبها إلى الخلف.

- ليس سوى شخص وضع. دعوه يذهب يا حبيبتي.

صرخت به بعنف: «أنت لا تعرف شيئاً عنه».

وأخذت تكافح لتخلص نفسها منه وهي تصيح مرة أخرى «مات».

- من الواضح أنه راعي بتر لا يعرف سوى استعمال قبضيه.

- كيف تجرؤ!

واستطاعت أخيراً أن تحرر يديها من قبضته ثم ركضت خارج الغرفة، قبعبها جيريبي.

وصلت إلى الباب الأمامي في الوقت الذي انطلقت فيه دراجة مات

بهدير غاضب، ونتمم جيريبي: «لا أردك الله».

فصرخت به باكية: «إخرس».

كانت غاضبة، محطة وبائسة وشعرت بدمها يغلي، وعندما رأت وجهه يزداد أحمراراً صرخت به:

- في الواقع، يا جيريبي، لم لا ترحل... لماذا لا تذهب لنقوم بشيء؟ تحسن فعله شيئاً؟ مثل أن ترفس فلاحاً، أو تهدم كوخ عامل؟

فتح جيريبي فمه ثم عاد فأغلقه بحزم.

- لا بد لي شارلوت، هل تريديتي أن أراقق المورد غروفس إلى سبارته؟

فهمست شارلي شاعرة أنها على وشك الانهيار: «آه، يا نورتون، شكرأ، سيخرج حالاً».

وبقلب بارد، أخذت تنظر إلى وجه جيريبي وكتفيه وهمما يتصلبان قيل أن يتبع نورتون إلى خارج المنزل. عادت شارلي تذرع الغرفة الشرفة محاولة أن تستعيد ما قاله لها مات قيل قليل. مات يحب شارلي بيل.

أراد جزءاً صغيراً من قلبها المحطم أن يضحك ويقفز فرحاً لدى تفكيرها بذلك، لو أن بإمكانها فقط أن تكون شارلي بيل!

وغاصت في أقرب كرسي وأخذت تفكّر. لقد أحبّت مات لوكهارت وهي واثقة من ذلك، وربما لن توقف عن حبه أبداً. وما أفعى أن تعصي بقية حياتها وهي عاجزة عن التفكير في مات.

ماذا لو أنها لم تكن «لابدي» انكليزية؟ ماذا لو أن أسلافها لم يثنوا كاهل أسرتها بهذا البيت الذي يشبه قصراً أبيضاً فخماً؟ ماذا لو كانت حرّة في اختيار شريك حياتها؟

- لا بد لي شارلوت.

رفعت بصرها لنرى نورتون واقفاً أمامها وتحت ذراعه لوحة زيتية.

- ما الذي ستتعلمه الآن يا نورتون؟ تبدأ بتظيف المنزل لفصل الربيع؟

- ظننت أنك ربما تودين رؤبة هدية لوكهارت.

٦ - زوج وامرأتان

- أحضر لي مات لوحه؟

وانتصبت شارلي في جلستها عندما وضع نورتون اللوحة على رف المدفأة أمامها. كانت تلك اللوحة التي عشقها، لوحة البنبع ... ينبعونها.

عادت الدموع تترافق في عينيها حتى كادت تمحي ألوان البراري الحية النابضة بالحياة من أمامها. عندما حدقت في لوحة مات، استطاعت أن تشعر بحرارة الشمس اللاهبة في الصخرة التي جلس عليها واستطاعت أن تشعر بذراعيه يطوقانها مرة أخرى.

- آه، يا نورتون. أليس فناناً مدهلاً للغاية؟

- إنه رائع تماماً.

وبعد أن وقف بجانبها فترة، محدقاً بالرسم بعطف صامت، غادر الغرفة على أطراف أصابعه تاركاً تشارلي لذكرياتها.

وكم كانت مؤلمة ذكرياتها تلك. لقد شعرت مع مات عند البنبع، بنكامل لم تشعر به قط من قبل، وكأنها انتظرت طوال حياتها لكي تكون في ذلك المكان، مع مثل هذا الرجل. وجوده قريباً جعلها تذوق طعم السلام والسكينة وانعدام الزمن الذي توحى به هذه الصخور العتيقة.

عندهما فكرت في أن النفق والكهف والبنبع بعيدة عنها الآن، خطر لها أنه لا يمكن أن يكون هناك اختلاف بين عالميهما أكثر من هذا، ومع ذلك

هي «ومات» لديهما ماضي ومسؤولية . . .
وشعرت بقلبيها يتمزق.

ليت هناك قواعد للوقوع في الحب، لاستطاعت تجنب هذا المأزق.
لكنها دخلت بمرح حياة رجل وخرجت منها خلال أسبوع. وها هما الآن،
مقطوراً القلب وما بيدهما حيلة.

وستبقى دهراً طويلاً . . . تبكي بمرارة.
صعدت إلى الحمام في الطابق الأعلى لتغسل وجهها، وعندما عادت إلى الطابق السفلي، اكتشفت أن والديها قد وصلا. ووجدت أبيها في الغرفة الشرقية مأخوذًا باللوحة المرسومة.

- شارلوت، حبيبي، تعالى واخبربني كل شيء عن هذا العمل الرائع.

- كيف حال أمبلسايد يا أبي؟

فأجاب بغموض: «غاية في الجمال يا عزيزتي».

و قبل ابنته قبل أن يبعد اهتمامه إلى لوحة مات.

- أخبرني نورتون أن شاباً استراليًا رسم هذه وقدمها لك.
نعم.

اعترفت بذلك ممتة لو أن قلبها لم يتحقق بهذا العنف لمجرد ذكر مات.

- ما رأيك فيها؟

- رائعة. استخدام هذا الفنان للألوان يدل على إحساس بالغ، ويبدو أنه توصل بشكل ما إلى جوهر هذا المكان الروحاني.

فقالت برقه: «هذا صحيح تماماً».

- إنها مشيرة للاهتمام.

ونظر إليها بفضول، ثم سألها: «أين قابلت ذلك الشخص؟ في سيدني؟».

فقالت محاولة أن تبقى هادئة: «إنه في الواقع يعيش بالقرب من حدود

«كوبنلاند»، في مزرعة مواشي تدعى «سانداون».

- يا إلهي، وهذا المشهد هو في أرضه؟

- نعم.

- ياله من اكتشاف، يا شارلوت، أنت فتاة ماهرة. ما اسمه؟

- اسمه مات. . . ماتيو لوكمهارت.

وبشكل ما، نطق الاسم دون أي تلعثم أو توتر.

- لديه لوحات كثيرة أخرى، بعضها كبير الحجم، وكلها ممتازة.

- وهل يريد بيعها هنا في أوروبا؟

- لا أدرى. لم تتحدث في هذا الأمر.

- لم تتحدث؟ ماذا حدث لك يا فتاة؟ هل فقدت خبرتك؟ هذا عمل جديد مميز ذو شأن. تريده أن تكسب هذا الشخص إلى جانبها قبل أن يسبقنا إليه شخص آخر. يمكنني أن أجتمع له ثروة.

- لست واثقة من أنه يريد ثروة.

- طبعاً هو يريد ذلك. الجميع يريد المال. إنه بحاجة إلى وكيل جيد.

- أنت طبعاً.

قالت له تشارلي هذا بابتسامة باهفة. كانت تعلم أن أبيها يفكك في عمولة جيدة يمكنه أن يحصل عليها من بيع لوحات مات. . . وربما مع الوقت، سيرجع من ذلك ما يكفي لاصلاح منزله من دون أن يتعامل مع تاجر اللوحات المسوقة.

- هذه الموهبة بحاجة إلى تغذية وتشجيع. . . أخبريني المزيد عن ذلك الشخص الرائع الذي عثرت عليه؟ كم يبلغ عمره؟ أرجو أن يكون صغير السن لكي يكون لديه وقت كثير لينضج وينتطور.

بدأت تشارلي تشعر بالإنهال بعض الشيء. ذلك أن الحديث عن مات، وكأنه مجرد فنان وليس أهم شخص في حياتها، صعب للغاية. أخذت نفساً مرتاحاً، وحاولت أن تجذب بعدم اكتئاث.

- إنه. . . إنه في الثلاثينيات من عمره. لم أسأله بالضبط.

حول أبوها انتبه من الرسم إلى ابنته، وسألتها: «شارلوت، ما الأمر يا عزيزتي؟».

أخذت تغالب دموعها: «أشعر بشيء من. . . بابا، أنا تعيسة لقد وقعت في الحب».

فقال بيتر: «رباه، تعالى واجلس، لا يدوك عليك الإنزان». وقد أبنته إلى أريكة واسعة جلساً عليها معاً.

- أتربيديني أن أبحث الأمر مع أمك؟ فهمست: «فيما بعد، عندما أشعر بأنني أقوى».

أخذ يرفع بأصابعه الطويلة، شعرها عن خديها ببطء ورقة.

- والآن أخبريني لماذا الحب يجعل فتاتي الصغيرة تعيسة إلى هذا الحد؟

تنبهت: «الأني أحببت الرجل غير المناسب». فنهر صوته قليلاً: «وما عيبه؟ أليس شاباً لأنقاً مهذباً؟»

- بل هو بالغ اللياقة والتهذيب.

- هل يعمل؟ هل يمكنه أن يعيشك؟ - نعم، ليست هذه هي المشكلة.

- هل يحبك؟

فقالت بصوت ياك، وهي تضغط على عينيها بيديها، مصممة على عدم البكاء مرة أخرى: «نعم، إنه، على الأقل أحب تشارلي بيل، لكنني

لست واثقة من أنه تأثر بشارلوت بلامي».

- أرجو المغفرة؟ لم أفهم.

كان حائزأً طبعاً.

- يا عزيزتي ما هذا الذي تقوليه وماذا تعنين؟

أخبرته بالقصة المؤسفة. وأصفع إليها أبوها إلى النهاية.

- كنت أعرف منذ صغرى أن علي أن أتزوج بشخص مثل جيريمي يملك مالاً ولقباً، وأن هذه هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ بيتا.

- لا أدرى ما إذا كان لدى ما يكفي من الشجاعة. وأشك في أن النتيجة تستحق العناء.

همست بذلك وهي تشكر في عيني مات الغاضبين وهو يتبعها سرعاً.

- أنت شجاعة طبعاً. وأنا أعرفك جيداً. سذهبين.

وطبع قبلة على جبينها.

كان مات يرسم عاصفة. وراحت فرشاته تتحرك بمشاعر محمومة على القماش. لم يرسم قط بهذا الشكل من قبل، ساكباً كل مشاعره بانفعال بالغ. فالرسم، عادة، يخفف عنه ويهده. واليوم، كلما زاد ما يرسمه، ازدادت مشاعره سوءاً. لكنه لم يستطع التوقف، فقد كان يعتربه يأس كبير، وصورة نشارلي لم تفارق ذهنه لحظة.

لم يتمكن من أن يحرر نفسه من الصدمة التي تملكته عندما اكتشف أنها في الحقيقة الالبيدي شارلوت بيلامي. لو وصل إلى إنكلترا وأخبره نورتون أنها اختفت، لكانت الصدمة أخف وطأة من رؤيتها متأبطة ذراع ذلك الحقير «اللورود غروفس» ومرتدية ذلك الثوب الأخضر الرائع.

حاول أن يجمع بين نشارلي بيل وتلك الالبيدي الانكليزية، مازجاً على القماش صورة شارلي كما عرفها في بنطلون ركوب الخيل والجزمة الطويلة، وضفتها الناعمة البنية اللون على كتفها، وصورة الالبيدي شارلوت بشعرها الذهبي وثوبها المخملية وبشرتها البيضاء. ربما عندما ينتهي سيكون قادرًا على التخلص منها معاً.

كان يعمل في غرفة خاصة بالرسم أضافها إلى منزله الريفي منذ سنوات. وقد تناثرت في الأتجاه حاملات اللوحات، ولفائف قماش الرسم وعلب الدهان، وأحجام مختلفة من الأطر.

ولكي يسهل الحركة عليه خلع مات قميصه وألقى به على مقعد

والآن، جاء دور أبيها ليفتح فمه ذهلاً، ورأى الألم في عينيه. وضع ذراعه حول كتفها يهدئها عدة دقائق ثم قال:

- يا حبيبي، كل ما تريده أنا وأمك هو أن تكوني سعيدة، ربما جعلناك تفهمين العكس. افترضنا أن سعادتك في إنكلترا ولكنني في الحقيقة لطالما عرفت أن نظرتك إلى الحياة مختلفة وأنك تريدين مطاردة أحلامك ...

فقالت بجمود: أقضيت على كل فرصة لذلك. فقد كذبت وخدعت ...

- لقد خذلناك يا عزيزتي، ما كان عليك أن تصلي إلى هذا الحد بحيث تخفين ما أنت متلهفة إليه.

- وأنا الآن خذلت مات. لا أستطيع احتمال ذلك. جاء إلى هنا باحثاً عني وإذا بي ... إذا لم ... ضفت أبوها على كتفيها مطمئناً، وقال: «أفهم من هذا أن مات هو لوكمارت الفنان؟».

وتحولت عيناه إلى اللوحة التي أعجبته جداً.

قالت هذا بابتسامة حزينة: «هو بنفسه». لمعت عيناً أبيها بسرور لم يستطع إخفاءه، وجذب رأسها إلى كتفه وأخذ يداعب شعرها متهدأ.

- لعله ليس من النوع الذي يصفح وينسى بسهولة، وأخشى أن تصادفي المزيد من خيبة الأمل عندما تعودين.

- أعود؟

وتنهدت. ما أجمل التفكير في القفز إلى طائرة تبعدها إلى استراليا. ولو عرفت أن هناك فرصة واحدة لأن تجد مات مسروراً لرؤيتها، لما ترددت. ولكن نظراً لعناد مات وكبرياته ...

- طبعاً يا عزيزتي. عليك أن تذهب إلى لوكمارت وتحاولي أن تصلحي الأمور بينكما، أليس كذلك؟

قريب. فعندما يبذل جهداً بالغاً في الرسم، مثل الآن، كان يفضل أن يتحرر من كافة القيود.

قاطع تركيزه على العمل تباج كلب، فرفع نظره مقطباً. كانت أذناه معتادتين على الأصوات المألوفة في هذا المركز في البراري... ولكنه سمع صوت عربة تقترب.

إنها شاحنة البريد من دون شك. لكن آرش سينتسلم البريد ويشرب الشاي ويشرث مع الساعي، فقد ترك مات تعليمات حازمة بala يزعجه أحد. أخذ لوناً داكن الخضراء مزجه بلون أسود، وملأ بها الظلال على ثوب اللايدي شارلوت المسائي. كانت الظلال تجعل الأنوثة في قوامها تتفجر بالحياة والحرارة، واستيقظت في نفسه ذكريات أليمة، ولكن كان عليه أن يستمر. وعندما ينتهي من هذه اللوحة، يكون قد انتهى من شارلي بيل.

سمع وقع قدمي آرش الثقيل على الشرفة متوجهاً ليقابل ساعي البريد. سكين آرش، فقد بدا حزيناً للغاية عندما عاد مات من انكلترا وحده، إذ أمل أن يعود رئيسه إليهم متابطاً ذراع عروسه شارلي. وبالأها من مزحة! وبدلاً من ذلك، عندما عاد مات، أمضى مع آرش أيام عدة بدونان قائمة النعم الكثيرة التي تحفل بها حياة العازبين من الرجال.

اختار مات فرشاة صغيرة، وراح يملأ الاخضرار في عيني شارلي. وكما فعل بالثوب، أضاف درجة قائمة ليعطيهما عمقاً. عمل دقائق عدة... ولكن إذا يده تجمد فجأة، لقد سرت في ظهره برودة الأشباح، ذلك أنه رآها تبادله النظارات.

اشتبكت عينا شارلي بعينيه في اللوحة. عينان كثيبتان قلقتان. عينان مازالتا ترددانه. عينان مزقتا قلبه وعقله. وألقى بالفرشاة وهو يتأوه.

ورفع بصره. ما زالت العينان هناك... تحتلان محبيه. إنهموا تنظران إليه من آخر الغرفة. طرف عينيه وتسارعت خفقات قلبه. لم يستطع أن يعرف ما جرى لساقيه. بدا وكأن عظامهما نخرت.

- شارلي؟

- مرحباً يا مات.

كانت واقفة عند عتبة الباب وعيتها كثيبتان قلقتان كتلوك العينين اللتين رسمهما لتوه. وكان وجهها بالغ الشحوب.

- كيف... كيف جئت إلى هنا؟

التوت شفاتها الرائعة باتسامة متورطة.

- بالطريقة نفسها التي جئت بها إلى هذا المكان في المرة الأولى... في شاحنة البريد.

مرر أصابعه الملطخة بالألوان في شعره، بينما ازدادت خفقات قلبه، وقال: «يا لها من حمامة قمت بها».

وانحنى يتناول خرقه أخذ يزيل بها الألوان عن يديه، ثم قال من دون أن ينظر إليها:

- الأفضل أن تذهب إلى المطبخ. أنا واثق من أن آرش سبقدم لك فنجان شاي. وبعد ذلك يمكنك أن تستقل الشاحنة نفسها لترحلني مرة أخرى.

قالت بهدوء: «أنا لن أعود في أي شاحنة قبل أن أنهي عملي». صوتها الحازم لطفه لهجتها الإنكليزية الجميلة ما جعله ينظر إليها.

- وما هو ذلك العمل؟

- كان علي أن أحضر لأشكرك على تلك اللوحة.

- رسالة شكر صغيرة كانت لنفي بالفرض.

حاول أن يضعك فانتهي ذلك باتسامة ساخرة.

خفضت بصرها فأخذت ينظر إليها مفتوناً وهو يرى أهدابها الكثيفة القائمة تسدل على وجنتيها، هاتين الوجنتين الورديتين كانتا سلاحاً فتاكي جعل مات يشعر بفضة.

- أتيت من انكلترالكي أتحدث إليك.

- نعم. أعرف كل شيء عن تلك الرحلة. لقد جربتها بشسي وكانت مضيعة للوقت وجهداً بالغاً أيضاً.

اقتربت من الصورة فرأت مشحات الألوان الانفعالية في آخر عمل له.
 - آه، يا إلهي يا مات.
 لقد جعلتها جرأة الصورة تلهمت. هذا الرسم تجريدي، يظهر الجوهر من دون الظاهر، وأكثر عنفًا من أسلوبه العادي، لكنه بالغ الذكاء. ولكن فكرة الموضوع هي التي أذهلتها وجعلت قلبها يدق.
 سمعت ضحكته الخافتة الحزينة بجانبها، ثم أشار إلى الصورة.
 - هذا نوع جديد من العلاج بالتفور والكراءة. إنني أرسمك بطريقة بعيدة عن أسلوبي المأثور.
 سألته هامسة: «وهل هي فعالة؟»
 فأجاب بابتسامة حزينة: «السحر».
 - السحر.
 ونظر إلى الصورة بعينين ضيقتين ثم إلى ساعة العائط.
 - سأنسى حبك تماماً حوالي الساعة الخامسة عصرًا.
 بذا صوته حازماً مراً، ولكن عندما نظر إليها ومضت عيناه بمشاعر واضحة، فكادت تبكي: «أتريد أن تخرجني من قلبك، يا مات؟».
 ومدت يدها بشجاعة تلمس ذراعه العارية.
 حدق إلى أصابعها على ذراعه. كان ضغطها الرقيق أشبه بألم حاد، كالألم الذي شعر به وهو يشاهد شجاعتها ورغبتها في المجازفة. لقد جرب مات ذلك، ويا لينه لم يفعل! وتتابع مكثراً:
 - عقلي يريدك أن تخرجني من قلبي.
 ومد يده بتناول قميصه من على المقعد.
 أخذت تشارلي تأمل حركة عضلات ذراعيه وصدره وهو يلبس قميصه. وأدركت من الطريقة التي لمعت فيها عيناً مات أنه لاحظ اهتمامها. ورغم غضبه، ومضت المشاعر في نظرته فاستقامت في وقوتها وتنفست بعمق. ثم رفعت رأسها وقالت تحداه: «أنت مدین لي على الأقل، بفرصة أشرح فيها سبب وجودي هنا. عندما ذهبت لتزورني، قلت

- مات، حيث أطلب منك أن تصفععني.
 عليه أن يعرف بأنها شجاعة، إذ بينما هو يرتجف، وقفـتـ هيـ أمـامـهـ
 هادـةـ بـارـدةـ بـيلـوزـتـهاـ البيـضـاءـ المـدـوـسـةـ بـأـنـاقـةـ فـيـ بـنـطـوـنـهـاـ الجـبـيزـ،ـ وـشـعـرـهاـ
 المسـدـلـ عـلـىـ كـثـيفـيـهاـ.ـ كـانـ شـعـرـهاـ الآـنـ ذـهـبـيـاـ بـلـونـ القـمـحـ.
 وهذا العـزـيجـ الجـدـيدـ بـيـنـ شـارـلـيـ بـيلـ وـالـلـايـدـيـ شـارـلـوتـ جـدـيرـ
 بـالـهـتـمـامـ بـالـظـرـ!ـ وـقـفـ مـمـكـاـ بـحـرـمةـ الـدـهـانـ...ـ وـعـيـنـاهـ تـأـمـلـاـنـهـاـ.ـ خـضـرـةـ
 عـيـنـيـهاـ بـخـضـرـةـ بـحـيـرـةـ الصـخـرـةـ،ـ وـشـفـتـاهـاـ وـجـدـنـاـ تـسـلـبـاـ الرـجـالـ عـقـولـهـمـ.
 لمـ يـسـطـعـ أـنـ يـسـمـرـ فـيـ النـظـرـ إـلـيـهـاـ فـاسـتـدارـ عـلـىـ عـقـيـهـ وـسـارـ مـبـعـدـاـ
 إـلـىـ آـخـرـ الغـرـفـةـ.

نظرت إليه تشارلي بقلب يرتعش خوفاً. رؤيتها له مرة أخرى أسوأ بكثير مما كانت تتصور، الشوق الذي شعرت به نحوه عندما رأته منحنياً على عمله، كان مخيفاً بعنه.

والآن، هذا الصمت الفظيع! توقعت أن يكون غاضباً منها، تصورت أنه سيناقشها ممكناً أن تواجهها. ولكن هذا الصمت يقتلها. بللت شفتيها بلسانها: «حيث لا أعتذر شخصياً».

قالت هذا وهي تقدم خطوة بتردد. أضافت تقول: «أنا هنا لأبقى إذا شئت أن تبني عدوك. إذا استطعت أن تصفععني».

بقي صامتاً لكنه أزداد توبراً فنهدت وهي تدعو الله بحرارة. كيف يمكنها أن تستعيد ثقة مات؟ ألن يمنحها فرصة لشرح له الأمر؟

وقعت عيناهما على اللوحة التي كان يرسمها.

- هل ترسم لوحة جديدة؟

جعله سؤالها يستدير ليراجعها، وتقـدـمـ إـلـىـ الأـمـامـ وـكـانـ يـرـيدـ أنـ
 يـخـتـفـ الصـورـةـ قـبـلـ أـنـ تـرـاهـاـ قـائـلاـ:ـ «ـمـاـزـالـتـ فـيـ الـبـداـيـةـ»ـ.

- هل هي مشهد آخر من البراري؟ لقد أعجب أبي جداً بلوحتك وهو يراك صاحب موهبة رائعة، ويريد أن يكون وكيلك ويصنع لك ثروة.

- لا تقولي شيئاً كهذا.

متحفه أشجع ابتساماتها.
ها قد حان وقت المواجهة.
- أريد منك كلمة واحدة فقط ويتنهي الأمر بيتنا، يا مات... لا
تريدينِ؟
نففر واقفاً والغضب يتفجر في صوته وعيشه.
- هذا ليس سؤالاً عادلاً. لا يمكنني أن أتزوجك.
وسار نحو الباب، ثم تابع يقول: «أنت تضيعين وقتك سدى، ما كان
لنا أن ننجز إلى هذا الحديث الذي لا نفع منه. سأستدعي آرش وأخبره أن
يؤخر شاحنة البريد لتأخذك».
نظرت إليه تشارلي يخرج من الباب، وقد تملكتها الرعب، الرجل
الذى تحب بخراج من حياتها للمرة الثانية. هذا مستحيل. وركضت خلفه
صارخة: «مات انتظر. لدى شيء هام أقوله».
عاد يطل من الباب عابساً. ومن دون أن يتكلم أراح يده على إطار
الباب وكأنه عاد فقط ليسمع ما تقول ثم يخرج مرة أخرى.
لم نعرف من أين أتتها الشجاعة، لكنها تقدمت نحوه: «ماذا لو...
ماذا لو عرضت عليك أمراً؟».
فحملت فيها: «اعرض».
ورغم توتره، شبك ذراعيه على صدره واستند إلى الباب.
- لا يأس، كلي آذان صاغية.
- الأمر سهل حقاً. يعني أن يكون لديك امرأتان.
فقال بصحة واهنة: «هل أفهم من هذا أننا نتحدث عن شارلي بيل
واللابدي شارلوت؟».
- نعم. لا يمكنك أن تفكري بي بصفتي شارلي بيل عندما أكون هنا
معك بقية حياتنا؟ ثم لا يمكنك أن تحاول أن تتحمل اللابدي شارلوت
عندما نزور بيتنا في إنكلترا؟
سكت عن الضحك، وابتلع ريقه.

أنت كل ما عليك أن تقوله. ولهذا عليك أن تصفي إلي وأنا انكلم». جرّ المقعد عائساً ثم دعاها للجلوس عليه.
جلست قبل أن تنهار ساقاها بينما سحب هو مقعداً آخر جلس عليه، شابكاً ذراعيه على صدره ونظر إليها بشغف.
- قلت إنك جئت لتبقى هنا. لكن هذا لن ينفع.
- ما الذي يجعلك متأكداً من ذلك؟
- لأنني لا أستطيع أن أغير نفسي، وأنت لا تستطعين تغيير نفسك.
لدينا مسؤوليات نحو أسرتنا ونحو الحياة التي نشأنا فيها.
جلست منتصبة على المقعد وقد شدت قبضتها بقلق: «ماذا عن حل
وسط؟ من وجهه نظري، العيش في البراري يبدو تسوية كاملة».
- لا أستطيع أن أتصور ما تهدفين إليه.
كان وجهه مظلماً ونظرت هي إلى الأحمرار الزاحف إلى عنقه.
- عندما جئت إلى إنكلترا، قلت إنك تحب تشارلي بيل.
همست بذلك وقلبي يخفق في صدرها بعنف، كزورق هش في
عاصفة بحرية.
- نعم لقد قلت ذلك.
- إذن، يمكنك حتماً أن تفكّر بطرق جديدة لحل هذه المشكلة.
ومالت إلى الأمام، واهتز صوتها وهي تسأله: «ألا يمكنك أيضاً أن
تحب اللابدي شارلوت؟».
فنهدت: «كيف يمكنك التغلب على الاختلافات الهائلة في نمط حياتنا؟
أنا صاحب مزرعة في البراري، ولا يمكنني أبداً أن أكون شخصاً مثل
جيبريمي».
فكادت تنفجر ضاحكة.
- آه، يا مات الحمد لله. فأنا لا أريد أي شخص مثل جيبريمي. أنا
أريدك أنت. أنا أريد العيش هنا.
وعندما لم تظفر منه بابتسامة استجابة، أخذت نفساً مرتعضاً، ثم

أنك رجل قليل الكلام، لكنني أترك لك هذا الاقتراح».
- أرى في عرض الزواج على (لابدي) شيئاً من التكلف.
تنهدت شارلي وربت على كتفه عابثة: «لابدي شارلوت في انكلترا،
أيها الغبي. جرب أن تعرض الزواج على شارلي بيل ثم انظر ما سيحدث».
ـ شارلي؟
وارتجفت شفاتها: «نعم». و كان صوتها منخفضاً للغاية.
ـ هل تحبين أن تكوني زوجة لصاحب مزرعة مواشي في البراري؟
ـ آه، نعم.
وكان صوتها أشد عزماً، فضحك بسعادة: «شكراً».
وأخذها بين ذراعيه طويلاً.
ـأشكرك على أفضل عرض حصلت عليه.
ـ إذن فهو عرس في البراري؟
ـ نعم ولِمَ لا؟
فضحك بصوت خافت: «كم أود أن أرى نورتون عند موقد الشواء
يشرب الشاي بلبن الماعز».
ـ وأرش في القبعة العالية والبدلة الرسمية في انكلترا!
ـ هذا غير مهم ما دمت أنت هناك.
وطوقت شارلي عنقه بذراعيها، وقد غمرتها سعادة لم تعرف لها مثيلاً
من قبل.

* * *